

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالملكة المغربية



عدد خاص بذكرى عيد العرش المجيد



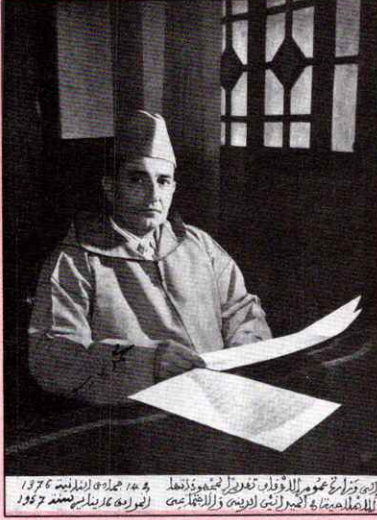
السنة الرابعة والستون - العدد 436 ذو الحجة 1442هـ / يوليو 2021م

436

دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الرابعة والستون - العدد 436 ذو الحجة 1442هـ / يوليو 2021م



أسسها

جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م

”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة
تُعنى بصحة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعاج
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وكسيد الأمل في
أن يلتفت مولانا عمالة العكر والثقافة والإصلاح في هــ
البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء،
وعسى أن تسلك مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاء والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى ”مجلة دعوة الحق“ بمناسبة صدورها في شهر يوليو 1957

إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الإسلامية
الملك محمد الخامس طيب الله ثراه

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhaj.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74

فاكس : 05 37 76 17 21

التوزيع : هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ

الخارج : 300 درهم ثمن العدد : 15 دھ

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمنية - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

الأستاذ عبد الحميد العلمي



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



افتتاحية

رمزية عيد العرش بالنسبة للشعب المغربي قمل في هياتها من المعاني ما لا تستوعبه إلا الذاكرة الوصنية، وما تزخر به من أحداث جسام ومواقف عظام استلهمها الوعي المغربي المثقف من تاريخ البصولات المغربية الصويل.

كان يوم 18 نونبر 1933 أول عيد لتربع ملا المغرب على عرش أجداده المنعمين عيد ابتكره الشعب المغربي حتى يبرهن للعكو المستعمر، وهو أذاك في عنفوان سكوته وخصرسته، أن الوحدة المتينة القوية الثابتة بين الأمة وملكها جزء لا يتجزأ من الدين. "وحتى يعيد سياسة الاستعمار القائمة على قبحيم وحدة البلاء". هكذا جاء في جريدة "صوت الشعب" التي كان يصدرها نخبة من الشباب المغربي المثقف الغيور إبان الاستعمار الفرنسي.

عيد العرش إذن، هو يوم عيد الشعب، سنة شعبية ملكية لم تزل تسمو وتزهو وتزهو وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

عيد العرش العميد موعد لتعداء ما حققته المملكة الشريفة من منجزات وما رسمته من آمال ومنحصرات لقلب السنوات، رمزية تبرز فيها الأمة المغربية أواصر البيعة الشرعية الراسنة لمؤسسة إمارة المومنين، مفعيع أمنها ومنلك استقرارها وضمن استمراريتها ورفيقها وعزتها بين أمة العالم.

وبهذه المناسبة الغالية، تتشرف أسرة مجلة "دعوة الحق" أن ترفع إلى المقام العالي بالله أخلص تهانيها وأسمى متمنيات لها بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده على عرش أسلافه الميامين، قرير العين بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي الحسن، وبصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وبسائر أفرام الأسرة الملكية الشريفة، آمين.

رئيس التحرير

عيد العميد العلمي

عيد العرش: دينامية تنويع وشائج الملكية والشعب

د. سمير بوزوينة

عميد كلية الآداب سايس - فاس.

شهدت مبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ بداية طيبة لانبعث حديث ساهم فيه نخب من المغاربة، وبهذا الحماس صار شعار النخبة المنوه بها بعد نجاح العاهل الجديد: العمل للحفاظ على استقلال المغرب، عن طرق تحقيق المطالب الواردة في بيعة فاس، ومن هنا صارت آمال الشباب الحفيظي تتوجه بالدرجة الأولى إلى المطالبة بالإصلاح الدستوري¹.

وقد دشن جلالة السلطان المولى عبد الحفيظ تربعه على عرش أسلافه المنعمين، حيث "احتفل جلالة السلطان بعيد جلوسه على عرش المملكة المغربية، إذ بويغ بمراكش في اليوم السادس من شهر رجب، فاتخذ ذلك اليوم عيداً يجده كل سنة، ظلت المدافع تردد صدى أصواتها سائر اليوم، وأقيمت الأفراح ومراسم الزينة"².

لقد استغلت نخبة الشباب الوطني جميع أشكال التواصل مع السلطان سيدي محمد بن يوسف، ومنها على سبيل المثال لا الحصر طلبة شمال إفريقيا المسلمين الذين طالبوا في مؤتمرهم الثالث المنعقد سنة 1933م بالاحتفال بعيد العرش³. ومنهم من نشر نداءين اثنين: واحد باللغة العربية نشرته مجلة المغرب تحت عنوان "الأعياد الإسلامية"، وآخر باللغة الفرنسية نشرته جريدة لاكسيون دي بوبل L'Action du Peuple، دعا فيهما إلى اتخاذ يوم تاريخ جلوس السلطان على العرش

1 - المنوني محمد، "صور من الانبعث المغربي في عصر السلطان الحفيظ"، مجلة دار النيابة، السنة 5، العدد 17، شتاء 1988م، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1988م، ص. 29.

2 - جريدة الحق، يوم الأحد 16 يوليوز 1911م.

3 - الجراري عبد الله، "ملاحم من أدب عيد العرش"، مجلة دعوة الحق، السنة 18، العدد 2، مارس 1977م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977م، ص. 81.

عيدا وطنيا⁴. ومنهم من استغل جريدة عمل الشعب للدعوة إلى إخراج فكرة جعل عيد العرش مناسبة وطنية⁵.

لقد بادرت جريدة L'Action du Peuple في عددها 12 المؤرخ في 20 أكتوبر 1933م إلى نشر صورة السلطان سيدي محمد بن يوسف بلباس تقليدي، خلف والده السلطان المولى يوسف في 18 نوفمبر 1927م⁶. وواكبت ذلك بنشر مقال يوم 10 نونبر 1933م بعنوان: "عيد العرش" ثمنت فيه دخول مقترح إقامة عيد العرش حيز الإنجاز، وإجماع جميع الأوساط المغربية عليه، وحللت مغزى الاحتفال بالحدث، ونشرت مختلف المبادرات التي تقام بسائر المدن لإحياء الحفل⁷.

يترجم محمد بن الحسن الوزاني الغاية من طرح وإصرار الشباب الوطني لفكرة جعل حدث عيد العرش يوما وطنيا، "... أما لماذا أردنا عيدا للعرش، وذكرى الجلوس الملكي، ولماذا لم يرد المستعمرون من جهتهم شيئا من هذا مطلقا فهو ما يلي: أن الحركة الوطنية الفتية في عام 1933م، وهي السنة التي تأسست فيها جريدة عمل الشعب (شهر غشت)، أرادت أن تلتف، وتلف الأمة جمعاء في البلاد كلها حول العرش والملك الشاب بصفتها، الأول السيادة (السللية المغتصبة بيد المستعمر)، والثاني الرئيس الأعلى الذي تتشخص وتتمركز فيه هذه السيادة التي هي وديعة وأمانة عهدت بها الأمة إليه ببيعة شرعية صادقة... وكنا نرمي بسعينا في سبيل ذكرى الجلوس الملكي، بالإضافة إلى إيجاد عيد وطني سياسي يضاف إلى أعيادنا الإسلامية، تكوين وحدة متينة قوية ثابتة بين الأمة والعرش وبين الملك والحركة الوطنية التي كانت في حاجة إلى تأييد جانبها... كما كنا نرمي بسعينا ذاك إلى إحباط سياسة الاستعمار القائمة على تحطيم وحدة البلاد... وطبيعي أن لا يرام تحقيق هذا كله يومئذ إلا عن طريق الاتحاد المتين بين العرش والأمة، وبين الملك والحركة الشعبية الوثابة..."⁸.

4 - معنينو أحمد، "الاستعدادات الأولى للاحتفال بعيد العرش في 18 نوفمبر 1933م"، مجلة دعوة الحق، السنة 18، العدد 2، مارس 1977م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977م، صص. 117-118.

5 - الوزاني محمد حسن، حرب القلم، الجزء 1، نشر مؤسسة محمد بن حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984م، ص. 91.

6 - الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد...، الجزء 3، م. س، ص. 468.

7 - نفسه، ص. 471.

8 - الوزاني محمد حسن، حرب القلم، الجزء 1، م. س، صص. 92-93.

بادرت الشبيبة الفاسية بمحاولة تنزيل فكرة جعل يوم عيد العرش يوما وطنيا، إذ وضعت يوم الأربعاء 15 نونبر 1933م طلبا في شأن ذلك في مكاتب رئيس البلدية، ونائب رئيس الاستعلامات، ثم الجنرال حاكم الناحية⁹.

وبالرغم من تسويق الإدارة في عدم تلبية هذا الطلب، فقد استمر الشباب الفاسي في التحضير إلى لقاء جماهيري بجنان السبيل يوم 18 نونبر 1933م،¹⁰ فرفع العلم الوطني لأول مرة¹¹، وصور السلطان¹²، ووزعت الحلويات وكؤوس الشاي والقهوة والمشروبات الغازية¹³، وصدحت أنغام الأسطوانات الغنائية. وبعدها نظم مهرجان خطابي، أجمع فيه المتدخلون على "... فضح الأسرار، وتنبيه الغافلين، وتذكير الداهلين، وأعلن في الناس أنهم دعوا بمناسبة (18 نوفمبر) الذي هو يوم بيعة جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف نصره الله وذلك للاحتفال بذكرى جلوسه على عرش أسلافه الكرام..."¹⁴. وفي ختام الحفل، رفع المنظمون برقية إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف، تسلمها يوم 20 نونبر 1933م خليفته بفاس مولاي المامون. وقد رد السلطان ببرقية مماثلة أرسلها الصدر الأعظم نيابة عنه. وبالنظر إلى التجاوب الكبير بين القصر والشباب الفاسي التواق إلى تدشين عهد وطني جديد تهاطلت على القصر رسائل كثيرة¹⁵.

كانت هذه إذن البدايات الأولى التي مهدت لانتصار الشباب الفاسي في معركته الوطنية حيث وجدت سلطات الحماية الفرنسية نفسها مرغمة أمام إصرار هذا الشباب المتعطش إلى استرجاع سيادة وطنه المغتصب¹⁶، وبذلك استصدرت الإدارة الاستعمارية سنة 1934م، قرارا وزيريا في شأن اتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيدا رسميا، ونشر في الجريدة الرسمية¹⁷. وبذلك انتصرت

9 - الوزاني محمد حسن، حرب القلم، الجزء 1، م. س، صص. 94-95.

10 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، م. س، صص. 21-22.

11 - العلوي أحمد بن هاشم، من وراء السدود...، م. س، ص. 79.

12 - بوطالب عبد الهادي، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، م. س، ص. 268.

13 - يؤكد محمد بن حسن الوزاني أن الحفل نظم على نفقة صندوق جريدة عمل الشعب.

14 - الوزاني محمد حسن، حرب القلم، الجزء 1، م. س، ص. 95.

15 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، م. س، ص. 22.

16 - الفاسي علال، الحركات الاستقلالية...، م. س، ص. 163.

17 - "قرار وزيري يؤسس بموجبه عيد التذكار"، الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية، السنة 23، العدد 1149، 2 نونبر 1934م، ص. 1580.

إرادة الشعب وهزمت غطرسة المستعمر، فغدا عيد العرش يوما وطنيا بارزا، وعيدا سنويا للتعبير عن الوطنية الصادقة، وعن قدسية العلاقة التي تربط الشعب المغربي بملكه الهمام. وقد أعقب حدث عيد العرش كحدث غير مسبوق في تاريخ المغرب الزيارة التاريخية التي قام بها جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه إلى مدينة فاس شهر ماي 1934م التي عززت ارتباط القصر بالشبيبة الوطنية، وأشارت على تناغم وتنسيق بين العرش والشعب في سبيل الحرية والاستقلال.

-زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى فاس-

لقد شكلت زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى فاس في 8 ماي سنة 1934م انطلاقة مسيرة النضال الوطني الذي أطره السلطان سيدي محمد بن يوسف شخصيا، وقد كانت فرصة مباشرة لتعبير الفاسيين عن ولائهم من جديد للسلطان، وإعجابهم بزعامته وسياسته وكفاحه ضد المستعمر، وهكذا اكتظت شوارع فاس، ورفعت الأعلام الوطنية فوق أقواس النصر¹⁸.

وانقلبت فاس رأسا على عقب، وخرج سكان فاس عن بكرة أبيهم، وما كاد يظهر السلطان لهم حتى تعالت صيحات الجماهير هاتفة "عاش السلطان، عاش سيدي محمد، عاش المغرب، عاش الإسلام، ولتسقط فرنسا، فليحررنا الله، وليساعدنا السلطان"¹⁹، وازدانت شوارع المدينة، ورفعت الأعلام الوطنية فوق أقواس النصر في طول المدينة وعرضها.²⁰ وتعبيرا من طلبة القرويين وعلمائها الشباب على ما يكونونه للسلطان من حب²¹ اجتهدت شبيبة العلماء في جعل هذه الزيارة مناسبة وطنية يلتف حولها كافة أطراف الشعب المغربي، ويجعل منها الوطنيون منطلقا قويا للتعبير عن متانة الارتباط بالعرش العلوي²². وفي اليوم الثاني كان موعد زيارة السلطان محمد بن يوسف للقرويين وبعض الأضرحة المحترمة وفقا لتقاليد البلاد²³ وهي ضريح مولاي إدريس الأزهر، وضريح سيدي

18- عبد الرحيم بن سلامة، كفاح المغرب من أجل الحرية والديمقراطية، سجل لأهم الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية للمغرب، مكتبة دار السلام الرباط، الطبعة الأولى، 2006م، ص. 153.

19 - J. ladreit de la charrière, « Les événements de Fès », Revue l'Afrique française ; année Mai 1934, N° 5, p. 267.

20 - ابن سلامة عبد الرحيم، كفاح المغاربة... م س، ص 153.

21 - المريني عبد الحق، مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من عصر الحسن الأول قدس الله روحه إلى عصر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، مركز الدراسات والبحوث العلوية، دار المناهل للطباعة والنشر، 1996م، ص 386.

22 - Jalabert louis, « le nationalisme marocain » Revue Etudes, 87eme année, Tome 220, juillet - out-Septembre 1934, imprimerie j. Dumoulin, Paris 1934, p. 435.

23 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الطبعة الخامسة مصححة 1993م، مطبعة النجاح، ص 184.

أحمد التيجاني، وضريح سيدي أحمد الشاوي، وضريح سيدي أبي بكر بن العربي خارج سور المدينة، وضريح والدته بزاوية الصقليين بالبلدية²⁴.

لقد حظيت هذه الزيارة بتغطية صحفية مكثفة وذلك بالنظر إلى طبيعة الزيارة التي سوف تدرج عهدا وطنيا جديدا في مسار الدولة المغربية. فبادرت جريدة L'écho du Maroc إلى وصف الرحلة السلطانية من مكناس إلى فاس²⁵.

أما جريدة Le petit marocain فقد رصدت أجواء الترحيب بقدوم السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى مدينة فاس لإحياء عيد العرش المجيد، واستمرت الحشود الفاسية تهتف باسم السلطان طيلة الزيارة²⁶. وبالنظر إلى حجم قدسية العلاقة التي عبر عنها أهل فاس خلال زيارة سلطانهم إلى مدينتهم، بادرت سلطات الحماية إلى محاولة خلق الهوة بين السلطان وشعبه، إذ أمرته بإدانة ما نعتته بأعمال الشغب والفوضى، أو الطائشين بلغة جريدة السعادة²⁷. ولم تقف سلطات الحماية عند هذا الحد بل حاولت أن ترغم السلطان سيدي محمد بن يوسف أن يصدر الأمر باعتقال الشباب الذين صدرت منهم هتافات معادية لفرنسا، وبحجة ذلك، تغير برنامج الزيارة الذي كان يتضمن إقامة صلاة الجمعة بمسجد القرويين، فتم إلغاؤها والاكتفاء بالصلاة في مسجد القصر الملكي²⁸. وجاء الرد السلطاني سريعا حيث رفض كل اقتراحات سلطات الحماية، وأبى إلا أن يصطف ويتقدم صفوف الوطنيين. ومرة أخرى سوف تستغل سلطات الحماية فرصة سفر السلطان سيدي محمد بن يوسف وأصدرت بلاغا على لسانه تزعم: "إن الملك غادر مدينة فاس استنكارا لأعمال مثيري الشغب وما أظهره من عواطف معادية لفرنسا التي يرغب السلطان الحفاظ على صداقتها"²⁹. وسرعان ما كذب السلطان سيدي محمد بن يوسف مضمون البلاغ، حيث استدعى إلى قصره

24 - الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد، م. س، ج الرابع، ص. 24 الفاسي علال، الحركات... م. س، ص 184.

25 - LE SULTAN A FES, Le petit marocain, N. 5958 , 9 mai 1934

- S.M. le Sultan est arrivée à Fès L'écho du Maroc, N. 77539 mai 1934

- Après l'inauguration de la ligne oujda- Fès, L'écho du Maroc , N. 7770, 26 mai 1934.

26 - A la suite d'incidents S.M. le Sultan abrège son séjour à fès et regagne rabat, Le petit marocain, N. 5960, 11 mai 1934

27 - جريدة السعادة، 12 ماي 1934م.

28 - عبد الرحيم بن سلامة، كفاح المغرب من أجل الحرية، مرجع سابق، ص. 153.

29 - A la suite d'incidents S.M. le Sultan abrège son séjour à fès et regagne rabat, Le petit marocain, N.7755 , mai 1934

بالرباط زعماء كتلة العمل الوطني، وأبلغهم عن طريق الصدر الأعظم بأن جلالتهم لم يخرج غاضبا من فاس، بل خرج مبتهجا مسرورا لحفاوة الاستقبال الحار، وقد فضل الرجوع إلى الرباط شفقة على رعيته من أن تمتد إليها يد المستعمر بسوء³⁰.

تُعد الزيارة التاريخية للسلطان سيدي محمد بن يوسف إلى فاس، إحدى الإشارات الهامة التي التقطها السلطان الشاب والتي ساهم في تدبيرها رجال الحركة الوطنية، حيث عاشت مدينة فاس عرسا وطنيا لم يسبق له مثيل، ومن ثمة، أطلق على السلطان سيدي محمد بن يوسف "سلطان الشباب"³¹. وبعدها تواصلت مظاهر الارتباط والتلاحم بين العرش والشعب في محطات عديدة انطلاقا من أحداث سنة 1937م وانتفاضة سنة 1944م التي اندلعت تنديدا بالتعسف التي لحقت رجال الحركة الوطنية الذين تقدموا بعريضة المطالبة بالاستقلال، ثم الزيارة التاريخية لمدينة طنجة في 9 أبريل 1947 التي كانت بمثابة النقطة التي أفاضت كأس الصدام بين القصر والإقامة العامة والتي ستنتهي بنفي السلطان الشرعي للمغرب في 20 غشت 1953م.

- نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف

ما إن أطلت سنة 1951م، حتى برزت بوادر الأزمة بين القصر والإقامة العامة الفرنسية، وازدادت حدتها عندما امتنع السلطان سيدي محمد بن يوسف عن توقيع الظهائر، فدخلت بذلك العلاقة بين السلطان والمقيم العام "جوان" منعطف الاصطدام، ووصلت حدتها درجة التهديد بالتوقيع على الظهائر أو التنازل عن العرش. وتأقي ذكرى جلوس السلطان سيدي محمد بن يوسف على عرش أسلافه المنعمين، يوم 18 نونبر 1952م ليخاطب شعبه ويشبته على الصبر. وقد زادت هذه التصريحات من تعميق الهوة بين السلطان والمقيم العام الجنرال غيوم، ولم يبق لسلطات الحماية إلا باب القمع والبطش بالحركة الوطنية، كمدخل أولي لمخطط عزل السلطان. وعلى إثر أحداث الدار البيضاء التي أعلن فيها رجال الحركة الوطنية تضامنهم مع كفاح الشعب التونسي احتجاجا على اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد في دجنبر 1952م. وبذلك انطلقت ثورة الشعب المغربي قاطبة ضد الاستعمار الفرنسي، وقد شكلت هذه المناسبة فرصة سانحة لاعتقال زعماء الحركة الوطنية

30 - عبد الرحيم بن سلامة، كفاح المغرب من أجل الحرية، مرجع سابق، ص. 153.

31 - محمد خير فارس، تنظيم الحماية بالمغرب 1932-1939م، ص. 467.

والتنكيل بهم ونفيهم، وحل حزب الاستقلال ومنع الصحف الوطنية، ولم تقف الإقامة العامة عند هذا الحد، بل شرعت مباشرة في التخطيط لنفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، وقد تم ذلك يوم 19 غشت 1953م حيث تقرر إصدار الأمر للجنرال غيوم بتنفيذ أمر نفي السلطان، وجاء يوم 20 غشت حيث انعقد مجلس الوزراء في باريس وتقرر إبعاد السلطان محمد بن يوسف من المغرب.

لقد كان لهذا الحدث وقع كبير في نفوس المغاربة قاطبة. فانطلقت شرارة العمليات الفدائية في ربوع المملكة المغربية عامة وبمدينة فاس على وجه التخصيص، وفي هذا الصدد نفذت مجموعة كبيرة من الاعتداءات والاغتيالات في صفوف المتعاونين والخونة. وصدرت الأحكام قاسية في صفوف منظمة اليد السوداء تراوحت بين الحكم بالمؤبد مع الأشغال الشاقة (إدريس بن عبد القادر "خربا"، أحمد بن الحسن "الكحلاوي") والحكم بالإعدام لفائدة: (محمد بن محمد بن عبد السلام الحياي، أحمد بن عبد السلام العراقي، محمد بن محمد المدعو "بن عبد الله"، محمد بن محمد السلاوي "ابن الراضي"، محمد بن مولاي أحمد السعيد، محمد بن الحاج بنشقرون، عبد السلام بن محمد الفيلاي "شلوان"، محمد بن علي المريني "المريكاني"...). وفي فاتح ماي 1954م تم ترحيل المجموعة الفدائية من سجن عين قادوس إلى سجن الغدير الفلاحي لتنفيذ حكم الإعدام في حق السيد محمد بن الراضي السلاوي، ومحمد بن أحمد الحياي وعبد العالي بن محمد بنشقرون وابن عمه عبد العزيز بن إدريس بنشقرون³². أما الفدائيون المنضوون في تنظيم خلية عبد الله الشفشاوني، فقد صدرت في حقهم الأحكام التالية: (عبد الله الشفشاوني والوديعي الإعدام) وبالأشغال الشاقة المؤبدة: (حميد الجاي)، و(الصنهاجي بـ 20 سنة من الأشغال الشاقة)، و(بشير شجاعدين: 10 سنوات سجن)، و(عبد السلام السباعي: 4 سنوات سجن) و(محمد الجندي: 3 سنوات سجن)، و(عبد اللطيف غانم: سنتين سجن)³³.

لقد نجحت الحركة الوطنية بمختلف أشكال نضالاتها أن ترضخ فرنسا للتفاوض وقد تآتى لها ذلك في مفاوضات إيكس ليان "غشت 1955م، لكن انطلاق العمليات العسكرية الشاملة لجيش

32 - « Six Terroristes condamnés à mort, ont été fusillés », Journal, **LA VIGIE MAROCAINE**, N° 15588, Mardi, 4 Janvier 1955, page 1.

33 - لوكران، جان شارل، أيتها العدالة يا موطن الإنسان، تعريب الأستاذ: أحمد مجيد بن جلون، شركة بابل للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الثالثة، 1989م. ص. 261.

التحرير المغربي في الشمال والجنوب والخسائر الكبيرة التي تعرضت لها القوات الاستعمارية، عجلت من عودة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى عرش أسلافه المنعمين يوم 16 نونبر 1956م، وأعلن في خطاب العرش انتهاء عهد الحجر والحماية، وبزوغ فجر الاستقلال والحرية. فتم حينئذ تشكيل حكومة وطنية ائتلافية، وفي 2 مارس 1956م، أكدت فرنسا علانية اعترافها باستقلال المغرب وتلاها بروتوكول مماثل مع إسبانيا في 7 أبريل 1956م، كما تم استرجاع السيادة على طنجة في 29 أكتوبر من السنة ذاتها.

عيد العرش في مرآة الحركة الوطنية: فجيح أنموذجاً

د. محمد بوزيان بنعلي

رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم فجيح.

قليل ما هم أولئك الذين يعلمون أن أجدادنا فرض عليهم النضال منذ قرون عديدة ليحافظوا على هويتهم وانتمائهم. ولعل أول المواقف النضالية المؤثقة كتابيا يعود إلى أواخر القرن التاسع الهجري حينما حاول الأتراك أن يستولوا على فجيح، فهب رجال قصورها هبة رجل واحد لمنعهم، وتكررت المحاولات غير ما مرة دون تحقيق مطامعهم، وهكذا في كل مرة كان أجدادنا القوالب أوفياء للشرعية، وكانت فجيح قلعة تنفث الدمار في وجه الطامعين والأعداء، واستمرت على ذلك النهج وفيه لميثاق الانتماء والبيعة والولاء إلى أن نال المغرب استقلاله وحريته، ونصيب الفجيجيين في تحقيقه والنضال من أجله لا يستطيع أحد أن يبخسه أو يغض عنه الطرف.

■ أشكال النضال:

اتخذ نضال رجالات الوطنية بالمغرب عامة وفجيح خاصة أشكالاً متنوعة ومتعددة، يبقى "عيد العرش" من أهمها وأشدّها التصاقاً بالذات المغربية، نظراً لما كانت تحمله بداياته من تناقض مستغرب مفروض، إذ عادة ما لا يتجلى العيد إلا مرادفاً للبهجة وكل مظاهر الفرح والاحتفالية الممكنة، ولا يكون نضالاً ولا جهاداً.. ولكنه في المغرب كان كذلك!

• احتفالات عيد العرش:

يعتبر عيد العرش من أقدم المناسبات الوطنية وأجلّها، وأعظمها رمزية، وأوضحها تعبيراً عن انتماء المغاربة وتشبّثهم بالشرعية، فبعد حوالي ثلاث سنوات عجاف على صدور الظهير البربري المشؤوم، وبالتدقيق في الثامن عشر من يونيو 1933م، انطلق أول احتفال شعبي غير رسمي بذكرى جلوس الملك محمد الخامس قدس الله روحه على عرش والده المولى يوسف رحمه الله.

ومنذ ذلك الحين والمغاربة يستعذبون هذه الذكرى المجيدة، ويتحینون يوم حلولها، ويستعدون لإحيائها، وهي تنتقل من مدشر إلى قرية إلى مدينة حتى عمّت سائر أرجاء المغرب، وغدت تقليداً سنوياً مرغياً، دون إحيائه خرط القتاد: فقد كانت السلطات الاستعمارية تستعدّ لقمعها بمدنيّتها وعسكريّتها وعملائها، موظفة في ذلك أعتى عتاد وأشرس أسلحة.

لكنها لم تكن تدري أن قمعها الوحشيّ كان هو المحرك القويّ لتنامي الوعي الوطني السليم الذي أخذ يتبلور سريعاً منذ الظهير البربري، مع ظهور نخبة نشيطة من العلماء والفقهاء والمثقفين، ساهموا دون كلل في تأطيره في المراكز الحضرية كما في الأطراف والأرياف.

لم يكن أباًؤنا يحتفلون بذكرى عيد العرش المجيد كما نحتفل بها الآن في أجواء ترفرف عليها الفرحة والاستبشار، ويحيط بها الأمن والأمان من كلّ جانب. إن احتفالهم كان من أعتى أشكال المقاومة والنضال، يعلمون ذلك حقّ العلم، لكنهم يستعدّون له بالتحديّ والمواجهة المكشوفة، يسفرونها ما شاءوا وخطّطوا له من أنماط الأذى النفسي والجسدي من منافٍ وسجونٍ وتعذيبٍ تحملوه بصبرٍ وجلدٍ، أحدث أثراً عكسياً في مخططات المستعمر، وضاعف من غيظه، وأمدّ سياسته المتنمّرة بشحناتٍ مسمومةٍ من الرغبة في إحكام الحصار. والأخذ بمختلف ألوان الانتقام.

ولئن كان تحقيق ذلك محفوفاً بشيءٍ من الصعوبة والتعقيد في المراكز الحضرية الواسعة المأهولة كالدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ومراكش ووجهة وسواها، فإن المدن الصغيرة التي لم يكن يتعدّى سكانها بضعة مئات أو بضعة آلاف، لم تأخذ ذلك في الحسبان ولم تعتبره؛ لأن منسوب الهوية الوطنية كان أعلى بكثيرٍ من التفكير في ذلك، بله الإحجام عن الانتفاضة والمواجهة.

ولقد سطر أبناء هذه المواطن الصغيرة بلا استثناء تاريخاً مشرفاً جداً، وبرهنوا على أنهم كانوا كباراً لا يتقاصرون رتبة ولا منزلة عن أبناء الحواضر الكبرى، ولم يتقاصرون والجامع بينهم واحد؟! لقد وحد عيد العرش المغاربة وجعلهم كتلةً واحدةً تنطلق في نضالها من بؤرة واحدة يختفي فيها التصنيف إلى مركز وطرف، وكان المغاربة على قلبٍ وعقلٍ وزنادٍ رجل واحد.

والواقع أنّ تفصيل تاريخ الاحتفال بعيد العرش في سائر أنحاء الوطن، والإحاطة بما رافقه من تجليات يؤثثها في غالب الأحيان عنفٌ عنيفٌ وقسوةٌ قاسيةٌ غاية لا تُدرَك، لكننا قد نجد في نموذجٍ واحدةٍ فجيح صورة أمانة تنوب عن غيرها عامة وعن المراكز الصغيرة النائية بصفةٍ خاصّة،

هاته المراكز التي لا زال كثيرٌ من الناسٍ يعتقدون أن دورها في الحركة الوطنية كان صغيراً مثلها، وأن الحواضر الكبرى هي التي تحملت العبء الأكبر في استرجاع الحرية والاستقلال، وتلك مغالطةٌ فاحشةٌ يجب أن تختفي إلى الأبد. ولن تختفي طبعاً إلا بإعادة النظر في تاريخ الحركة الوطنية وإعادة تمحيصها وتقويمها وصولاً إلى متوج جديدٍ يعطي لكل ذي حقَّ حقه..

في فجيح إذن، عاشت نخبةٌ جليلةٌ القدر من الوطنيين، حملوا بإخلاصٍ ووفاءٍ همَّ المغرب الواحد الذي لا يفرق بين مكوناته البشرية منذ أن فعلها الظهير البربري، بادئين برفضه جملةً وتفصيلاً في رسالةٍ واضحةٍ صريحةٍ إلى المقيم العام آنذاك لوسيان سان (Lucien Saint).

ومن ذلك الوقت وهم يواكبون التطورات المتسارعة في الداخل، بفضل التواصل المستمر مع كوكبة من الفجيجيين الذين كانوا ينشطون هناك على نحوٍ مسطورٍ في عددٍ من المذكرات والسير؛ وهكذا لم يتأخر وصول نبأ الاحتفال بعيد العرش إلى قصور الواحة، ليتلقفه رائد النهضة الوطنية بفجيح الحاج محمد بن فرج رحمه الله (1900 - 1964م) ويتخذهُ شعاراً في مواقفه الباسلة التي عجّلت من غضب فرنسا عليه، فعزلته عن القضاء أولاً، ثم نفتته إلى مشرية في الجزائر.

ترك هذا الرائد المنفي خلفه ثلّةً من شبابٍ متحمسين، واصلوا بعده حمل الشعار الخالد، واستمرت معهم مسيرة الاحتفال بعيد العرش، لكن بنوعٍ من التقيّة والتخفي، فكانوا يكتفون بإحياء الذكرى داخل المنازل في حذرٍ واحتراسٍ. ومع ذلك نجح العملاء في فضحهم، وتعريضهم للتعذيب والسجون.

سيتغيّر الوضع بعد تقديم وثيقة الاستقلال، وعودة الرائد إلى أحضان فجيح، وتبدأ دورة جديدة من النضال الفاعل، ميّزه التنسيق بين وطنيي فجيح وإخوانهم في الداخل، تنسيقاً أسفر عن تنوع أشكال النضال، فزيادة على الاحتفال بذكرى عيد العرش، أسست بفجيح أول مدرسة حرّة في نهايات عام 1946م، وخاض شبابها وكهولها وشيوخها أنماطاً متنوعة من النضال ستعرض لها باختصارٍ بعد حين.

وعوداً إلى عيد العرش، نوّكد أننا عثرنا في أضياب الأرشيف الفرنسي على شواهد كثيرة تعجّ بعشرات الأسماء، شاركوا بحماسٍ واندفاعٍ في إحيائه، متحدّين في ذلك قوتهم الغاشمة، وسيطرتهم

الكاملة على مجريات الأمور بالقصور، وسرعة وصولهم إلى الوطنيين، والأساليب الوحشية التي عاملوا بها من قبلهم..

ولكثرة عددهم يُخيّل للمرء أن جميع الفجيجيين كانوا يغشون ساحات الاحتفال، ولم يكن للإدارة الفرنسية بُدٌّ من المحاكمات الجماعية، التي تكون فيها الأحكام جاهزة، فللرؤوس النفي أو السجن الطويل، وللاتباع حبسٌ يمتد إلى نصف العام.

أما التقارير والمحاضر التي تتمخض عنها المحاكمات فتكادُ تتشابه في ديباجتها وحيثياتها ولغتها ومنطوق حكمها، مما يجعل إعطاء مثال واحد كافياً لأخذ فكرة عن الظروف التي كانت تحيطُ بها.

وليكن المثال هو قصر زناقة، أكبر قصور فجيج على الإطلاق، على أن نحتفظ بنماذج القصور الأخرى إلى موضوع وطني آخر:

• نموذج من تقرير السلطة المحلية: "إن المسمّين:

- محمد بن العربي بن البشير بن بوراس

- بناصر بن عبد المالك بن بزة

- ملال بن سهول بن مرزوق

- أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق

- الحاج هكو بن العرابي

- أحمد بن عبد السلام بن لالي

من قصر زناقة كانوا يترأسون بتواريخ 18 و 19 و 20 نونبر 1952م، بساحة زناقة الكبيرة بعض الحفلات، مخالفة للاتفاق الفرنسي المغربي، ولأوامر القرار الوزيري المؤرخ بـ: 26 أكتوبر 1934م الموافق 16 رجب 1353هـ المؤسسة لعيد العرش.. فقد نطقوا بخطاب وأغان تدل على الفتنة، وهتفوا بحياة عبد الكريم وعلال الفاسي ومصالي الحاج وبوركية... وكانوا يشجعون على هذه النداءات، ويصفقون لإطلاقها.. إن العقوبة الجارية عليهم من لدن الباشا بتاريخ 27 نونبر 1952م، هي ثلاثة أشهر سجنًا ثابتة، وإن الاستئناف لن يقبل منهم..."

بهذه الروح النضالية المفعمة بمشاعر العزة وقيم الانتماء كان المغاربة قاطبةً يحتفلون بذكرى عيد العرش المجيد، الذي تحوّل بعد نفي رمز البلاد جلالته المغفور له محمد الخامس وأسرته الكريمة إلى شعلةً ملتهبةً اقتبس منها المغاربة أجمعون لإحراق جبروت المستعمر. ولم يُطفئ لهيبها إلا بزوغ فجر الاستقلال، ليستمر الاحتفال بالذكرى في أجواء مغايرة، وتبدأ دورة أخرى من الجهاد الأكبر، هو جهاد البناء الذي تنهاهى فيه الأصالة بالحدثة، والذي بلغ طوراً غير مسبوق في عهد أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله وأيده.

وإلى ذلك، أفاض الأرشيف الفرنسي في الحديث عن أشكال أخرى من النضال، خاضها المغاربة عامةً والفجيجيون خاصةً بنفس الحماس والتحدّي اللذين كانوا يحيون بهما عيد العرش، من أهمها:

• التجمعات المحظورة:

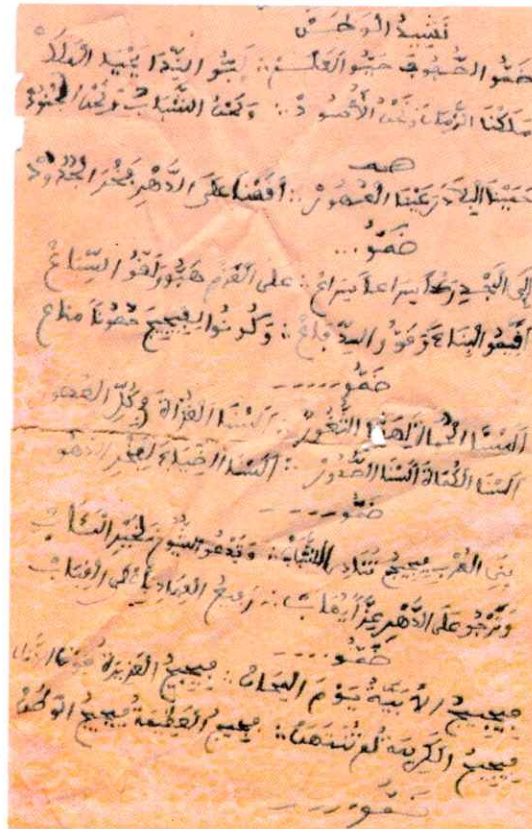
كان الوطنيون يعقدون عدداً من اجتماعاتهم النضالية داخل المنازل يتدارسون فيها وضع المدينة وينسقون جهودهم لمواجهة الاحتلال، ولم تغفل السلطات الفرنسية عنهم، بل أرسلت وراءهم عيونها وعملاءها الذين استسلموا لإغراءات المحتل.. والتهمة التي توجه لكل من أدانوه تكون عادة تحت عنوان: (اجتماع سري دون رخصة) كما سيتبيّن لكم من المثال الآتي:

في السابع من شهر ماي 1952م، صدر حكم جنائي كان المدّعي فيه هي: النيابة العمومية، والمتهم هو: الجيلالي بن باز، المدعو "لالي بن باز"، من فرقة أولاد رحو، حومة بني داريت، قصر زناكة.. يقول ملخص الحكم الجنائي: "بناء على ثبوت الاجتماع السري الذي عقده المتهم (كذا) بمنزله، بدون رخصة، حكمنا عليه بثلاثة شهور سجن، حكماً حضورياً بتاريخ 7 ماي 1952م، والسلام.."

• إغلاق الدكاكين:

من مظاهر النضال مسارعة التجار والحرفيين إلى إغلاق دكاكينهم ومحلات اشتغالهم استجابة لنداء الوطنيين. رغم كون ذلك مصادر حيويةً لأرزاقهم، وسبباً لاستمرار حياتهم. وقد لاحقت الإدارة المحلية هذه الفئة بلا هوادة، وتوبعوا، وتعرضوا للتضييق والمساءلة والسجن، وبإمكاننا أن

نقدم على ذلك أمثلة متعددة، تقتصر منها على الحكم التالي: "إن المسمى إبراهيم بن مبارك بن عبد الحق، من قصر زناكة، فرقة أولاد عمر بن عثمان، قد أغلق دكانه بتاريخ 13 دجنبر 1952م؛ لكي يبين خضوعه للأمر الصادر من حزب الاستقلال. فقد اعترف المتهم بالأفعال المعاتب عليها. فقد حكم خليفة باشا فكيك في الجلسة التي انعقدت بتاريخ 18 دجنبر عام 1952م على إبراهيم بن عبد الحق بثلاثة أشهر سجنًا؛ لتخلفه عن قرار باشا فكيك عدد 14 المؤرخ بـ: 1952/12/12م الملحق بملف أوراق القضية، مصحوبا بترجمته إلى الفرنسية، المانع غلق دكاكين الأطمعة في غير وقت، والدكاكين المستعملة فيها التجارة الواجبة من أجل الحياة الاقتصادية. فنكد عظيم قد عكّر معيشة القصر بسبب الغلق الواقع بدكاكين الأطمعة، بحيث أن عدة مغاربة يتمنون كعادتهم كل يوم من السلع الضرورية. وعليه سيطلب المندوب المخزني لدى محكمة باشا فكيك إثبات الحكم بلا شرط ولا استئناف، ويظن أن هذا الاستئناف غير ممكن قبوله بحيث أن العقوبة الصادرة لا تجوز ثلاثة أشهر".



نشيد وطني لأحد الوطنيين الفجيجيين

• مقاطعة الأعياد الدينية:

وهذا لا يحمل في طياته تنكراً للدين أو سنة الرسول عليه السلام- والعيادُ بالله- فكل الوطنيين كانوا معززين بإيمانهم القوي، ولولا ذلك ما استرخصوا أرواحهم، وندبوا أنفسهم للدفاع عن الوطن، ولكن الدعوة إلى عدم إحياء هذه الأعياد كان ردّاً ألبياً وشامخاً على نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953م من قِبَلِ الوطنيين الذين أصروا ألا يكون في المغرب عيداً إلا مع عودة الملك الشرعي. وهذا التحريض يصنفه الادعاء العمومي في خانة ما يسميه حرفياً: "التآمر ضد الأمن العام" ونماذجه كثيرة، نمثل لها بالإشارة إلى شخص الحسين بن محمد بن فنزار الزناكي، جاء في حيثيات إدانته بشهر سجن نافذا: "كان مواظباً على التحريض ضد إقامة عيد الأضحى، سُجن المتهم مرتين لتهمة سياسية:

المرة الأولى: شهر سجننا في تاريخ 20 أبريل 1953م على مخالفة القرار الوزيري المؤرخ 26 أكتوبر 1936م.

المرة الثانية: شهرين سجننا بتاريخ 25 غشت 1953م، على جمعية سرية.

ومن أشهر ما سجلته تحقيقات الفرنسيين في هذا المجال، ما وقع في عيد الأضحى الذي وافق يوم السبت 30 يوليوز 1955م، حيث قام مجموعة من الوطنيين بقصر زناكة بإلقاء قارورة بنزين حارقة، على جموع المصلين، لا لإيقاع الضحايا ولكن لإرباكهم وإحداث الاضطراب في صفوفهم، لأنهم كانوا يطلقون النداءات على مقاطعة كل احتفال مهما كان نوعه حزناً على نفي رمز الوطن. وهؤلاء المناضلون أغلبهم كانت له ارتباطات مباشرة بخلايا الدار البيضاء والرباط وغيرهما من المدن، وقد مهد هؤلاء لتنفيذ العملية باجتماع عقد في ليلتي السابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر يوليوز، ترأسه المدعو "عبد الرحمان بن عراف بن دحو" الذي جاء من الدار البيضاء، وحضره خمسة عشر مناضلاً، وصفهم الفرنسيون بأنهم أخطر المتطرفين، واتفقوا على نهج كل السبل لعرقلة إحياء عيد الأضحى، لأنه أمر لا يستقيم ورمز البلاد خارج وطنه بعيداً عن شعبه والمستعمر الفرنسي كان يطلق كل النعوت القدحية والمشينة ضد الوطنيين الأحرار الذين حملوا على عواتقهم مهمة النضال من أجل عودة الملك الشرعي من منفاه.

كلمة الختم:

هذه خمسة أشكال من نضال آبائنا، سلكوا أشكالاً غيرها لم يسعفنا الوقت لتتبعها، منها: تنظيم المظاهرات ضد الوجود الفرنسي، توزيع المناشير المحرّضة على المقاومة، التغني بالأنشيد الوطنية الحماسية، تعليق الأعلام الوطنية، سرقة الأعلام الفرنسية وتمزيقها، الدفاع عن الوطنيين في المجالس، القيام بأعمال دعائية ضد الوجود الفرنسي...

بقي علي في ختام هذه المقالة أنؤكد أن جلّ الوثائق المستشهد بها، يعود تاريخها إلى عام 1952م، فما منشأ هذا الاتفاق العجيب؟

جواب ذلك بسيط، وهو أن هذا العام كان يصادف العيد الفضي للعرش، وهو مرور خمسة وعشرين عاماً على تربيع المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه على عرش أسلافه. وكانت مناسبة التحم فيها المغاربة لإحيائها بالاحتفالات والتظاهرات والمهرجانات التي جُنّ لها جنون المستعمر الفرنسي، فأخذت تنكل بكل من ترأسه أو شارك فيه أو هتف من أجله...
رحم الله تلك الأبدان وأسكن أرواحهم في فرديس الجنان.. آمين.

عيد العرش المجيد: ذكرى غالية بإنجازات زاخرة

ذ. منير روكي - برشيد

يحتفل الشعب المغربي قاطبة في هذه الأيام بذكرى عيد العرش المجيد التي تشكل محطة رئيسية تجسد الالتحام الكبير بين الشعب والعرش العلوي المجيد، خاصة وأنها مناسبة غالية يستحضر فيها أسمى مظاهر الفخر والاعتزاز، وقوة ومثانة الالتحام الكبير الذي ما فتى يجمع الشعب بالعرش، على امتداد جميع مراحل بناء صرح مملكة الرخاء والازدهار وأهم المنعطقات الحاسمة والمواقف الصعبة من تاريخ الأمة.

تأتي هذه الذكرى المجيدة يوم 30 يوليوز من كل سنة، لتسلط الضوء على أواصر المحبة القوية، وتعلق الشعب المغربي الراسخ بجلالة الملك محمد السادس نصره الله، رمز الأمة وموحدها، وباعث نهضة المغرب الحديث، الذي تمكن بفضل حنكة وتبصر وسداد رؤية جلالته وتجنّد أبناء هذا الوطن الأبي، من شق طريق التقدم والازدهار بكل عزم وثبات.¹

نحاول في هذه الورقة تسليط الضوء على مثانة العلاقة التي تربط بين العرش العلوي المجيد والشعب المغربي من خلال الوقوف على الدلالات والمعاني التي تحملها هذه الذكرى الغالية وما تبرزه من رمزية خاصة، كما يشكل هذا المقال لحظة مهمة للوقوف على الإنجازات الرائعة التي تحققت على يد باني الأمة ورائدها في الذكرى الثانية والعشرين لتربعه على عرش أسلافه الميامين خاصة وأن عيد العرش مناسبة مناسبة لتقييم المنجزات التي لا يفتر طموح المغرب لتحقيق المزيد منها، وهو وقفة تأمل وتقييم موضوعي وعقلاني للنهج التنموي الشامل والمتكامل والمستدام، الذي يسير عليه المغرب، منذ تولي جلالة الملك العرش، لتحقيق التطور الاجتماعي والاقتصادي المنشودين، وما حققه من إنجازات عظيمة لتحقيق الاستقرار السياسي ودعم البناء الديمقراطي ودولة المؤسسات.

1 - للمزيد يراجع: طاهيري، مولاي هاشم، عيد العرش المجيد: السياق والمقاصد، دعوة الحق ع. 422، 2017م، ص. 65-76.

أولاً: عيد العرش المجيد: تاج أعياد المغاربة

حين نتأمل ملياً في مغزى هذه الذكرى الغالية نجد أنها غنية بالمعاني والدلالات التي تهدف جميعاً إلى ترسيخ مفاهيم ومقومات التجديد والاستمرارية وفتح أبواب الأمل والرجاء وتحقيق الطموحات والغايات، فذكرى عيد العرش المجيد كما هو معلوم، مجال لاستحضار المواطن المغربي لذلك العهد المكين الذي يربطه بعاهله المفدى والرباط الوثيق الذي يجمع بين العرش والشعب في صورة متناغمة ومتناسكة من ملك لآخر ومن عهد لآخر على مدى الأجيال والقرون. كما تشكل مناسبة طيبة أيضاً لتجديد الإرادة والعزم لمواصلة الطريق واستئناف المسير بعد سنوات من الحكم حافلة بالمنجزات والعطاءات الباهرة التي رأت النور في هذا العهد الميمون².

وفي هذا السياق، ذكر السيد المريني، في حديث خص به وكالة المغرب العربي للأنباء، بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله عرش أسلافه المنعمين، أنه لما أشرقت شمس الحرية والاستقلال على المغرب بفضل جهاد العرش والشعب، أصبح العرش منذ عهد محمد الخامس رحمه الله، إلى عهد جلالته الملك محمد السادس نصره الله، عماد الدولة المغربية، ورمز سيادتها وضمان وحدتها وقوتها، وقائد نهضتها ونموها.

وبخصوص الدلالات الرمزية الكبرى والمغازي العميقة التي يشكلها الاحتفال بعيد العرش، من حيث هو مناسبة لتجديد العهد بين العرش والشعب على الاستمرار في بناء المغرب وعزته وسؤدده، قال الأستاذ عبد الحق المريني إن هذا العيد يعد على رأس الاحتفالات الوطنية، التي طبعت تاريخ المغرب قديماً وحديثاً، وانتقل هذا العيد من عيد السلطان وعيد الجلوس، وعيد التذكار إلى عيد العرش.

إن الاحتفال بعيد العرش المجيد ساهم في توريث قيم التشبث بالمقدسات الوطنية وعلى رأسها نظام الملكية، وقائدها المتبوأ عرشها الذي يقودها نحو العزة والكرامة والنماء، ذلك أن العرش المغربي هو رمز الاستمرارية في أجل معانيها وأنبأ مقاصدها³. في هذا الصدد، إن جلالته

2 - حسن عزوزي، عيد العرش المجيد رمز التجديد والعطاء، دعوة الحق، العدد 353، ص 137.

3 - مشان محمد، عيد العرش المجيد تاج أعياد المغاربة: بيعة شرعية وعهود مرعية، دعوة الحق، ع. 428، 2019م، ص. 131-

الملك محمد السادس نصره الله حرص على تعزيز مكانة المغرب بين دول العالم، يوطد أركان الدولة المغربية، ويفتح آفاقا جديدة للمغاربة للتمتع بكافة الحقوق المخولة لهم، ولمحو أسباب التخلف بكل أنواعه وأشكاله، والسير على نهج الرقي والتجديد ومسيرة تطور العصر ونهضته، وزرع بذور الأمل على أرض المغرب الخصبة المعطاءة⁴.

من جهة أخرى بين الأستاذ المريني أن شعار "الشعب بالعرش والعرش بالشعب"، الذي ساهم في إذكاء جذوة النضال من أجل الحرية والانعقاد، كما سيظل اليوم حاضرا، ضمنا لمستقبل مزدهر تحت القيادة الحكيمة لجلالة الملك نصره الله، أساسه البيعة التي تقتضي الترابط المتين الذي لا تشوبه شائبة⁵، مبرزا أن البيعة هي عقد وعهد بين أفراد الأمة المغربية وولي أمرهم على مدى حقب دولهم، فهي ميثاق دستوري ببعديه الديني والسياسي، ورباط وثيق يجمع بين الشعب وسلطانة في السراء والضراء، عماده الإيمان بالله وحب الوطن والتمسك بالنظام الملكي، والدفاع عن الوحدة الترابية للمملكة⁶.

وتعد ذكرى عيد العرش المجيد مناسبة لتأكيد الوفاء الصادق الذي يتبادله العرش والشعب، وتجديد العهد المقدس الذي يلحم بينهما بأواصر البيعة الشرعية المتجذرة منذ قرون، والتعبير عن الالتزام المتبادل بين الملك والشعب لرفع التحديات وتخطي المعوقات كيفما كانت طبيعتها. كما تعتبر هذه الذكرى احتفالا سنويا لتجديد روابط البيعة بين الملك والشعب، يوليه المغاربة، سواء داخل المملكة أو في الخارج، اهتماما سنويا كبيرا لبعده الرمزي الوطني، ولكونه يعد مناسبة وطنية ذات أبعاد سياسية عميقة يحدد فيها الشعب المغربي الولاء لملك البلاد باحترام وتقدير كبيرين، كما أن هذا العيد هو رمز للوحدة الوطنية والعلاقات الوجدانية والروحية، التي تربط بين ملك البلاد وشعبه الوفي⁷.

إن تخليد المغاربة لعيد العرش، بحماس كبير، إنما هو تأكيد على مدى تعلقهم بكل طبقاتهم وأطيافهم بهذا العيد الوطني، ليس فقط بمظاهر الاحتفال به، وإنما بالحرص على تخليد هذه

4 - الأزمي أحمد، عيد العرش المجيد: عيد التأيد والتعلق بملوك المغرب رموز الوحدة الوطنية في التاريخ المعاصر، دعوة الحق، ع. 360، 2001، ص. 38-45.

5 - الكتيري مصطفى، عيد العرش المجيد، عنوان الالتحام الوثيق بين العرش والشعب، دعوة الحق، ع. 387، 2006، ص. 36-39.

6 - العمراني أحمد، عيد العرش المجيد وأثره الوحدوي على الأمة المغربية، دعوة الحق، ع. 383، 2005، ص. 35-41.

7 - عبد البر، أحمد عبد الرحيم، في عيد العرش العلوي المجيد، الإرشاد، ع. 1، [1976]، ص. 69-73.

اللحظة الخاصة بكل الجوارح، للتعبير عن الإخلاص والمحبة التي يكنها المغاربة لعاهلهم جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده.

وفي هذه المناسبة أيضا تكتسي كل مدن المغرب وأقاليمه حلة جديدة يعبر سكانها عن فرحتهم وتعلقهم بملكهم، معترفين ومكبرين ما يبذله من جهد متواصل من أجل إسعادهم، وما يتخذه جلالته من قرارات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتنموية لفائدتهم. هي مناسبة لاستحضار المنجزات الكبرى الرائدة التي عرفها المغرب في العهد المحمدي الزاخر بالأعجاز والمكرمات، والتحويلات على امتداد اثنين وعشرين سنة الماضية والتي جعلت المملكة ورشا كبيرا مفتوحا⁸.

ثانيا: الملك محمد السادس: اثنتان وعشرون سنة من الإنجازات تضيء مستقبل الوطن:

مع حلول الذكرى الثانية والعشرين لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله عرش أسلافه المنعمين، يقف الشعب المغربي، وقفة إجلال وإكبار لصاحب الجلالة الملك محمد السادس أيداه الله، مستحضرا التحويلات الإيجابية المشهودة والخطوات الجبارة التي حققتها المملكة خلال العقد الأخيرين، واليقين يحذوه بأن تبوأ هذه المكانة الرفيعة لم يكن ليتحول إلى حقيقة من دون أصرة قوية بين العرش والشعب، تجسدها رابطة البيعة .

إن من يحاول استقصاء واستبيان ما جرى وتم تحقيقه منذ تربع جلالته - حفظه الله - على عرش أسلافه المنعمين يجد بدون شك إشعاعا واسعا لجلالته في السياستين الداخلية والخارجية، وسيتأكد من أن لجلالته تأثيرا كبيرا على الأفكار ومجريات الأحداث وعلى طريقة توجيهها وصياغتها وممارستها، ليس فيما يتعلق بالمجال الوطني فحسب ولكن في المجال العربي والإفريقي ثم الدولي¹¹.

8 - الأزمي، أحمد، عيد العرش المجيد: مقال مذكور، ص. 38-45.

9 - يعقوبي خبيزة، محمد، عيد العرش المجيد وتتابع مسيرة بناء المغرب الحديث، دعوة الحق ع. 360، 2001م، ص. 24-29.

10 - الناصري الشرقاوي، محمد الحبيب، عيد العرش المجيد عيد التنمية الاجتماعية، دعوة الحق ع. 382، 2005م، ص. 109-111.

11 - حول الموضوع ولمزيد من التفاصيل انظر: زكرياء أفنوش، منجزات الملك محمد السادس في 20 سنة من الحكم. الجزء الأول، المنجزات الداخلية، الرباط: منشورات فكر، 2021م.

ووعيا من جلالة الملك حفظه الله بالطابع متعدد الأبعاد والشمولي للتنمية الاجتماعية، حرص جلالته طيلة هذه السنوات، بحزم وعزم على النهوض بأوراش ومشاريع مكافحة الفساد والفقر والإقصاء، ودمقرطة الولوج إلى الخدمات الاجتماعية الأساسية. فقد عرف المغرب منذ 22 سنة من حكم جلالة الملك محمد السادس نصره الله سلسلة مترابطة من الأوراش التنموية المستدامة، شملت مختلف المجالات والقطاعات بالدولة، كما شكلت هندسة اجتماعية تضامنية شاملة الرؤى تتوخى في جوهرها جعل المواطن ضمن الأولوية الكبرى في مسلسل الإصلاح الشامل، والهدف الأساسي للنهوض بالعنصر البشري ببلادنا، رسخ من خلالها جلالته مبادئ التضامن والتكافل والتآزر الاجتماعي، برؤية ملكية تضامنية للمجال الاجتماعي والاقتصادي حيث اعتمدت أحدث النظم والأساليب التديرية، وذلك من خلال وضع أهداف واضحة تتسم بالانسجام والفعالية والنجاعة والملائمة مع القدرة على التأثير وتحديد دقيق للمؤشرات كل ذلك وفق آلية الحكامة المجالية.

وتعتبر المبادرة الوطنية للتنمية البشرية¹² إحدى أهم المبادرات الرئيسية التي أطلقها جلالة الملك حفظه الله، في 18 ماي 2005م والتي تروم توسيع مجال الولوج إلى الخدمات الاجتماعية، والنهوض بالأنشطة المدرة للدخل، وفرص الشغل، وكذا تحسين ظروف عيش الأشخاص في وضعية هشاشة، أو ذوي الاحتياجات الخاصة¹³.

وقد مكنت هذه المبادرة، التي تسمح للفئات المستهدفة بالتغلب على نير الهشاشة، والحفاظ على كرامتها وتجنب الوقوع في الانحراف والعزلة والعوز، خلال الفترة ما بين 2005-2017م من إنجاز أكثر من 44 ألف مشروع وعمل لفائدة 10,5 مليون مستفيد مباشر وغير مباشر. وقد تم في هذا الصدد خلق زهاء 9 آلاف و400 نشاط مدر للدخل باستثمار إجمالي

12 - جنان لحسن، المبادرة الوطنية للتنمية البشرية: توجيه ملكي ورافعة لبناء العمل الجماعي والتضامنيات الاجتماعية بالمغرب، دعوة الحق، العدد 314، 2015م، ص. 91-101.

13 - يظل العنصر البشري هو الثروة الحقيقية للمغرب، وأحد المكونات الأساسية للرأس المال غير المادي، الذي دعونا، في خطاب العرش، لقياسه وتثمينه نظرا لمكانته في النهوض بكل الأوراش والإصلاحات، والانخراط في اقتصاد المعرفة، وإن ما حققه المغرب من تقدم، ليس وليد الصدفة، بل هو نتاج رؤية واضحة، واستراتيجيات مضبوطة. مقتطف من الخطاب السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى الـ 61 لثورة الملك والشعب.

يزيد على 42,8 مليار درهم، من ضمنها مبلغ 27 مليار درهم كمساهمة من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية¹⁴.

ويعد تطوير قطاع الصحة، ودمقرطة الولوج إلى الخدمات الصحية، في إطار سياسة القرب، أحد الأوراش التي يوليها جلالة الملك نصره الله عناية خاصة. ولطالما حرص جلالته على العمل على رفع هذا التحدي الرئيسي، من خلال مبادرات للقرب، وزيارات ميدانية ومبادرات تسعى لضمان ولوج عادل للعلاج الطبي لكافة المواطنين، لاسيما للأشخاص الذين يعانون من الأمراض المزمنة، والأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة والمسنين، والنساء والأطفال.

وساهمت جهود جلالة الملك حفظه الله الثابتة، في التدعيم المستمر للخريطة الصحية للمملكة، وتعزيز نظام الحماية الاجتماعية وتوسيع نظام التغطية الصحية، لاسيما بإطلاق نظام المساعدة الطبية (راميد).

لقد استطاع المغرب بفضل حكمة جلالته الرشيدة، أن يظفر بريادة أوائل الدول التي سارعت منذ بداية ظهور جائحة كورونا على الصعيد العالمي بشكل مبكر إلى التعبئة التشاركية ضد فيروس كورونا¹⁵، وتطبيق حاسم وسريع لمجموعة من التدابير والإجراءات الصارمة والاستباقية لردع انتشار الوباء، والحد من تداعياته على النسيج المجتمعي، عبر نهج مقارنة ارتكزت على الحكمة والحزم والصرامة، مكنتها من اعتماد «خطة وطنية/ حمائية بأبعاد ثلاثية» متنوعة وبغيدة المدى، تعتبر غير مسبوقة وهي الأولى من نوعها على الصعيد القاري، لبتتها الأساس متانة كل من المجال الصحي المبتكر، والمجال الأمني المرتكز على ثقافة أمن القرب للمواطن، والمجال الصناعي المتطور والمتسارع، بغية التأقلم مع متغيرات المرحلة واستشراف بناء مغرب ما بعد كورونا أكثر قوة وتماسك من ذي قبل.

14 - وضعت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي جذبت اهتمام عدد مهم من الدول الإفريقية، بفضل عبقريتها، الشباب الذي يعتبر الثروة الحقيقية للأمة، في قلب سياساتها، مساهمة بذلك في إنجاز 360 مركزا للتكوين المهني، و730 فضاء للتكوين، و6 آلاف و200 نشاط مدر للدخل وقرابة 6 آلاف و600 نشاط مرتبط ببنيات التشغيل السوسيو ثقافي، مثل الفضاءات الرياضية للقرب، ودور الشباب والمراكز الثقافية.

15 - وساك إسماعيل، الدبلوماسية في ظل الجائحة: قراءة في منطلقات وأبعاد الدبلوماسية المغربية في زمن فيروس كورونا، القانون في محك حالة الطوارئ الصحية بسبب الفيروس التاجي كوفيد-19: دراسات ووثائق، ص. 687-700.

شكلت التجربة المغربية لمجابهة وباء كورونا في سياق قاري ودولي حالة متميزة وفريدة بجميع المقاييس التديرية للأزمة، حيث استطاعت المزج ما بين التدبير الوقائي الضامن لاستمرارية اليقظة والاستباقية تحسبا لأي تغيرات محتملة، وما بين الإجراءات الموازية لها لاستشراف آثارها وتداعياتها المستقبلية، وهو ما جعلها التجربة العربية والقارية الوحيدة التي اعتمدت على مسارين متوازيين، لاسيما تحقيقها بدرجات عالية من الفعالية والنجاعة للأمن المجتمعي من منطلق التركيز المحوري على صيانة وحماية العنصر البشري، وحركية نواة مجاله الاجتماعي¹⁶.

كان النهوض بحقوق الإنسان في صلب المشروع المجتمعي الديمقراطي الحداثي الذي يقوده الملك محمد السادس نصره الله، وكان من ضمن هذه الحقوق إنصاف المرأة، وحماية حقوق الطفل. وهنا كان قراره التاريخي في عام 2004م بتبني قانون جديد للأسرة يعزز دور المرأة داخل الأسرة مع منحها حقوقا جديدة، وذلك تجاوبا مع التطلعات المشروعة للشعب المغربي، ورغبة من قائده في أن يجعل من الأسرة المغربية، القائمة على المسؤولية المشتركة، والمودة والمساواة والعدل، والتنشئة السليمة للأطفال، لبنة جوهرية في تحصين المجتمع باعتبار الأسرة نواته الأساسية، فكلّف لجنة ملكية استشارية من أفاضل العلماء وكبار الخبراء بإجراء مراجعة جوهرية لمدونة الأحوال الشخصية، كما حرص على تزويد هذه اللجنة -باستمرار- بإرشاداته النيرة وتوجيهاته السامية؛ بهدف إعداد مشروع مدونة جديدة للأسرة، مشددا على الالتزام بأحكام الشرع، ومقاصد الإسلام السمحة، وداعيا في الوقت نفسه إلى إعمال الاجتهاد في استنباط الأحكام، مع الاستهداء بما تقتضيه روح العصر والتطور، والتزام المملكة بحقوق الإنسان كما هو متعارف عليها عالميا.

كما يشجع المغرب أيضا إعادة تأهيل وتعزيز القيم الدينية والثقافية والروحية والإنسانية¹⁷، وكذلك تعزيز بيئة التسامح والتعايش السلمي؛ بهدف سحب البساط من تحت

16 - بفضل رؤية جلالته المتبصرة تمكن المغرب من استثمار التطور الذي لحق المجال الصناعي منذ توليه العرش، ساعد بشكل ناجع السيطرة على الحالة الوبائية وإنتاج المواد الوقائية، حيث استفادت بلادنا رغم سياق الجائحة من مخطط تسريع التنمية الصناعية 2014-2020م الذي يعد امتدادا لمخطط الإقلاع الصناعي الذي أطلقه جلالته سنة 2005م، وللميثاق الوطني للإقلاع الصناعي سنة 2009م، وهي مشاريع ساهمت في إرساء صناعة قوية تمكنت من رفع نسبة مساهمة القطاع الصناعي في تدبير الأزمة الوبائية.

17 - مزيغة أمينة، الدبلوماسية الدينية المغربية ونشدها تحقيق الأمن الروحي في المغرب والبلدان الإفريقية، دعوة الحق، ع429، 2019م، ص. 81-91.

أقدام الجماعات الإرهابية ونزع الشرعية عن رأس المال الأيديولوجي الذي يفيدها في شرعنة وتبرير أعمالها الهمجية، وفي هذا السياق تم إنشاء مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة بهدف رئيسي هو توحيد وتنسيق جهود العلماء المسلمين من دول أفريقيا؛ لتعزيز قيم التسامح ونشرها وترسيخها¹⁸، وهي القيم التي كرسها الإسلام، وللمغرب هنا تقليد عريق من التسامح الديني حيث كان التعايش بين الأديان واقعا لأكثر من 12 قرنا، وهو ما يشهد عليه التعايش في مختلف مدن المملكة بين المساجد والكنائس والمعابد اليهودية¹⁹، فالتسامح الديني هو جزء من الضمير الجمعي للمجتمع المغربي، وبهذا المعنى، طور المجتمع المغربي إحساسا قويا واستعدادا كبيرا لقبول الآخر من خلال تشجيع التعايش في سلام ووثام بين أفراد الديانات الأخرى، وخاصة اليهود والمسيحيين الذين يمارسون عباداتهم بكل اطمئنان في الأماكن المعدة لهذا الغرض²⁰.

وفي ميدان التعليم تم اعتماد ميثاق التربية والتكوين الخاص بإصلاح مختلف مستويات التعليم ببلادنا وتحديد هياكل مؤسساته إيمانا بأهمية ذلك في إعداد الأجيال المقبلة من أبناء الوطن²¹، يقول جلالته: "... وسنولي هذا المشروع ما هو جدير به من عناية تتناسب وما نعلق عليه من آمال في هذا المجال الحيوي وفي التغلب على البطالة ومحو آثارها وفتح أبواب الشغل مشرعة أمام شبابنا الناهض وحثهم على الاجتهاد والابتكار وأخذ المبادرة في غير توان أو توكل". ويؤكد جلالته على أهمية موضوع التعليم وضرورة تحديثه وتجديده وإصلاحه فيقول في خطاب ثورة الملك والشعب: "... وإنما سننكب كذلك على ملف التعليم في ضوء مشروع الميثاق الذي أنجزته اللجنة الملكية الخاصة للتربية والتكوين وبالعناية التي هو جدير بها لأهميته في إعداد النشء وتأهيل أجيال المستقبل".

أما على المستوى الخارجي، عرفت العلاقات الثنائية بين دول القارة الإفريقية والمغرب متانة كبيرة بفضل الرؤية الحكيمة لجلالة الملك حفظه الله، فقد برهن المغرب على أنه فاعل أساسي في

18 - مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، إعداد الأمانة العامة للحكومة، الرباط: مديرية المطبعة الرسمية، 2015م.

19 - بطني عبد الصادق، الأدوار الجيو- دينية للمملكة المغربية بإفريقيا، المجلة المغربية للدراسات الدولية والاستراتيجية - ع. 2، 2019م، ص. 34-49.

20 - التيجاني، رشيد، الذكرى الثانية لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس العرش: منجزات كبرى وإصلاحات متعددة، عبد العرش: عدد خاص، وكالة المغرب العربي للأنباء، 2001م، ص. 47-50.

21 - عبد الكريم غريب، الرؤية الاستراتيجية للإصلاح في أفق 2015-2030م: المنطلقات والمرجعيات والأسس، الدار البيضاء: منشورات عالم التربية، 2017م، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة).

تنمية القارة الإفريقية حيث وضع صاحب الجلالة بلدان القارة ضمن الأولويات الاستراتيجية والاقتصادية للمملكة²²، وهو ما مكنها من ترجمة هاته الرؤية التنموية عبر الانفتاح المستمر نحو أزيد من 14 دولة إفريقية ساهم من خلالها بشكل تدريجي وممنهج في تحقيق الاستقرار السياسي والأمني بالإضافة إلى تعزيز العلاقات وخلق الاستثمارات بالمنطقة، بالإضافة إلى تفعيل برامج للتنمية البشرية التي سعى المغرب من خلالها إلى تأهيل وتكوين عدد كبير من الأطر الإدارية للمؤسسات العمومية بالدول الشقيقة²³.

من ناحية أخرى استفاد المغرب بشكل ملموس من تراكم تجاربه الإصلاحية، حيث عمل منذ تولي صاحب الجلالة الملك محمد السادس أيده الله العرش بتطوير مناخ الأعمال، وجلب المستثمرين وتجويد البنيات التحتية، والحفاظ على الأمن الداخلي والسلم الاجتماعي وفق مقاربة تشاركية مع جميع الفاعلين بالدولة، مكنت من رفع النمو الاقتصادي في شتى القطاعات.

أما على المستوى الاقتصادي، فقد تجاوزت الثروة الإجمالية للمغرب الضعف ما بين 1999 و2013م، بحسب دراسة رسمية نشرت أواخر 2016م، وهو الأمر الذي تجلّى في عدد كبير من المشاريع العملاقة التي دشنها الملك محمد السادس نصره الله، ففي عام 2007م افتتح ميناء طنجة المتوسط، والأكبر في أفريقيا من حيث حجم الحاويات، وجرت توسعته بافتتاح محطة ثانية في يونيو، ما جعله الأكبر في حوض البحر المتوسط، ويرتبط هذا الميناء بـ186 ميناء في 77 بلدا، كما دشّن في نهاية العام الماضي خطا للقطار الفائق السرعة "تي جي في" يربط طنجة بالعاصمة الاقتصادية للمملكة الدار البيضاء.

كما أطلق الملك محمد السادس حفظه الله عددا من المشاريع الكبرى لتأهيل البنى التحتية، وافتتح في عام 2016م محطة "نور" لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية في مدينة "ورزازات"، الواقعة في جنوب البلاد، التي تعد من أكبر محطات الطاقة الشمسية في العالم، حيث جعل المغرب الطاقات المتجددة أولوية في تطوير سياسة الطاقة. وعلى الرغم من كون المغرب دولة

22 - عبد الله بوصوف، المغرب وإفريقيا: نحو آفاق جديدة لعلاقة متجددة، دعوة الحق، ع 421، 2017، ص. 31-39.

23 - Benyahya, Mohammed Coord. **Chronologie des grandes réformes juridiques, politiques, institutionnelles et économiques réalisées sous le règne de Sa Majesté le Roi Mohammed VI de 1999 à 2019**, Rabat : Publications de la Revue marocaine d'administration locale et de développement, 201p

غير منتجة للنفط وإنتاجيته ضعيفة في مجال الغاز والفحم، إلا أنه يوفر العديد من المؤهلات (300 يوم من أشعة الشمس في السنة، وسرعة الرياح 9 أمتار في الثانية في المناطق الساحلية، وموارد المياه)؛ لذا فقد بذلت المملكة العديد من الجهود للحد من اعتمادها على الوقود الأحفوري من خلال تطوير مصادر الطاقة المتجددة وأهمها الطاقة الشمسية.

هذه إذن نماذج معدودة من طموحات عاهلنا المفدى التجديدية التي يصبو من خلالها إلى تحقيق أمانى الشعب المغربي التّواق إلى نهضة واسعة وتنمية شاملة وحياة رغيدة. وبفضل هذا الاهتمام المتبادل بين الراعي والرعية كان هناك حب صادق متبادل ينم عن شدة التعلق ومتانة الروابط وقوة الوشائج والأواصر التي يعتبر نسجها امتدادا لعهود سحيقة من التلاحم بين الشعب والعرش وتجديدا مستمرا للعهد المعهود والميثاق الوثيق والالتزام الملزم الذي قطعه سيد البلاد الشاب على نفسه منذ أن تسلّم مقاليد الحكم²⁴.

كان هذا قبل اثنين وعشرين عاما بالتمام والكمال، لكن بالنظر إلى ما تحقق اليوم بعد مرور عقدين من الزمان نجد أن حصيلة الإنجازات الملكية يصعب حصرها في مقال واحد، لا سيما أن هذه الإنجازات لم تترك مجالا إلا وكان لها فيه نصيب؛ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، حيث بدأ الملك محمد السادس حكمه بإحداث حالة كبيرة من الانفراج السياسي عبر قرارات أدهشت كل المغاربة، وأسهمت في ترسيخ الانتماء للوطن والالتفاف حول المصلحة الوطنية.

24 - حسن عزوزي، عيد العرش المجيد رمز التجديد والعطاء، مقال سابق، ص. 119.

قضايا تاريخية من خلال خطب عيد العرش للسلطان سيدي محمد بن يوسف ما بين (1944 - 1949م)

د. أحمد إيشرخان- الرباط.

نحاول في هذا الموضوع الكشف عن بعض القضايا التاريخية التي توضح جوانب من اهتمامات السلطان سيدي محمد بن يوسف من خلال بعض خطبه السامية، في هذه الفترة الحرجة الممتدة ما بين 1944 و1949م، وإن اختيارنا لهذه السنوات جاء بناء على صعوبة المرحلة بسبب ظهور نتائج أزمة الحرب العالمية الثانية التي خيم أثرها على المغرب وعلى بقية دول العالم.

وما دام المغرب قد شارك إلى جانب الحلفاء فقد أصبح لزاما على دول العالم الحر مساندته في قضاياها الوطنية، وفي مقدمتها الحصول على الاستقلال، وقد أدرك جلالته بفطنته وحكمته وحنكته كل التحولات في المحيط الدولي، وأكد على ذلك منذ لقاء أنفا، ويلاحظ القارئ النبیه التطور في مضامين هذه الخطب وفي ارتفاع حدة نبرتها، وهي إن وضعت في سياقها التاريخي ومسايرها الكرونولوجي تعبر بحق عن انشغال فكري وهم سياسي لجلالته، وهي من حيث مواضيعها تشمل الشأن الديني، والجانب الاجتماعي، والتنمية الاقتصادية، والعلاقات مع الدولة الفرنسية الحامية ومتانة الروابط مع الدول الإسلامية،

ولا تخلو خطبه، طيب الله ثراه، من معطيات هامة حول المغرب وعدد سكانه ومجموع البالغين سن التمدرس، مع الإشارة إلى المكتسبات الحضارية التي تم إنجازها رغم تسلط سلطات الحماية.

ولقد تم اختيارنا لأربع خطب وطنية متفرقة ما بين عام 1944 و1949م، بمناسبة عيد العرش المجيد، علما أن الاحتفال الرسمي بهذا العيد الذي تم الاعتراف به قد وافق الذكرى السابعة لتولي

سيدي محمد بن يوسف عرش أسلافه عام 1934م¹، وذلك على إثر صدور قرار وزاري موقع من طرف الصدر الأعظم محمد المقرئ، بعد أن أشر عليه المقيم العام الفرنسي هنري بونسوت في أكتوبر من عام 1934م، والذي تم نشره في الجريدة الرسمية في 2 نونبر 1934م، وتضمن عدة بنود في مراسيم الاحتفال بشرط أن لا تلقى فيه خطاب².

لقد تحدى سيدي محمد بن يوسف هذا الحجر وألقى مجموعة من الخطابات في المناسبات الدينية والوطنية، وهو ما شكل مصدر قلق لسلطات الحماية التي كانت تهدف إلى عزل السلطان عن رعيته، وهو ما سنلمس جوانب منه في هذا الموضوع.

وبذلك تعتبر مجموع خطبه التي جمعت في مجلدات³ مصدرا تاريخيا وسجلا معرفيا، لأنها تمكن الباحثين من فهم واقع المغرب في هذه الفترة الزاخرة بالأحداث الوطنية والدولية، مع إدراك مسار الحركة الوطنية وتطور مطالبها بقيادة عاهل البلاد، الذي عبرت خطبه عن تطلعات المغاربة، بقيادة حكيمة من عاهل نبيه فطن كانت همته في مستوى طموحاته، فانتقل بفضلها رجال الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال.

وإن من مزايا الاحتفال بالأعياد الوطنية والدينية حسب السلطان سيدي محمد بن يوسف هو اجتماع المغاربة بسلطانهم، وكفى بهذه المزية حجة للاحتفال بالأعياد التي تمكن من التواصل مع أفراد الشعب المغربي⁴، وإظهار المحبة المتبادلة بين العرش والشعب، ومن النقط المتفردة في مجموع خطبه هو ذلك اليقين الذي يشعر به ملك البلاد بمستقبل المغرب الزاهر وتوفير أسباب الرفاهية ووسائل السعادة، يقول هذا الكلام والحماية في أوج تجربها وتسلطها واعتقادها بكون الحماية دائمة ومستمرة، وقد نكلت بالوطنيين، وخنقت أنفاسهم، لكن جلالته كان على يقين تام بأن النصر

1 - جريدة الوداد، «عدد خاص بعيد العرش»، 18 نونبر 1941. ومعلوم أن أول احتفال بعيد العرش كان في 18 نوفمبر 1933م، يمكن الرجوع إلى مقال: «من وثائق الاحتفال بعيد العرش، مسألة الأسبقية في الاحتفال بالعيد المجيد»، أحمد إيشرخان وحسن مومني، منشور ضمن مجلة دعوة الحق، عدد خاص بعيد العرش، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية. العدد 402، السنة 55، رمضان 1433هـ/ يوليو 2012م.

2 - عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، منشورات وزارة الأنباء، مطبعة فضالة - المحمدية، 1969. صص. 154، 155.

3 - خطب صاحب الجلالة الملك محمد الخامس، منشورات وزارة الإعلام، المملكة المغربية، الرباط، 1990م.

4 - عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، ص. 157.

قريب، وهو ما عبر عنه على سبيل المثال لا الحصر في خطابه في عام 1941م، حيث قال جلالته بمناسبة قدوم وفود لتقديم التهاني بمناسبة عيد الفطر: «لو لم يكن من فضل لهذا العيد إلا مزية اجتماعكم حول سلطانكم، الذي تعرفون عظيم محبته لشعبه الكريم، لكفى سببا للاحتفال به والابتهاج بحلوله السعيد، ويسرنا أن نغتني فرصة هذا الاجتماع لعرب لكم عن متين يقيننا في ازدهار مستقبل المغرب وتيسير أسباب رفاهيتكم، والحصول على وسائل سعادتكم»⁵.

إن استحضار الماضي العريق والاستدلال بالقضايا التاريخية في مجموع خطب السلطان والملك محمد الخامس وجعله نقطة قوة فاعلة ومحركة للشعور الوطني، وللذكر والتذكر، كان حاضرا بقوة في كل خطبة من خطبه السامية، فهو من جهة يذكر المغاربة بقوتهم التاريخية بين الأمم، وفي الوقت نفسه يذكر للفرنسيين بأن الشعب المغربي أمة كانت قائمة الذات مستقلة في اتخاذ القرارات عبر العصور، ودولة لها سيادتها وهياكل تدبر شؤونها، ولم تكن في وقت من الأوقات أي مؤسسة من مؤسساتها تحتاج إلى حماية، وقد كان لملوكها العظام من المفاخر في بناء الدولة وفي إنجاز كثير من المشاريع العمرانية والمدنية، وهو ما أكد عليه جلالته في إحدى خطبه بقوله: «تعلمون كم أسس سلفنا الصالح من المشاريع التي يحق للإسلام أن يفتخر بها بين الأديان، ولمدنيتنا أن تصول بها في تاريخ بني الإنسان»⁶، ولا يحتاج المؤرخ إلى الاستدلال على قول جلالته بكل تلك المشاريع، بل حتى نماذج منها لا تكفي صفحات لذكر ملخص عنها، فمنجزات من قبل السلطان مولاي رشيد والمولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله كافية لفهم تلك المشاريع الحضارية التي هدفت إلى بناء المغرب الحديث، فقد أبان المولى الرشيد في الأشهر الأولى من بداية عهد جديد بعد ما تجرعه المغاربة من الفتن التي أعقبت وفاة المنصور وامتد أوارها لسنوات عديدة وعقود متعددة، عن حس حضاري وذلك من خلال تشييد مرافق علمية ومدنية، من مثل: المدرسة الرشيدية التي تضاهي في شكل بنائها وجمالها المدارس المرينية، وخزانة الكتب العلمية الواقعة في الجانب الجنوبي من الجامع الأعظم بالمدينة البيضاء فاس الجديد، وهو الذي أسس مدرسة حومة ابن صالح بمراكش، وغير ذلك. أما السلطان مولاي إسماعيل فغني عن ذكر منجزاته، بسبب طول مدة حكمه، ويكفي منها تحريره للشغور من يد القوى الاستعمارية الكبرى في العصر الحديث المتمثلة في الإنجليز والإسبان والبرتغال، وبنائه في العاصمة الإسماعيلية مكناس مازالت ماثلة للعيان.

5 - عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، ص. 157.

6 - عزيز سلام، ثلاثة قرون، ص. 157.

أما السلطان سيدي محمد بن عبد الله فكانت منجزاته على قدر همته في تجديد مناهج التعليم وفي بناء المساجد وإحياء المدارس وفي تأسيس مدينة الصويرة وتحويل التجارة من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي، وفي ربط العلاقات الدبلوماسية المتميزة مع الغرب الأوروبي والاعتراف بأمريكا عام 1777م، وكان السلطان مولاي سليمان عالم السلاطين وسلطان العلماء، وقيل عنه إنه قد بلغ درجة الاجتهاد وقد شجع على تعاظم العلوم وتأليف المؤلفات وربط العلاقات مع إفريقيا جنوب الصحراء، وكان مولاي عبد الرحمان مجددا فعليا للدولة المغربية ومحبي رسومها وعم في عهده الرفاه الاقتصادي والتنعم المالي، وقد استطاع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان تجاوز كثير من آفات التدخل الإمبريالي وأسس المعامل وبعث البعثات العلمية إلى المشرق الإسلامي، وتمكن السلطان مولاي الحسن من مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، ووضع لبنات بناء الدولة الحديثة وحسن البلاد وجدد الإدارة وتمكن من أداء ديون حرب تطوان، وترك للدولة ما تنفقه لمدة خمس سنوات عادية⁷، غير أن هذه المعطيات أعقبتها مراحل من التراجع أو ما عبر عنه سيدي محمد بن يوسف بقوله: «إلا أننا لا ننكر ما أدركنا من الفشل في ذلك السير العجيب نحورقي البشر ونشر العمران، وما أهملناه من روح الإخلاص والعمل في سبيل الله ومراعاة النفع العام. فمن ذلك أوتينا حتى وصلنا إلى ما تعلمون ولا ينكره أحد»⁸، فكباقي الأمم عرف المغرب توقفا في مسار البناء الحضاري، لكن هذا التوقف ليس أبدياً، بل ظل المغاربة بفضل تمسكهم بالثوابت الوطنية يصارعون الأزمات ويتغلبون على التدخلات الأجنبية، ويرى جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف أنه لا تقدم إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، يقول: «إلا أننا لا نزال بفضل الله في بحار لطفه سابحين، وفي جنان رحمته الواسعة متنعمين، فالقرآن بين أظهرنا منير مزدهر، وحديث خير البشر صلى الله عليه وسلم جلي منتشر، ولقد قال عيه الصلاة والسلام: تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكن بهما: كتاب الله وسنتي، فعليكم بهما نبراسا وهاجا، واستظلوا بظلهما تسلكوا إلى السعادة سبلا فجاجا. فلا سعادة إلا بهما ولا غبن إلا في نذهما»⁹.

7 - للاطلاع على المنجزات الحضارية في العصر العلوي يمكن الرجوع إلى مجموع مؤلفات عبد الرحمن ابن زيدان ونذكر منها كتاب «العز والصولة في معالم نظم الدولة»، المطبعة الملكية، الرباط 1382هـ - 1962م، و«النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية» تحقيق مصطفى الشابي، تقديم عبد الحق الميرني، المطبعة الملكية، الرباط، 1437هـ/2016م.

8 - عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، ص. 157.

9 - عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، ص. 157.

ومن الإشارات التاريخية التي كان يعرج على ذكرها جلالته هي تلك الجوائح والأوبئة التي كانت تطرأ على بلاد المغرب بصفة دورية، وكان للملوك الدولة العلوية مواقف خالدة في الحد من خطورتها، وتخفيف عبئها، بواسطة الحجر الصحي، وتقديم المعونة للمعوزين، واتخاذ أسباب الحد من الوباء¹⁰، فقد ذكر جلالته ما تمر به الأمة المغربية من أزمة بسبب الوباء الذي عم المغرب في فترات مختلفة من حكمه¹¹، وقد انتشرت الأمراض والأوبئة بمختلف أشكالها مثل: الجدري، والحمى، فمات بذلك العديد من سكان المغرب، وكان السلطان سيدي محمد بن يوسف يدعو إلى الصبر وإلى التأزر لتجاوز المحن، وكثيرا ما كان يلجأ إلى منهج المقارنة بين ما نزل بالمغرب وما نزل في الدول الأخرى فيردد في خطابه قوله: «على أن هذه الأزمة النازلة بنا وإن ظهرت شديدة فهي بنسبة ما أصاب الغير خفيفة جدا، على أننا لا نالوا جهدا في تخفيف وطأتها وتكسير ما نستطيع من شوكتها». وللتغلب على مخلفات الأزمات التي تحدثها الجوائح المتمثلة في الجفاف والوباء والحوادث الطارئة التي تزيد من مظاهر الفقر والبؤس كان جلالته يحض على الإحسان فكثيرا ما كان يردد: «وأحسنوا ما استطعتم إلى البؤساء فبضعفائكم ترحمون».

وستتطرق الآن إلى تفاصيل بعض القضايا التي كانت تشغل جلالته في خطاب عيد العرش خلال السنوات الممتدة ما بين (1944-1949م).

- أولا: قضايا تاريخية في خطاب جلالته بمناسبة عيد العرش: 18 نونبر 1944م

تعتبر سنة أربع وأربعين من السنوات الحاسمة في مسار القضية الوطنية التي قادها جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف، وهي السنة التي بدأت فيها الهزائم المتوالية للنازية، وغني عن الذكر أن المغرب شارك إلى جانب الحلفاء الذين زحفت قواتهم لألمانيا، ولذلك يحق له أن يصبح شريكا لها في المكاسب وأولها الحصول على الاستقلال والحرية، خصوصا وأن الظروف الدولية قد خيم عليها جو طرح المطالب الاستقلالية في المحافل الدولية، وقد كان ذلك واضحا في لقاء أنفا في شهر يناير 1943م، حيث تحدث جلالته مع الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت حول مستقبل المغرب، لكن سلطات الحماية زادت من تعنتها مما دفع رجال الحركة الوطنية إلى تقديم وثيقة المطالبة

10 - انظر: العدد 435 من دعوة الحق، 1442هـ/ 2021م.

11 - بوجعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945م، مطابع الرباط - نت، الرباط، 2013م، ص. 227.

بالاستقلال، بوحى من جلالته وهو ما عبر عنه المقيم العام الفرنسي بالمغرب حيث كتب بخط يده: «إن وثيقة المطالبة بالاستقلال التي قدمت في 11 يناير سنة 1944م، كانت من وحي السلطان محمد بن يوسف وبإيعاز منه، إن السلطان محمد بن يوسف رجل خطير»¹²، إن خطورة جلالة محمد بن يوسف لا تتجلى فقط في مواجهة فرنسا واستغلال كل العوامل الدولية لصالح القضية الوطنية بل بعمله الجاد والمتواصل من أجل إنجاز الإصلاحات الداخلية، فقد أدرك جلالته أهمية العلم في تقدم الأمم، وقرر أن كل أسباب التحرر مرتبطة بالعلم، بينما كل أسباب القيود موجودة في الجهل، وقد ركز فيه على الاهتمام بالتعليم خصوصا وأن أعداد الأطفال المتدربين في تزايد مستمر وقد قدر عددهم حسب هذا الخطاب في مليونين من صغار البالغين حق التمدرس، وقد بادر جلالة السلطان إلى تأسيس مجموعة من مدارس التعليم الحديث بعدما أصلح نظامه في التعليم العتيق في جامعة القرويين وفي جامع ابن يوسف، وفي هذا السياق بادر إلى تشجيع تأسيس المدارس الحرة، وهنا نلمس قوة شخصية السلطان الرائد الداعي إلى المثابرة وتجاوز كل أشكال التقصير لرفع مستوى الأمة والبلاد، فالعلم الحقيقي حسب جلالته هو أساس العمران.

كان الاحتفال بعيد العرش المجيد بالنسبة لجلالته مناسبة مواتية لطرح سؤال التقدم في الأعمال والوقوف على مواطن النجاح ومواقف التقصير، وطرح التساؤلات عن أداء الواجب لتحقيق الإصلاحات، التي ربطها بمستوى التعليم وانتشار العلم النافع الذي هو أساس العمران ورفع وعي الأمة المغربية، التي نما عدد أفرادها وازداد عدد المحتاجين إلى التمدرس فيها، وقد أفصح عن ذلك حيث قال: «يقدر عدد مسلمي المغرب الأقصى بثمانية ملايين من الخلق، منهم ما يقرب من ربع هذا العدد فتيان وفتيات يتعين علينا جميعا أن نعتني بتعليمهم وتثقيفهم».

ثم يطرح جلالته سؤالاً وجيهاً مع وصف وتشخيص لوضعية من هم خارج المدارس: «فكم من هذين المليونين نوجه إلى المدارس؟ لا نجد منهم العشر، إذن بقي ثمانمائة ألف من أفلاذ أكبادنا مهملين معرضين للسقوط في مهاوي الجهل والخسران، نشاهد منهم مشتتين في قوارع السبل مبعثرين في مسارح اللهو يلتقطون فيها بذور الفساد، لا بصحتهم اعتنينا، ولا على مستقبلهم سهرنا».

12 - بوجعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945م، مطابع الرباط - نت، الرباط، 2013م، ص. 227.

إن الجهل في نظر جلالته هو عين الموت بل هو أقبح من الموت، فهو موت أمة وليس موت فرد، لذلك كان يطرح سؤال الخروج من هذه الوضعية القائمة، ونشير هنا إلى أن خطبه لم تكن مجرد سرد للأحداث والوقائع بل كانت تتضمن خططاً للعمل، وهكذا بعدما أعطانا نظرة عن عدد سكان المغرب وعن عدد الذين بلغوا سن التمدرس أكد على الشروط التي يجب توفرها للنجاح، فوضع خطة لبلوغ أهداف النهوض بالتعليم، ويمكن إجمالها فيما يلي:

- الشرط الأول: هو إعداد المعلمين في جميع التخصصات.

- الشرط الثاني: الإنفاق على التعليم بسخاء. بل إنفاق كل ما في يد المغاربة في سبيل نشر العلم بالمغرب.

- الشرط الثالث: متابعة أحوال الشباب ذكورا وإناثا حتى يتعلموا ويهذبوا في حدود الثانية عشرة من عمرهم.

وقد خلص إلى أن نتيجة ذلك ستكون إيجابية لكل الفئات الاجتماعية وستمكن: «مريد العلوم أن يزيد وللتاجر والفلاح والصانع أن يتعاطى مهنته وهو على بصيرة مما يريد».

وكالعادة فإن قضايا الهم الاقتصادي كانت دائمة الحضور في خطاب سيدي محمد بن يوسف، معتبرا أن الاقتصاد محور الدين، فبصلاحه يصلح كل شيء حسب جلالته، ولمح إلى ظاهرة تبذير الأموال، وبناء على مشاهداته ذكر ما يقع من تبذير في الحفلات العائلية كالأعراس وامتد هذا التبذير إلى المآتم، وللإشارة فإن هذه الظاهرة كانت وما زالت مستفحلة في المجتمع المغربي، وقد نبه عليها السلطان مولاي سليمان كما تطرق إليها العديد من علماء الأمة وهو ما نجده عند سليمان الحوات في كتابه «حكم الحضور في مجالس الغناء والخمور»، وقد اقترح جلالته أن تصرف هذه الأموال في التعليم حيث قال: «ولو أنفق الناس في سبيل التعليم نصف ما يصرفونه في تلك المناسبات، لكان المغرب اليوم روضة من رياض العلم، ولتحلى شبابنا بحلية التهذيب والثقافة التي تؤهله لنفع بني جنسه وبلاده»، فبهذه الطريقة يمكن للمغرب أن يجد من أبنائه: «أطباء ومعلمين، ومديرين ومهندسين، وفلاحين أهل خبرة بالطرق الجديدة النافعة، وتجارا يتقنون وسائل الارتزاق بالحلال».

وفي خاتمة خطابه أكد جلالته أنه لا يمكن تحقيق كل ما ذكره إلا بملازمة نافع الاقتصاد في كل الأحوال، والتوسط في صرف الأموال، ولمح جلالته إلى دور الزكاة والإحسان في التكافل الاجتماعي

وربط أواصر الأخوة بين أفرادها. وشدد على ضرورة ملازمة وسائل الإصلاح، من أجل الرقي بالأمة وتحقيق سبل السيادة. ومعلوم أن هذه السنة كانت من السنوات الصعبة في تاريخ المغرب بسبب قلة الموارد نتيجة استنزاف الاستعمار لمقدرات الدولة، مما أدى إلى انتشار مظاهر الفقر والبؤس فسادت المجاعة وانتشرت الأمراض، واضطر الناس إلى أخذ المؤن بواسطة بطاقة التموين، وقد اشتهرت سنة 1944 والسنة التي تليها بـ «عام البون».

- ثانيا: قضايا تاريخية في خطاب جلالة بمناسبة عيد العرش: 18 نونبر 1946م

جاء هذا الخطاب بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لذلك استهل جلالة خطابه بالحديث عن ما خلفته هذه الحرب من آثار سلبية فقد وصفها ابن يوسف بالظلام الذي عم كل بقاع الأرض، وأثقلت نتائجها كل الأمم، وهو ما يستدعي التفكير والتدبر قبل الشروع في العمل، من أجل تحسين أحوال البلاد، وبلوغ درجات الرقي، ورغم تلك العبارات التي شدد بها جلالة من أجل استنهاض الهمم بمحاسبة النفس على ما تم إنجازه، إلا أنه كان مسرورا بما شاهده: «من شروع الأمة في أعمال نهضتها، وحسن النتائج التي أخذت تظهر من مبارك حركتها، وإن كانت لا تزال قليلة تطالبنا بالمزيد في كل السبل». وبناء على ذلك استعرض أهم ما تم إنجازه في بحر هذه السنة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: افتتاح ست عشرة مدرسة شعبية، تأوي ما يقرب من خمسة آلاف تلميذ بين بنين وبنات.

ثانيا: وضع أساس المدرسة الكبرى التي اكتب فيها سكان الرباط، حيث وضع بيده حجرتها الأولى. داعيا إلى مواصلة العمل من أجل افتتاحها في السنة المقبلة¹³.

ثالثا: توجه جلالة إلى الدار البيضاء لفتح المدرسة التي شيدها بعض ذوي الغيرة من الشباب المغربي هناك.

رابعا: زيارة جلالة أول معمل صناعي عصري، أسسه بالعاصمة التجارية السيد محمد بن عمرو الفاسي.

13 - يتعلق الأمر بمدرسة باب شالة التي ستحمل فيما بعد اسم مدارس محمد الخامس، انظر: عبد الله الجاروي، حياة بطل التحرير محمد الخامس، إعداد وتقديم مصطفى الجوهري، منشورات النادي الجاروي، مطبعة الأمنية، الرباط، 1447هـ/ 2006م، ص. 119.

خامسا: شهد جلالتة افتتاح القسم الداخلي، الذي أحدثه السيد العلمي مدير المدرسة الحسنية البيضاء في معهده.

سادسا: ترأس جلالتة افتتاح الدروس بجامع القرويين، بعدما عطلت مدة.

سابعا: افتتاح المدرسة المحمدية الفاسية، كما شهد جلالتة تأسيس مدرسة أخرى، ومعهد المساكن بفاس.

ثامنا: ترأس الأميرة لالة عائشة لمجموعة من المحافل التي تهتم تعليم البنات.

تاسعا: افتتاح مدارس أخرى. وكان ولي العهد مولاي الحسن يجبر جلالتة بما تم فتحه في كل المناسبات.

عاشرا: اجتماع لجنة المعارف للنظر والمذاكرة في كل ما يؤهل المغرب للتقدم والنهوض والأخذ بأسباب الرقي، وقد كانت هذه اللجنة مكونة من المتنورين المغاربة المتبصرين بمناهج التعليم الحديث، إلى جانب أصحاب الأفكار الراقية من رجال المعارف الفرنسية.

حادي عشر: إرسال الطلبة المغاربة الحاصلين على شهادة التعليم الثانوي إلى الكليات الفرنسية بقصد استكمال ما يتوقف عليه المغرب من العلوم العليا، ويقرب عددهم من المائة. وفي ذلك إحياء للبعثات الطلابية التي أحدثها جده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وأكمل مسارها ولده السلطان مولاي الحسن.

ثاني عشر: إنشاء لجنة للوقوف على اختيار الكتب الدراسية، المؤلفة بالمغرب ليكون التعليم بها في المدارس المغربية بمناهج موحدة.

ثالث عشر: إعادة التواصل بين ملوك المغرب وإخوانهم بالديار الشرقية، بعد انقطاعها بسبب توقف ركب الحاج المغربي نتيجة الحرب العالمية الثانية.

رابع عشر: الإفراج عن المعتقلين المغاربة، وقد أشار إلى الجهود التي بذلت ومازالت مستمرة حتى يتم إطلاق سراح الجميع. ولعل الأمر يتعلق بالمعتقلين الوطنيين والمعتقلين المغاربة في سجون النازية.

خامس عشر: إنشاء لجنة إسعاف المصابين، وكان ذلك إثر الحريق المهول الذي أصاب سكان مدينة القنيطرة. وقد شارك جلالته بماله الخاص من أجل الإسعاف والإغاثة.

ورغم هذه الإنجازات يرى جلالته أن هناك مجموع من التحديات والطموحات التي يجب إنجازها، فقدم لنا في خطابه مجموعة من المعطيات والقضايا المتعلقة بتلك المرحلة الحرجة من تاريخ المغرب، وإن الواقف عليها يدرك مدى التقدم الذي أنجزه المغرب في تاريخه الراهن، ويكفي أن نذكر منها بناء على خطاب جلالته القضايا التالية:

أولاً: قلة الأطباء المغاربة، حيث ذكر أن عدد سكان المغرب يقدر بثمانية ملايين نسمة. ليس فيهم ولو ثمانية أطباء مغاربة حتى يمكن القول: لكل مليون نسمة طبيب مغربي واحد.

ثانياً: انعدام وجود المهندسين المغاربة، الذين يستطيعون تسيير القطارات وتدبير إدارة الطرق المرصفة والسكك الحديدية التي بلغت آلاف الكيلومترات في كل نواحي المغرب. وهذا الأمر ينطبق على السدود والمنشآت المائية.

ثالثاً: عدم وجود أطر مغربية تستطيع تدبير مصالح البريد والتلغراف والتلفون.

رابعاً: قلة الاهتمام بالفلاحة العصرية من طرف المغاربة رغم أن مساحة أراضي المغرب الفلاحية تعد بملايين عديدة من الهكتارات.

خامساً: عدم اهتمام المغاربة بإنشاء المعامل العصرية والشركات الحديثة، حيث ذكر جلالته أنه لا يوجد إلا معمل واحد أنشأه أحد المغاربة الغيورين. في حين أن الأجانب تعد شركاتهم بالمئات.

إن هذه المشبطات في نظر جلالته تحول دون مزاحمة الدول، بل إن المغرب يحاول أن يزاحم الأمم المتسابقة إلى الطرق الجديدة بوسائل القرون الوسطى، حسب تعبير جلالته، لذلك ختم خطابه بنصيحة يقول فيها: «تيقنوا أن المغرب لا يقوم بواجباته ... حتى يخرج خمسمائة مدرس في السنة بين من يعلم في مدارسهم باللسان العربي وغيره ... فهل لكم أيها المؤمنون أن تلبوا دعوة سلطانكم، فإنه إلى السعادة يناديكم».

إنها خاتمة معبرة عن طموحات السلطان سيدي محمد بن يوسف والتي سيواصلها بحزم وعزم كما سنرى في نص الخطاب التالي.

- ثالثا: قضايا تاريخية في خطاب جلالته بمناسبة عيد العرش: 18 نونبر 1948م

يزخر خطاب هذه السنة بالعديد من القضايا التاريخية التي يمكن التوسع في دراستها، خصوصا وأنها تأتي في ظروف وطنية ودولية ما زالت متأثرة بالحرب العالمية الثانية، التي خلفت فتورا نتيجة ما قاسته البشرية من شقاء، وما زال العالم يجر ويلاتها رغم انتصار الأمم الحرة التي تريد أن يتحرر بنو الإنسان من قيود العبودية.

ففي المجال الدولي، ذكر جلالته بما قام به المغرب «من تأدية واجباته الدولية، وثباته بمركزه الثابت الوطيد، الذي أكسبه بين كل الدول، ذلك الذكر الحميد الذي يحوله حق الصعود إلى أعلى مقام، حتى يصطف مع الأمم التي شاركها في الضراء، فاستحق بوفائه وثباته أن يقاسمها مواجب السراء، بعد استتباب السلم». ولقد ظلت قضية فلسطين في قلب اهتمامات جلالته، وقد دعا في هذا الخطاب وفي غيره إلى ضرورة رفع العدوان النازل على البقاع المقدسة، مؤكدا على حقهم التاريخي، فهم أهل الأرض منذ قرون، وكان دائم الاعتقاد أن الحق يثبت لأهله.

وكعادته عرج في هذا الخطاب على أهم قضية كانت تؤرقه وهي قضية التعليم ونشر العلم، وقد نوه جلالته بالأعمال التي قام بها مجموعة من الرجال المغاربة، في مجال دعم التعليم، وإنشاء المدارس الخصوصية: وذكر منها:

أولا: ما قام به السيد عبد الكريم الحلو أحد الغيورين من تجار الدار البيضاء فقد بنى مدرسة عظيمة لخدمة العلم، مقدما بذلك خير مثال للأغنياء في العمل الصالح العام.

ثانيا: أنجز السيد محمد ابن كيران بفاس، المدرسة التي وضع لها جلالته حجرها الأساسي منذ عامين.

ثالثا: وقف قدر عظيم من تركة السيد محمد بن عمرو، حيث قررت بناته إنفاق جزء من تركته لينفق في سبيل نشر العلم. وقد قررت اللجنة الواقعة على تدبير شؤونه أن توجه إلى فرنسا بعثة من الطلبة المغاربة ليواصلوا دروسهم العليا الفنية.

ولقد شهدت هذه السنة حدثا بارزا تجلّى في نجاح ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن في شهادة البكالوريا، وولج الجامعة لمتابعة دراسته العليا القانونية مع إقباله على

دراسة الفقه والتاريخ والآداب العربية وتاريخ التشريع الإسلامي حتى يضم إلى ثقافته الحديثة ثقافة عربية إسلامية عليا. وجدير بالذكر أن جلالته كان قد أشرف على مراسيم تدشين المدرسة المولوية بالمشور السعيد بحي تواركة بالرباط في سنة 1941م.

وفي مجال اقتصاد المغرب أشار جلالته إلى قضايا مهمة متعلقة بالفلاحة والصناعة والتجارة. ومن أجل النهوض بهذه القطاعات حدد جلالته عدة إجراءات يجب العمل بها، ويمكن تلخيصها في المحاور التالية:

أولاً: يجب البحث عن الوسائل الجديدة في كل مساعي الإصلاحات الفلاحية والصناعية.

ثانياً: يجب إعداد المتدربين في المدارس العصرية حتى يتخرج منهم مهندسون يمكنهم منافسة غيرهم في ميادين الحياة الجديدة.

ثالثاً: يجب أن يعلم الكل أن وسائل الفلاحة القديمة لا تفي بحاجيات المغاربة في تلك الفترة، ومن أجل ذلك يجب تطوير الإنتاج، واتخاذ وسائل حديثة في تربية الماشية.

رابعاً: العمل على تحديث الصناعة، واعتماد الوسائل العصرية في الإنتاج.

خامساً: يجب استثمار مؤهلات العامل المغربي، ليصبح بمواصفات عصرية.

سادساً: يجب إعطاء عناية خاصة بالعامل الفلاحي والنهوض بأجرته.

وكعادته وبناء على تكوينه الفقهي وتشبعه بالقيم الدينية استشهد بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تقوي الاتحاد وتدعو إلى التضامن بين أفراد الأمة المغربية، مذكراً بالإخلاص والثبات على المبادئ التي هي مفتاح النجاح. ولذلك حث العلماء على القيام بالإرشاد، كما أوصى من يتولون المسؤولية من قضاة وباشوات وعمال ونظار وأمناء بالنزاهة والأمانة والإخلاص، والاعتناء بشؤون الرعية أحسن الاعتناء. فبخدمة البلاد ومراعاة صلاحها تتحسن أحوال المغرب والمغاربة.

- رابعاً: قضايا تاريخية في خطاب جلالته بمناسبة عيد العرش : 18 نونبر 1949م.

كانت هذه السنة زاخرة بالأحداث مليئة بالوقائع والمتغيرات على الصعيد الوطني والدولي، لذلك استعرض جلالته مجموعة من المنجزات بمناسبة حلول عيد العرش التي يمكن اعتبار كل

واحدة منها ضمن القضايا الكبرى التي يمكن دراستها مستقلة عن بعضها، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

أولاً: بذل مزيد من الجهود للرقى بالتعليم، والمحافظة على اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

ثانياً: حث المغاربة، على تأسيس المدارس الحرة.

ثالثاً: التأكيد على النهوض بالاقتصاد، خصوصاً وأن الحياة الاقتصادية والمالية غير مستقرة بسبب أزمة الحرب العالمية الثانية.

رابعاً: الاهتمام بشؤون العاملين في الإنتاج الصناعي وفي المناجم، وتمكينهم من حقوقهم والعناية بصحتهم.

خامساً: الاعتناء بالفلاحين وبالإصلاح الزراعي، والتأكيد على أن المغرب بلاد فلاحية.

سادساً: السهر على مستقبل المملكة والمحافظة على وحدة ترابها حتى لا يطرأ ما ينقص من الإمامة العظمى الملقاة على عاتق جلالته.

وإلى جانب ذلك تضمن الخطاب إشارات مهمة إلى بعض مشاهداته وزياراته والمنجزات التي تمت خلال هذه السنة، حيث قام جلالته برحلة إلى مدينة مكناس، وشاهد بوادر النهضة والمحبة والولاء للسلطان، كما تحدث جلالته عن زيارته فرع القرويين المؤسس بجامع الرصيف، وزيارته البناء الجديد الذي تعده الأحباس لإيواء اللاجئين بالمرستان، ووضع الحجر الأساس لبناء مسجد جديد بمدينة مكناس. كما حضر جلالته مراسيم تعيين أعضاء المجالس البلدية في العاصمة الفاسية، وعبر عن أمله أن يعم هذا الإصلاح في جميع المدن المغربية ليكون ذلك مدخلاً للحياة النيابية.

وختم خطابه السامي بذكر بعض إنجازات ولي العهد الأمير مولاي الحسن ومنها نجاحه في السنة الأولى من دراسته العليا، وقد تابع فيها أيضاً دروساً علياً في الفقه الإسلامي وتاريخ تشريعه مع تاريخ المغرب والأدب العربي. وإلى جانب ذلك قام سموه برحلة تدريب على متن الباخرة الحربية "جان دارك" المعدة للفنون الحربية العصرية.

خاتمة:

يبدو لنا بوضوح من خلال مجموع هذه الخطب أنها تتضمن العديد من الإنجازات التي كانت في صلب اهتمامات جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف، ويمكن من خلال الدراسة الموضوعية أن تصبح قضايا تاريخية يمكن التفصيل فيها بمنهج بنيوي، فهي زاخرة بالمعلومات حول وضعية المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا تخلو من الشأن الديني وأهمية تقلد الإمامة العظمى، ولإن كان جانب إصلاح التعليم هو الهاجس الأكبر الذي يلزم سيدي محمد بن يوسف فذلك مرتبط بشخصية هذا الملك الرائد الذي قال عنه ابن زيدان: « هذا الملك العظيم هو أول من تكلم في هذه الدولة باللسانين، وقام مقام إنسانين، فإذا تكلم أو خطب رأيت سحر البيان ينبعث من ثنايا الخطب، ومنذ جلس على أريكة ملك آبائه وجدوده المتقين، وهو جاد في تنظيم العلوم والمعارف على أساس متين، وتنمية أرزاق العلماء ليقبلوا على التعليم والإرشاد بكل ما أوتوه من استعداد، حتى تيسر مهمة جلالته الفعالة الأسباب والمواقع، فصار عصره بذلك جمع الجوامع»¹⁴.

14 - عبد الرحمن ابن زيدان، النهضة العلمية، ص. 357.

القول السديد في فكرة الاحتفال بعيد العرش السعيد

عبد العالي ملوك

مركز التوثيق والأنشطة الثقافية بمكناس.

في تاريخ الأمم والحضارات، قامت عروش على أنقاض عروش، وممالك من بعدها ممالك، وهي لا تعدو في نشأتها أحد أمرين:

أحدهما: أن تكون بدافع الغلبة التي إن تمت لأحد الفريقين على الآخر، وكان نفوذ الجماعة وسلطانها بيد الفرد القائد للفريق المنتصر، يأخذ ذلك السلطان في سنة التدرج، إلى أن يصبح ملكا وعرشا تتوارثه أجيال المؤسسين من سلالاتهم المتعاقبة.

والثاني: هو ما نأخذه من حياة "تيمورلنك" الذي أسس عرشا عظيما وملكا واسعا، قامت على أنقاضه عروش وانفصلت عنها ممالك، أصبحت فيما بعد ذات صبغة لا تقل عن التي أخذتها عروش كل من الأكاسرة، والقيصرية، والروم، والهند، وغيرها من العروش الضاربة في القدم¹.

أما العرش الذي عرفه المغاربة في عهد الدولة العلوية، فهو يختلف عن تلك العروش قديما وحديثا، سواء في أصله أو عقيدته أو نظامه، لأنه ليس خشبة يستلقي عليها شخص ليوجه أوامره ويفرض على الناس سلطانه لتحقيق مصالحه وأغراضه، بل هو رمز وسيادة، وهو دين ودولة، وهو علم وحضارة، وهو عزة وقومية، وهو قوة ووئام، وهو تعاون وتضامن... لأنه قام على فكرة، هي سيادة الدولة المغربية ووحدتها، ولذا ضحى من أجلها المغاربة ملكا وشعبا عبر التاريخ.

وإذا كانت الأعمال مسبقة بالأفكار عادة كما عبر عن ذلك العلامة ابن خلدون بقوله: "أول العمل آخر الفكرة، وآخر الفكرة أول العمل، فلا يتم فعل الإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض، ثم يشرع في فعلها"²، فإن سحر الفكرة لم يقف عند اختيار نظام

1 - المغرب ملكا وشعبا، عبد الكريم الفيلاي، دار الطباعة الحديثة، د.ت، ص 3.

2 - مقدمة ابن خلدون، ص 391.

الحكم في تاريخ المغرب، بل تفتقت عبقرية المغاربة على تأسيس عيد جلوس جلالة الملك على عرشه، وذلك ردا على المحاولات اليائسة للمستعمر الفرنسي للإيقاع والتفرقة بين الملك وشعبه، حيث استغل فرصة سفر الزعيم علال الفاسي إلى فرنسا فرارا من الاعتقال، ليحاول إقناع القصر بأنه إنما سافر مبعوثا من الكتلة الوطنية من أجل التفاوض على إرجاع المولى عبد الحفيظ لعرش مراكش، ومع أن جلالة الملك محمد الخامس أعقل من أن يصدق أمثال هذه الترهات، فإن الكتلة الوطنية لم تقف موقف المتفرج من هذه الدسائس، بل أرادت أن تثبت عمليا عواطف الوطنيين الحقيقية نحو ملكهم العظيم من جهة، وتفضح المستعمر وتكشف نفاقه من جهة أخرى، فاهتدت إلى فكرة سديدة هي تأسيس عيد العرش المغربي يوم 18 نونبر، الذي هو يوم جلوس جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف طيب الله ثراه.³

وهكذا أجمع رجال الحركة الوطنية على وجوب إحياء هذه الذكرى المجيدة وجعلها يوما وطنيا، لكن بقي السؤال بعد ذلك عند مؤرخي الحركة الوطنية، عمن نال شرف السبق إلى اقتراح هذه الفكرة العبقريّة - فكرة الاحتفال بعيد العرش المجيد-؟ ومن روج لها ودعا إلى إصدار قرار رسمي حولها قبل أن تصبح واقعا ينتظره المغاربة قاطبة كلما اقتربت الذكرى؟

الجدل حول صاحب فكرة الاحتفال

إن استقراء الوثائق التاريخية التي كتبت عن هذه المرحلة، في شكل مذكرات، أو مقالات على أعمدة الصحف الموالية للحركة الوطنية، سواء بالمنطقة الدولية (طنجة)، أو المنطقة الخليفية (التابعة للسلطات الإسبانية)، أو المنطقة السلطانية (التابعة للحماية الفرنسية) يؤكد أن هناك ثلاث روايات لهذا الحدث التاريخي: أولها لمحمد بن حسن الوزاني، والثانية لأبي بكر القادري، والثالثة للكاتب الصحفي مصطفى العلوي وكلهم عاصروا هذه المرحلة وحفظوا لنا أحداثها في ذاكرتهم ومذكراتهم.

الرواية الأولى: أوردها المجاهد محمد بن حسن الوزاني في مذكراته التي سماها "مذكرات حياة وجهاد"، أكد فيها أن فكرة الاحتفال بذكرى تولية سيدي محمد خلفا لوالده السلطان مولاي يوسف راجت لأول مرة بواسطة محمد الصالح ميسة صاحب مجلة "المغرب" العربية بالرباط، فإليه

3 - انظر الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، علال الفاسي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط 1/1948م، ص 183.

يرجع التفكير في هذه المبادرة، ولكن جريدة "عمل الشعب" التي كان ميسة من كتابها السرين (وهي أول جريدة ناطقة بالفرنسية صدرت بالمغرب باسم "l'action du peuple") هي التي تبنت الفكرة ودعت إليها، بل نفذتها على الصعيد الوطني، فجعلت السلطة الفرنسية المعارضة أمام الأمر الواقع.

ففي العدد 12 بتاريخ 20 أكتوبر 1933م من "عمل الشعب" نشرت صورة كبرى للسلطان سيدي محمد بلباسه التقليدي، وسجل تحتها أن سيدي محمد خلف والده في 18 نونبر 1927م، وأنه بعد قليل يمكن تنظيم حفلات كبرى احتفاء بذكرى جلوس سيدي محمد على العرش، وهكذا يصبح يوم 18 نونبر عيداً رسمياً للعرش، فاتخاذ هذا العيد يلبي رغبة جد قابلة للتحقيق.. وأضافت الجريدة أن الشعب المغربي سيكون سعيداً إذا ما صدرت التفاتة كريمة - كما يفعل جميع رؤساء الدول في الأمم المتحدة - من سيدي محمد بن يوسف، وهي العفو عن جميع المساجين، بادئاً بالشباب المعتقلين، وكثير منهم حكم عليهم ظلماً وباطلاً، كما أن "عمل الشعب" تحيي السلطان الشاب وتتمنى له عمراً طويلاً يكرسه لخير شعبه.

فهذه هي الكلمة التي فتحت بها "عمل الشعب" الدعوة إلى عيد العرش، كانت أول مرة ظهرت فيها هذه العبارة التي قدر لها أن تصبح عيداً رسمياً بعد حين.

ومنذ ذلك الوقت، تكلفت "عمل الشعب" بمتابعة السعي، ومواصلة الدعوة أملاً في أن تشيع الفكرة أكثر فأكثر، وأن يتحمس لها الشعب بعدما يدرك جدواها ويفهم مغزاها ويقدر مرماها.

هذا بصفة عامة، وبصفة خاصة، أن يقتنع بها السلطان نفسه، فيعين على إخراجها رسمياً إلى حيز الوجود..

ولما حل شهر الذكرى أعاد "عمل الشعب" الكرة في العدد 15 بتاريخ 10 نوفمبر 1933م بمقال تحت عنوان كبير: "عيد العرش" قلنا فيه: إننا سعداء حيث نعرف أن اقتراح إقامة عيد العرش قد دخل في مجال الإنجاز، فقد لقي هذا الاقتراح في سائر الأوساط المغربية قبولا حماسيا ليس عليه من مزيد.⁴

4- مذكرات حياة وجهاد، محمد حسن الوزاني، ط1/ 1984م، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 471/3.

الرواية الثانية: أثبتتها الأستاذ المجاهد أبو بكر القادري في مذكراته التي كتبها في عدد من المصنفات⁵ والمجلات⁶ والدوريات، أكد فيها أن أول من كتب في هذا الموضوع الذي كان يشغل الأفكار هو المرحوم "محمد حصار"، حيث كتب مقالا في مجلة "المغرب" التي كان يصدرها السيد "محمد صالح ميسة" الجزائري تحت عنوان "الأعياد الإسلامية" طالب علنا في ختام مقاله باتخاذ يوم عيد الجلوس الملكي على عرش أسلافه عيداً وطنياً.⁷

وقد وقفت على هذا المقال بالعدد الحادي عشر من المجلة المذكورة، بعنوان: "حكومتنا والأعياد الإسلامية"، وبتوقيع "مغربي" حيث عدد فيه الكاتب الأعياد والعطلات الإسلامية التي يحددها الظهير الخاص بالتنظيم الأساسي للمحاكم الفرنسية، وهي يوم الجمعة والأيام الثلاثة الأخيرة من شهر رمضان المعظم وثلاثة أيام لكل من عيدي الفطر والأضحى واليوم التاسع والعاشر من شهر محرم (عاشوراء) واليوم الثاني عشر والثالث عشر من شهر ربيع الأول (مولد الرسول صلى الله عليه وسلم)، منتقدا اهتمام سلطات الحماية بأعياد رعاياها ومواطنيها، ونسيان أو تناسي محرر هذا الظهير لعدد من أعياد المسلمين ومواسمهم، وعدم تنفيذ ما ورد فيه - على قصوره - بأي إدارة من إداراتها أو مصلحة من مصالحها في معاملتها مع الموظفين والمستخدمين المسلمين، بما في ذلك المحافظة العقارية والمحاكم؛ التي هي أجدر من يجب عليه أن لا ينسى قانوناً أو ظهيراً.

وبهذه المناسبة، دعا الكاتب في ختام المقال إلى ضرورة إضافة الأعياد والمواسم التي أهملها محرر الظهير، وإصدار قرار باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش المغربي عيداً وطنياً.⁸

وقد زكى رئيس التحرير "محمد الصالح ميسة" هذا الاقتراح الأخير، وعلق عليه بقوله: "فإننا نضم صوتنا إلى صوت الكاتب صاحب المقال، راجين من الحكومة أن تتخذ يوم جلوس جلالته على العرش المغربي عيداً وطنياً يتاح فيه للأمة المغربية كل سنة -زيادة على الأعياد الشرعية-

5 - انظر مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، أبو بكر القادري، ط1/1992م، 160/1،

6 - انظر مجلة دعوة الحق، عدد 1، السنة 22، مارس 1981م، ص 62.

7 - مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ط1/160.

8 - مجلة المغرب، السنة الثانية، عدد 11، سنة 1933م، ص 11-12.

إظهار دوام تمسكها بعرش الأشراف العلويين، وإبداء ما تحمله القلوب من عواطف الإخلاص والتفاني نحو ملكها المفدى دام عزه"⁹.

ومن شائع هذا الرأي، الأستاذ قاسم الزهيري في "معلمة المغرب"، حيث أكد بأن أول من فكر في الاحتفال بذكرى اعتلاء محمد الخامس العرش، أحد أبناء سلا المناضلين، المرحوم محمد حصار، وكان من ألمع شباب جيله تفكيراً وثقافة وتحريراً باللغتين العربية والفرنسية، دعا إلى الاحتفال بعيد تتويج محمد الخامس في مقال نشر بمجلة "المغرب" لصاحبها محمد صالح ميسة، وكان عنوان المقال: "الأعياد الإسلامية"، تلقف الدعوة أبناء سلا والرباط وفاس، فأقاموا أول عيد للعرش سنة 1933م، بعدما تألفت لجان لهذا الغرض ونشطت في تنظيم الحفلات والدعوة لإقفال الإدارات والمدارس والمتاجر وتزيين الشوارع والتحلي بأحسن الملبوس وتبادل الزيارات والتهاني وتوجيه برقيات التهاني لجلالة السلطان محمد الخامس¹⁰.

الرواية الثالثة:

تشير إليها الوثيقة التي كتبها الشريف "علي العلوي" ابن القاضي المؤرخ "الشريف الحاج محمد بن مولاي الطيب العلوي"، ونقلها قيدوم الصحفيين المغاربة، الأستاذ مصطفى العلوي في الجزء الخامس من كتابه "محمد الخامس" وتتضمن بيانات وتفاصيل لها دلالتها وأهميتها في هذا الشأن.

وحاصلها أنه عقب الحركة السياسية ضد الظهير البربري سنة 1930م، فكر المرحوم قاضي سلا السيد "محمد بن إدريس العلوي" في الاحتفال بذكرى تتويج جلالة الدر النفيس "محمد الخامس" على عرش أسلافه الكرام يوم 18 نونبر 1933م بمدينة سلا، والحق ما شهدت به البرقية التي بعث بها القاضي المذكور بتاريخ 18 نونبر 1933 إلى جلالة الملك في مدينة مراكش، حيث كان يقيم بها عاهل البلاد.

وقبيل إرسال البرقية المشار إليها، استدعى القاضي سيدي محمد بن إدريس العلوي نخبة من عدول المحكمة الشرعية بمدينة سلا وأطلق عليهم لجنة الاحتفال، وعددهم ستة، وهم السادة:

9 - مجلة المغرب، م س، ص 12.

10 - معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط 1/1989م، مطابع سلا، 6039/1.

الحاج محمد بن الطيب العلوي، والحاج محمد بن الحاج علي عواد، ومولاي إدريس الجعدي، ومحمد بن العربي معنيو، وأبي المواريث الحاج أبو بكر عواد، ووكيل الغياب محمد الغربي، حيث أبلغهم الفكرة وطلب منهم زيارة الباشا الحاج محمد الصبيحي قصد إطلاعه على البادرة الطيبة، فذهبوا فعلا برمتهم باستثناء القاضي كان طريق الفراش نظرا لتوعكه، بيد أن الباشا رفض تلبية رغبتهم بسبب عدم أي سند، وخشية عقاب المراقبة الفرنسية، فعادوا بخف حنين إلى القاضي الذي التمس منهم الرجوع إلى الباشا من أجل إقناعه بعدالة المطلب، ولما جددوا رغبتهم للباشا أجابهم حرفيا: "افعلوا ما شئتم شريطة تحملكم لمسؤوليتكم" ولما هموا بالخروج تصدت لهم جماعة من السلاويين وهم السادة: الحاج المكي الصبيحي، وعبد الرحمن الصبيحي، وعبد الحميد العلوي، والحاج العربي عواد، وعبد الرحمان حجي، قائلين لهم: "لقد أخرجتم الباشا" فواصلوا سيرهم إلى منزل القاضي، حيث أخبروه بفحوى تفاوضهم، وهكذا احتفلت جمعية أصحاب الحرف وأرباب المهن داخل منزل القاضي يوم 18 نونبر 1933 ورفعوا عاجلا برقيات التهئة إلى جلالة السلطان كل واحد باسمه، وصباح يوم 19 نونبر 1933م استدعى الباشا هذه الجماعة بواسطة أعوانه فحصل فيهم الاشتمزاز حسب ما ذكر لي سيدي الوالد، ولكنهم بعزيمة قوية وبكل حماس، ذهبوا إلى منزل الباشا فصعد بهم إلى قبة وجلسوا بين أطباق الحلوى ينتظرون الباشا الذي دخل عليهم مبتسما قائلا لهم: "لقد اتصل بي هاتفيا الفقيه المعمري (مدير التشريفات الملكية سابقا) وطلب مني أن أستدعيكم قصد إبلاغكم واحدا واحدا شكر سيدنا على البرقيات التي وجهتموها إلى القصر الملكي، وأثناء المقابلة قدم الباشا للحاضرين الشاي والحلويات ثم ودعهم في بهجة وحبور.¹¹

هذه أشهر الروايات التي وصلتنا من المصادر التاريخية التي عاصرت هذا الحدث، والحق أنني تتبعت كل ما وقعت عليه يدي في الموضوع، فوجدت أن جريدة "المغرب" نشرت المقال السابق "حكومتنا والأعياد الإسلامية" بتوقيع "مغربي" (وهو الاسم المستعار لمحمد حصار)، في شهر ربيع النبوي (ربيع الأول)، داعية إلى اتخاذ يوم الجلوس عيدا وطنيا، ثم ذكرت بذلك بعده بشهرين (في شهر جمادى الأولى)، تحت عنوان: "العيد الملكي"، بتوقيع "م." (وهو يرمز إلى اسم رئيس تحريرها محمد الصالح ميسة)، ومما جاء فيه:

11 - انظر محمد الخامس، مصطفى العلوي، ط1/1997م، 62/5-63.

في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة 1346 جلس صاحب الجلالة الشريفة سيدي محمد أيده الله وحفظه على عرش المغرب، وله من أسباب القيام بأعباء السيادة على الأمة وخدمة مصالحها شباب زاهر وتربية عالية وعقل راجح ونية صالحة، وتوكل على الله يزيده الشعور بالعجز متانة والثقة بالنفس مكانة، وقد كان من قبل والده المقدس المولى يوسف طيب الله ثراه قام بمساعدة رجال الإصلاح من حكومة الحماية بأعمال جليلة كان من المنتظر أن تأتي بأكبر النتائج وأن يثمر غرسها في أمد ليس ببعيد..

وبعد استطراد في سرد مآثر جلالة الملك الشاب محمد الخامس وآثار جهوده المباركة في سبيل الحضارة والعمران، وتغيير الأفكار، وتدشين عهد جديد في وجه الإيالة الشريفة، يبشر بمستقبل زاهر ويبعث على رجاء كبير في الأيام المقبلة.. جدد الكاتب طلب المغاربة باتخاذ ذلك اليوم عيداً وطنياً، تشهر فيه الأمة المغربية تعلقها بالأريكة السنية، وترفع فيه إلى الجنب العالي ما تحمله القلوب له من إخلاص وشكران، مذكراً بما ورد في العدد السابق في هذا السياق، بقوله: "وقد قدمنا في العدد السابق هذا الطلب إلى أولي الحل والعقد، وتفضل عدد من الكتاب في المغرب وفي الخارج بتأييدنا وتحبيذ مساعدتنا على إنجازها، ولنا الثقة في أن جناب السياسي الجليل ممثل الجمهورية العظيمة ذات الحظ الأوفر في نشر المدنية والسير بالأمم إلى مواطن الكرامة، وجناب الصدر الأعظم المكتوب اسمه في تاريخ المغرب بحروف لامعات، سيجعلان من ألد المهمات المسندة إلى عزمهما وعطفهما، تلبية هذا الطلب الصادر عن نية صالحة واعتراف بالجميل، على أن الاحتفال المقصود ليس إلا إشهار عاطفة لنا أن نتصرف فيها كما نشاء، ولا نظن أن ذلك يحتاج لزوماً إلى إرادة حكومية أو أمر دولي".

ولهذا فنرجو أن تشكل من الآن لجنة من أعيان الأمة ووجهاؤها، تقوم بشؤون هذا اليوم من مخابرة الدوائر الرسمية، ووضع برنامج للحفلات وإذاعته بين العموم، واتخاذ كل ما يعين من الوسائل لإعطاء عيد الجلوس كل ما يستحقه من أهبة وجلال.¹²

ومن هنا يظهر لي أن التنافس على إحراز شرف سبق إلى الدعوة لتخليد عيد الجلوس، ينبغي أن نميز فيه بين مستويات أربعة:

12 - مجلة المغرب، السنة الثانية، ع 12، شتنبر 1933م، ص 3.

المستوى الأول: صاحب الفكرة، ويبدو لي أن الأمر يتعلق بالسيد محمد حصار، ثم لقي الاقتراح بعد ذلك تأييدا من صالح ميسة، والدليل على ذلك عبارة "ميسة" المذكورة آنفا: "فإننا نضم صوتنا إلى صوت الكاتب صاحب المقال"، وهي واضحة في أسبقية "حصار" على "ميسة" في هذا الشأن.

المستوى الثاني: صاحب مبادرة نشر الفكرة: وهو رئيس تحرير مجلة "المغرب" ذو الأصول الجزائرية الصحفي محمد الصالح ميسة.

المستوى الثالث: صاحب مبادرة تفعيل الفكرة وتبنيها: وهي جريدة "عمل الشعب" الناطقة بالفرنسية، والتي كان يديرها المرحوم محمد بن حسن الوزاني، وقد صرح بذلك بوضوح حين قال: "فحينما تبيننا في عمل الشعب فكرة عيد العرش وتولينا الدعوة إليها، كنا نعلم ما نريد وإلى أين نسير، ولما حل شهر الذكرى أعاد "عمل الشعب" الكرة في العدد 15 بتاريخ 10 نوفمبر 1933 بمقال تحت عنوان كبير: "عيد العرش"، قلنا فيه: إننا سعداء حيث نعرف أن اقتراح إقامة عيد العرش قد دخل في مجال الإنجاز، فقد لقي هذا الاقتراح في سائر الأوساط المغربية قبولا حماسيا ليس عليه من مزيد، وتحدث البعض عن احتفالات فائقة ستمر بمراكش بمناسبة ذكرى تنصيب جلالة سيدنا محمد الذي كان وقتئذ في عاصمة الجنوب"¹³.

المستوى الرابع: صاحب مبادرة تنزيل الفكرة: ويمكن الحديث هنا عن القاضي سيدي محمد بن إدريس العلوي، الذي استدعى نخبة من عدول المحكمة الشرعية بمدينة سلا وأطلق عليهم لجنة الاحتفال، وأبلغهم الفكرة وطلب منهم زيارة الباشا الحاج محمد الصبيحي قصد إطلاعه على البادرة الطبية..¹⁴

ولا أستبعد أن يكون هناك تنسيق وتبادل أدوار ومواقع بين هؤلاء جميعا، في خطة محكمة تقتضيها ضرورة التخفي من عيون الاحتلال، والفرار من التضييق الذي كان يمارسه المستعمر الفرنسي على الحركة الوطنية ورجالاتها، وذلك ما نستشفه من حالة محمد الصالح ميسة - على سبيل المثال لا الحصر -؛ الذي كان أحد الكتاب السريين المتعاونين مع جريدة "عمل الشعب"، ينشر بها

13 - مذكرات حياة وجهاد، 471/3.

14 - محمد الخامس، مصطفى العلوي، 63/5.

بعض المقالات، ويحرر أحد أبوابها المعنون بـ "حديث الشباب"، وقد كان ترجحنا في المحكمة العسكرية بالرباط، فكانت وظيفته لا تسمح له بالظهور بمظهر المتعاطف مع حركة الشباب الوطني، لهذا كان يوقع ما يكتب بجريدة "عمل الشعب" باسم مستعار هو "محمد حصار"، وأن هذا الأمر كان باتفاق مع صاحب الاسم الحقيقي، (أي محمد حصار) الذي قبل إعارة الإمضاء.¹⁵

وعموما، فقد تنبه المستعمر إلى "خطورة" هذه الدعوة، ومغزى الاحتفال بعيد العرش، وما يرمي إليه من تجديد للبيعة، وتثبيت بالمشروعية، واسترجاع السيادة، واستذكار للميثاق الوطني بين العرش والشعب، والتعبير عن الأواصر القوية التي تجمع السلطان المعظم برعاياه الأوفياء، فاستنفر كل طاقاته ورصد كل إمكانياته بدهاء لثني المغاربة عن المضي في هذا الطريق، باعتقال بعض دعاة، ولكن الشعب احتضن الفكرة واستمر في الدفاع عنها، فلم تكد تمر سنة حتى عم الاحتفال بعيد العرش سائر المدن والقرى، فاضطرت الإدارة الفرنسية، أمام الضغط الشعبي والواقع العملي إلى الاعتراف به عيداً وطنياً، وإصدار قرار وزيره باتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة الشريفة على عرش المغرب عيداً رسمياً، ونصه:

الحمد لله وحده

قرار¹⁶ وزيره يؤسس بموجبه عيد التذكار

يعلم من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي :

الفصل الأول

يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيداً لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعداً.

الفصل الثاني

يقوم باشا كل مدينة من مدن الإيالة الشريفة بتنظيم الأفراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح أو حادث سار يحدث بذاتهم المنيعة أو مملكتهم الشريفة وتشتمل على:

15- مذكرات حياة وجهاد، 391/3، والبعد الوطني لتأسيس الاحتفال بعيد العرش، لمحمد معروف الدفالي، مجلة دعوة الحق، السنة 52، عدد 393، يوليوز 2009م، ص 97.

16- انظر نص القرار في مجلة المغرب، السنة الثالثة، شعبان 1353هـ، نونبر 1934م، ص 1، ومذكرات حياة وجهاد، 482/3-483.

أولا - تزيين المدن.

ثانيا - الطرب في الأسواق

ثالثا - تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية.

رابعا - يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف.

الفصل الثالث

أما العاصمة التي يحل بها الجناب الشريف فإن بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الأعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسيم التهاني للجناب العالي وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة.

الفصل الرابع

لما كان الغرض في تمام المحافظة على العوائد ولئلا يحدث بسبب هذا العيد المؤسس ما يمس بالحياة التجارية أو الإدارية في المملكة الشريفة، يقرر بأن أفراح العيد لا تجاوز يومه ولا تتعداه إلى غيره، كما أنه لا تكون خطب ولا أوفاد الناس والسلام.

وحرر بالرباط في 16 رجب عام 1353 الموافق 26 أكتوبر سنة 1934م.

محمد المقرئ اطلع عليه وأذن بنشره:

الرباط في 31 أكتوبر 1934م

القومسیر المقيم العام هنري بونسو

الدلالة الوظيفية لإمارة المؤمنين في سياق الزيارة البابوية للمملكة المغربية قراءة حضارية في نداء القدس

ذ. عبد الوهاب الجايي - فاس.

تمثل مؤسسة إمارة المؤمنين بالمغرب مرجعية دينية ذات أبعاد روحية في التواصل الديني، فهي من حيث وظيفتها تعتبر إطارا ناظما لتدبير الشأن الديني للمملكة، والحافظ لخصوصيتها المذهبية عقيدة وفقها وتصوفا وقيما، ثم هي باعتبار السلطة الرمزية والمعنوية التي تحظى بها في المنتديات القارية والدولية، تعد جامعة حضارية عالمية في ساحتها تتواصل الديانات التوحيدية، وعند أبوابها يلتقي الناس في تنوعهم وتعددتهم واختلافهم، وبداخلها تتحقق مقاصد الخلق في وجودهم وسعادتهم ومصالحهم، وفي دروسها نتلمس مركزية الدفاع عن القضايا العادلة للإنسانية، والاستمرار في صيانة القيم الروحية التي حملتها الأديان السماوية للبشرية.

وعليه، فإن المعاني الحضارية التي تحملها مؤسسة إمارة المؤمنين، إنما هي ترجمة مبدعة لمسار تراكمي لحضارة مغربية متفردة بنسقية ثوابتها، ومتميزة بفسيفساء وقائعها العمرانية وتنوع روافدها الثقافية، وفي هذا السياق، يسجل التاريخ المهام الكبرى التي قامت بها مؤسسة إمارة المؤمنين، في التواصل الحضاري والديني في مختلف الفترات والأزمنة، واحتضنت التعدد الديني والثقافي في إفريقيا وحوض المتوسط، كما كانت لرمزيتها أبعاد إنسانية عميقة، امتدت إلى الدفاع عن القضايا العادلة للبشرية، ويكفي الإشارة هنا، إلى قضية القدس الشريف التي احتلت مكانة دالة في اهتمامات المملكة، إذ جعلتها ثابتا من ثوابتها، ووضعتها في صلب السياسة المغربية ودبلوماسيتها المتعددة، كما جعلتها موضوعا للقمم العربية ومؤتمراتها، في إطار الدفع بها للتدويل والبحث عن سبل حمايتها ودعم أهاليها وتنمية تراثها المادي واللامادي، والحفاظ على طابعها العربي الإسلامي.

1 - تنص الفقرة الأولى من الفصل الرابع من الدستور المغربي على أن "الملك أمير المؤمنين وحامي الملة والدين والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية".

وتتويجا لتلك الجهود المحموددة وقع أمير المؤمنين حفظه الله وقداسته البابا وثيقة "نداء القدس" يوم السبت 30 مارس 2019م بالرباط، وهي الوثيقة التي تعد ميثاقا دينيا ورابطا حضاريا للحفاظ على وضعية القدس التعددية في مواجهة التطرف والنزعات الإقصائية. وقد رحبت مكونات المجتمع الدولي بهيئاته السياسية ومؤسساته العلمية والأكاديمية بمضامين الوثيقة التاريخية "نداء القدس"، وهي الوثيقة التي عكست إرادة مشتركة من قائدين حكيمين لحفظ الأمن الروحي لأتباع الديانات السماوية، وبناء جسور الحوار والتفاهم والاستمرار في اختيارات التقدير والاعتراف المتبادل بين العالمين المسيحي والإسلامي، كما رسخت مبدأ المحافظة على مدينة القدس الشريف، والعمل على تعزيز مكانتها الروحية، والإبقاء على طابعها المتفرد وهويتها الفريدة، باعتبارها تراثا إنسانيا وأرضا للتواصل ورمزا للتساكن، قدسا جامعة لتعددية الأديان وأشكال التعايش والمعيش.

وحيث إن المملكة المغربية، اختارت مبدأ الاستمرار في الالتزام برعاية المقدسات دون تمييز بين الديانات السماوية، وفقا لروح الانفتاح الذي نهجه ملوك المغرب، وجعلوه نبتة في تراب ثقافة مغربية وطنية فريدة في إنسانها وتاريخها، فإن الدلالات الرمزية التي يمكن استثمارها عبر قراءة حضارية لوثيقة "نداء القدس" ولتفاصيل الزيارة البابوية للمغرب، تشكل مادة معرفية تكتسب أهمية كبرى في البحث وجدارة في الدراسة، بالنظر لمركزية موضوعاتها، وقيمة حمولة قاموسها ومفاهيمه في إغناء نظرية مستأنفة في الحوار الثقافي والحضاري.

الدلالة الأولى: رمزية إمارة المؤمنين من الهوية الى الانفتاح.

لما كانت إمارة المؤمنين نظاما صائنا للكليات المعلومة من الشرع، فإنها بذلك، تمثل الهوية الدينية للمغاربة بما يحمله المصطلح من المعاني التأسيسية للأركان التي يقوم عليها فعل الدين، وما تقضيه سياقات البحث عن المصالح الدينية والدينية. ومن ثم، شكلت ثنائية "الإمارة والهوية" قضية مركزية في الخطاب الملكي، إن تلميحا أو تصريحاً، ثم تذكيرا للذات وللآخر، بالقيمة التاريخية لمؤسسة إمارة المؤمنين ونظامها الوظيفي، وما تحمله من دلالات اعتبارية ورمزية في الذاكرة الجماعية للمغاربة. وفي هذا السياق يقول صاحب الجلالة: "ولنا في قدسية ثابتنا، الذي هو محط إجماع وطني، وهو الإسلام كدين للدولة الضامنة لحرية ممارسة الشعائر الدينية، وإمارة المؤمنين، والنظام الملكي،

والوحدة الوطنية والترايبية، والخيار الديمقراطي، الضمان القوي والأساس المتين، لتوافق تاريخي يشكل ميثاقا جديدا بين العرش والشعب.²

إن دلالات الخطاب الملكي تحيل على مفهوم النموذج المغربي المتفرد، الذي أسس أمنه الروحي، ورسخ هويته الثابتة، وكفل وحدته واستقراره، وفتح آفاق تثمينه والمحافظة على مكتسباته، عبر مسار توافقي ضارب في التاريخ وامتداداته؛ لأجل ذلك، فإن الحمولة التاريخية والحضارية لإمارة المؤمنين، تساعد الباحث المتأمل على تفسير دلالات وأبعاد حضور المؤسسة الملكية في قيادة مسار تنمية الدولة المغربية، بما يحقق نهضة إنسانها ويدفع به نحو التقدم ومسالك الازدهار، دون أن تجعل من نظامها نظاما مغلقا، غير متحرك أو منفتح على ذاته وعلى غيره، أو ممتنع عن الإنصات لحركية المجتمع ومساءلته حقوقيا ودستوريا عند الاقتضاء والضرورة، وذلك في إطار نقاش حر هادئ ورصين، يضمن للديمقراطية التشاركية استمرارها، ويحفظ لنفسه مواكبة الدرس التجديدي للدستور، والسهر على أن تتوافق نصوصه منطوقها ومفهومها، وفي ذلك تحقيق للمقاصد المرجوة والمصالح المطلوبة ف "الملك رئيس الدولة وممثلها الأسمى ورمز وحدة الأمة وضامن دوام الدولة واستمرارها، والحكم الأسمى بين مؤسساتها، يسهر على احترام الدستور وحسن سير المؤسسات، وعلى صيانة الاختيار الديمقراطي وحقوق وحرريات المواطنين والمواطنات والجماعات، وعلى احترام التعهدات الدولية للمملكة"³.

ولما كانت إمارة المؤمنين مؤسسة منفتحة على ذاتها وعلى غيرها، فإن هذا الاختيار الذي ارتضاه المغرب فلسفة، وآمن به أهله قيادة وشعبا، نجده قد تجذر في الذاكرة الثقافية المغربية، وفي المعيش اليومي لأناسها، وله عناوين كبرى واضحة بارزة في مواقفه التي تؤكد صراحة على حفظ الكرامة الإنسانية وصيانة الروابط الأخوية في جميع تجلياتها وصورها. وبذلك فإن الذات المغربية مستمرة في إضاءة الأماكن المغلقة المعتمدة، التي تختبئ فيها عقليات الظلام، وهي ذوات تكره الانفتاح، وترفض التعددية الدينية والثقافية، وتتوجس من معاني الصحة والمحبة الجامعة بين أتباع الديانات السماوية، يقول صاحب الجلالة: «الديانات السماوية الثلاث لم توجد للتسامح في ما بينها،

2 - مقتطف من خطاب صاحب الجلالة التاسع من مارس 2011، حول الجهوية الموسعة، وإعلان جلالته عن تكوين لجنة خاصة لمراجعة الدستور.

3 - الفصل 41 من دستور 2011م.

لا إجباريا كقدر محتوم، ولا اختياريا من باب المجاملة؛ بل وجدت للانفتاح على بعضها البعض، وللتعارف في ما بينها، في سعي دائم للخير المتبادل؛ قال تعالى: ﴿يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، صدق الله العظيم.

فالتطرف، يضيف جلالته، سواء كان دينيا أو غير ذلك، مصدره انعدام التعارف المتبادل، والجهل بالآخر، بل الجهل، وكفى"، لأجل ذلك، "وفي عالم يبحث عن مرجعياته وثوابته، فقد حرصت المملكة المغربية على الجهر والتشبت الدائم بروابط الأخوة، التي تجمع أبناء إبراهيم عليه السلام، كركيزة أساسية للحضارة المغربية، الغنية بتعدد وتنوع مكوناتها"⁴.

إن العلاقة بين مصطلحي الهوية والانفتاح، علاقة ملازمة فيها من التلاحم والتمازج، ما به يتحقق انصهار البعدين النظري والواقعي، إذ "يشكل التلاحم الذي يجمع بين المغاربة، بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم نموذجا ساطعا في هذا المجال، فهذا التلاحم هو واقع يومي في المغرب، وهو ما يتجلى في المساجد والكنائس والبيع، التي ما فتئت تجاور بعضها البعض في مدن المملكة"⁵، بل إن جلالته يعتبر هذا التمازج بين المكونات المتعددة للذات المغربية، أمانة في عنق جلالته الضامن لها والساهر على حمايتها المؤتمن على منعها، إذ يضيف جلالته قائلا: "وبصفتي ملك المغرب وأمير المؤمنين، فإنني مؤتمن على ضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية، وأنا بذلك أمير جميع المؤمنين على اختلاف ديانتهم، وأنا المؤتمن على حماية اليهود المغاربة والمسيحيين القادمين من الدول الأخرى الذين يعيشون في المغرب"⁶.

الدلالة الثانية: الزيارة البابوية: رمزية واقع ورهانات حضارية.

بدعوة كريمة من أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، وبترحيب كبير من أساقفة المغرب⁷، قام البابا فرنسيس⁸، بزيارة رسمية للمملكة المغربية، في إطار تقوية الدبلوماسية

4 - مقتطف من الخطاب السامي الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، خلال مراسم الاستقبال الرسمي الذي خصصه جلالته، يوم السبت 30 مارس 2019م، لقداسة البابا فرنسيس بباحة مسجد حسان بالرباط، بمناسبة الزيارة الرسمية التي قام بها البابا للمملكة.

5 - نفسه.

6 - نفسه.

7 أسقف الكنيسة بالرباط المطران Cristobal Lopez Romero، وأسقف طنجة المطران Santiago Martinez.

8 - ولد البابا فرنسيس في العاصمة الأرجنتينية في 17 ديسمبر 1936م، تخرج تقنيا في الكهرباء، ثم اختار طريق الكهنوت، درس في المدرسة الإكليريكية وفي دير الرهبنة، حصل على درجة الماجستير في الفلسفة، اشتغل أستاذا للأدب وعلم النفس، درس علم==

الدينية، وتعزيز الحوار الديني والثقافي والحضاري، وتثمين أشكال التعايش وإشاعة قيم المحبة والأخوة والسلم والتسامح بين الشعوب والأمم. وقد وصف العاهل المغربي، زيارة بابا الفاتيكان بالحدث الاستثنائي، قائلا: "يشهد المغرب اليوم حدثا استثنائيا، لسبيين رئيسيين: أولهما: زيارة قداسة البابا فرنسيس الأول لبلدنا، وثانيهما: لأن زيارة الحبر الأعظم تذكرني بزيارة البابا يوحنا بولس الثاني، التي كانت زيارته تاريخية للمغرب"⁹.

الدلالة الثالثة: رمزية السياق الحضاري.

جاءت زيارة بابا الفاتيكان للمملكة المغربية، في سياق تحولات اقتصادية وسياسية واستراتيجية، أججت مواقع الصراع في مواقع متعددة وبخلفيات أيديولوجية مغرقة في القتل والسفك والانتقام، مما أثر بشكل بالغ على مستوى العلاقات الدولية، وعلى المجتمعات والمؤسسات والأفراد، حيث باتت لغة الصدام ومفردات التنافر والابتعاد والقطيعة هي السائدة بين الأفراد، وأصبحت، بالتالي، حقبة مفاهيم التبادل الثقافي والحوار الديني والحضاري، خاوية المضامين جوفاء المقاصد، وضاق، بذلك، صدر البشرية، ولم يعد بمقدور الإنسان أن يتنفس هواء التعاون المثمر، ولا أن يدرك المعاني الحقيقية لمصطلحات التواصل والتعارف والصحة بين الأديان والثقافات والحضارات، وفي هذا يقول صاحب الجلالة مخاطبا قداسة البابا: "تأتي زيارتك للمغرب، في سياق يواجه فيه المجتمع الدولي، كما جميع المؤمنين، تحديات كثيرة، وهي تحديات من نوع جديد، تستمد خطورتها من خيانة الرسالة الإلهية وتحريفها واستغلالها، وذلك من خلال الانسياق وراء سياسة رفض الآخر، فضلا عن أطروحات دينية أخرى"¹⁰.

فلا غرابة، أن يأتي اللقاء بين مؤسستين دينيتين بما تحمله من قوة رمزية، للبحث عن مساحات للأمل والتأمل، وتغليب لغة الحوار والسلم والسلام، والشروع في فتح النوافذ المغلقة للاستمتاع بالهواء المنعش لمعاني الصحة والتعاون والتعايش، ودلالات المشترك الإنساني والكوني.

= اللاهوت ثم عميدا للكلية، ذهب الى ألمانيا لإكمال أطروحة الدكتوراه، وفي 21 فبراير 2001م عين كاردينال من طرف البابا يوحنا بولس الثاني.

9 - مقتطف من خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الزيارة الرسمية للبابا للمغرب.

10 - مقتطف من الخطاب السامي بمناسبة الزيارة الرسمية لقداسة البابا فرنسيس للمملكة.

لأجل ذلك، أكدت الزيارة على أهمية التواصل والحوار بين الأديان، وفتح صفحات مستأنفة في تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية، ونفض تراكمات الماضي والحاضر، واستشراف المستقبل بأمل ورغبة في المصالحة، والتعبير عن مد جسور الحوار بين الأديان والثقافات كضرورة اجتماعية وسياسية، وفي ذلك تأكيد على أن رؤية إمارة المؤمنين للهوية وللغيرية، هي رؤية كونية مستمدة من النصوص التأسيسية في القرآن الكريم، التي أحاطت العلاقات بين الشعوب والأمم، على أساس التعارف والتقوى والأسوة الحسنة، كما أغنت خطاب أهل الأديان والحضارات، بقاموس تدور مفاهيمه ومصطلحاته على الحوار والتفاهم، والدعوة إلى جعل السنن الكونية حاكمة عادلة.

الدلالة الرابعة: رمزية الزمن والمكان.

أوضح صاحب الجلالة، أن الزيارة وإن كانت تندرج في إطار تعزيز العلاقات التاريخية والرمزية العميقة بين المملكة المغربية والفاثيكان، فهي تحمل دلالات رمزية في زمنها ومكانها، في تلميح إلى ساحة ضريح محمد الخامس، الموقع التاريخي الذي يجمع بين معاني الانفتاح على الآخر، وضمان التوازن والانسجام، وصلة وصل روحية ومعمارية بين إفريقيا وأوروبا، إذ يقول جلالتة: "وقد حرصنا على أن يعبر توقيتها ومكانها، عن الرمزية العميقة، والحمولة التاريخية، والرهان الحضاري لهذا الحدث، فالموقع التاريخي الذي يحتضن لقاءنا اليوم، يجمع معاني الانفتاح والعبور والتلاقح الثقافي، ويشكل في حد ذاته رمزا للتوازن والانسجام، فقد أقيم بشكل مقصود، في ملتقى نهر أبي رقراق والمحيط الأطلسي، وعلى محور واحد، يمتد من مسجد الكتبية بمراكش والخيرالدة بإشبيلية، ليكون صلة وصل روحية ومعمارية وثقافية بين إفريقيا وأوروبا"¹¹.

وأما زمنها فقد صادف حدث الإسراء والمعراج، بحمولته التي تؤكد على الحوار بين الأديان، وتعايش أتباعها في سلام واحترام للخصوصيات الثقافية والدينية. يقول صاحب الجلالة: "وقد أردنا أن تتزامن زيارتك للمغرب مع شهر رجب، الذي شهد إحدى أكثر الحلقات رمزية من تاريخ الإسلام والمسيحية، عندما غادر المسلمون مكة، بأمر من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولجؤوا فرارا من الاضطهاد إلى النجاشي، ملك الحبشة المسيحي، فكان ذلك أول استقبال، وأول تعارف

11 - مقتطف من الخطاب السامي بمناسبة الزيارة الرسمية لقداسة البابا فرنسيس للمملكة.

متبادل بين الديانتين الإسلامية والمسيحية. وها نحن اليوم، نخلد معا هذا الاعتراف المتبادل، من أجل المستقبل والأجيال القادمة"¹².

الدلالة الخامسة: الحوار من التعدد الثقافي إلى التواصل بين الثقافات

إذا كان للمغرب أهمية خاصة في الحوار المسيحي الإسلامي، فلأنه منارة إشعاع قيم التسامح والتعايش بين الأديان، إذ تعد القيم الروحية والإنسانية للتعايش والحوار، الأساس الذي يقوم عليه المجتمع المغربي، في سياق ثقافة ترسخت بفضل رؤية ملكية تؤمن بثقافة الحوار والانفتاح وتقبل الآخر، وبفضل مصالح الإنسان المغربي مع تاريخه الطويل المليء بأشكال التسامح مع الذات المختلفة وطوائفها الدينية، في حريتهم وعبادتهم ومعابدهم وكنائسهم ومقابرهم.

لأجل ذلك، يستمد المغرب موقعه الرمزي كمثل للحوار الإسلامي - المسيحي، من الامتداد التاريخي للمملكة المغربية، ومن إمارة المؤمنين ثابت الهوية المغربية الدينية والوطنية، ثم من مكملاتها التي بها أتمت هوية متفردة بروافد منفتحة على ذاتها وعلى غيرها؛ هوية عقدية أشعرية ومذهبية مالكية وسلوكية في التصوف، وهذا النسق المعرفي أنتج عقلية مغربية متصالحة مع نفسها ومع غيرها، جعلت من أرضها ساحة تعايش للثقافات والأديان، ومنبتا للتواصل والحوار، وأفقا جغرافيا للسلم والسلام.

ولعل الاستمرار على طريق التلاقي بين الأديان، وتعزيز مكتسبات قيم التسامح ونشر ثقافة السلام، نجده في الفلسفة الملكية التي أسسها على عماد احتضان المكونين اليهودي والمسيحي، والحفاظ على خصوصيتيها الدينية والثقافية وهويتهما الاجتماعية، والسماح لهما ببناء الكنائس والأديرة، ورعاية المؤتمرات والندوات والموائد المستديرة، التي تحتضنها المدن والجامعات المغربية¹³.

إن الحوار بين الديانات والبحث المستمر في قضايا وموضوعاته، فلسفة ملكية حضارية، ذات رؤية استشرافية قائمة على النقد والتحليل، والمكاشفة والمصارحة، في إشارة لقصور الحوار الديني وعدم تجديد آلياته وكيفيات مد الجسور المتميزة والنيرة، يقول صاحب الجلالة: "بيد أنه من الواضح

12 - نفسه.

13 - انظر مثلا الرسالة الملكية إلى المشاركين في أشغال مؤتمر حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية، التي احتضنته مدينة مراكش سنة 2016م، وكذا مؤتمر قافلة السلام الأمريكية المنعقد بالرباط، والذي نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس.

أن الحوار بين الديانات السماوية، يبقى غير كاف في واقعنا اليوم، ففي الوقت الذي تشهد فيه أنماط العيش تحولات كبرى، في كل مكان، وبخصوص كل المجالات، فإنه ينبغي للحوار بين الأديان أن يتطور ويتجدد كذلك، لقد استغرق الحوار القائم على "التسامح" وقتا ليس بيسير، دون أن يحقق أهدافه"¹⁴، "... وكلما تأملنا مختلف الأزمات التي تهدد الإنسانية، ازددنا اقتناعا بضرورة التعاون بين جميع أهل الأديان وحتميته واستعجاله، وهو التعاون على كلمة سواء قائمة لا على مجرد التسامح والاحترام، بل على الالتزام بالحقوق والحريات... والتحلي بالسلوك الحضاري الذي يقضي كل أنواع الإكراه والتعصب والاستعلاء"¹⁵

الدلالة السادسة: الزيارة البابوية والدبلوماسية الدينية المستأنفة

إذا كانت الزيارة التاريخية للبابا فرنسيس، تحمل من دلالات الحوار وتثبيت أشكال التعايش والتفاهم بين الجامعتين المسيحية والإسلامية، فإنها، بالإضافة إلى ذلك، تحيل على الدور الوظيفي لدبلوماسية مؤسسة إمارة المؤمنين، دبلوماسية دينية وروحية تنبعث شمسها من المغرب وتشرق على الأحواض الحضارية في العالم، بخطابها الحضاري القاصد إلى مد جسور اللقاء والتعاون، وبقاموس به تتزين مفردات وجل الحوار والتسامح، وإليه يعود أهل البحث في موضوعات العيش وقضايا القيم المشتركة.

وعليه، فإن الوظيفة الجامعة لإمارة المؤمنين، إنما تدرك بالنظر إلى القابلية التي حققتها في احتضان جميع الناس مهما اختلفت نحلهم وملهم، إذ الأصل الذي عليه تأسست الأحقية، فلكونهم من المؤمنين والمؤمنات.

إن ما يميز الذات المغربية، ويمنحها خصوصية وجودية وفلسفية، فهي القدرة التي تملكها مؤسسة إمارة المؤمنين، على عقل العوالم الثلاثة للفعل الحضاري: عالم الأفكار، وعالم الأشخاص، وعالم الأشياء، مع إدراكها لدلالات التوظيف الذكي، الذي به تتحقق الفاعلية الحضارية، وبه تستمر الهوية المغربية المتفردة بثوابتها الدينية والوطنية، وبمرجعيتها التاريخية والثقافية، المنفتحة على ذاتها وعلى محيطها المتوسطي والإفريقي والدولي.

14 - مقتطف من الخطاب السامي.

15 - مقتطف من الرسالة الملكية إلى المشاركين في مؤتمر الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، المنعقدة بمراكش يناير 2016م.

ولما كان مبدأ التواصل مع الغير ثابت مقرر، انتقلت مؤسسة إمارة المؤمنين من التأسيس النظري وتأصيلاته المفهومية، إلى مستويات التنزيل التفعيلي لمشاريع في النهوض الحضاري، ولموضوعات التعايش، وقضايا الهجرة، ودلالات الصحة ومعاني الأخوة الإنسانية، وهي الموضوعات التي تعتبر مدخلا حقيقيا لتذويب المعاني السلبية للمغايرة، كما تشكل الرافعات الأساس لنظرية عملية للتقارب بين أتباع الديانات السماوية، مع تأكيدها على مفاهيم المواطنة التي لا مكان فيها لخطاب الكراهية والعنصرية، ولا لأشكال النزاع والصدام على أساس الاختلاف في الدين والمعتقد.

ومن ثمرات الحضور المستمر لمؤسسة إمارة المؤمنين، وإسهامها الفاعل في بناء علاقات السلم والسلام بين الإسلام وغيره من الديانات، أن تشرب الإنسان المغربي ثقافة السلم الاجتماعي، في إدراك دال وعميق لأبعاد الأمن الروحي وقيمه في حفظ الذات المغربية واستمرار أناسها في الزمان والمكان. لأجل ذلك، فإن الدلالة الجامعة التي خلص إليها الإجماع الوطني والدولي، إنما تتلخص في اعتبار الزيارة البابوية للمغرب، لحظة تفكير هادئ، وتأمل عاقل، ونقاش مستمر، يؤطر الحوار المعرفي بين الأديان، ويغني قاموس مفاهيمه ومصطلحاته، ويعطي دفعة معنوية جديدة للعلاقات المسيحية الإسلامية.

جهود إمارة المؤمنين في خدمة القدس الشريف

د. مولاي الحسن بلباكري

عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم تاونات.

لقد حظي المسجد الأقصى والقدس الشريف على وجه الخصوص والقضية الفلسطينية على وجه العموم باهتمام بالغ لدى ملوك الدولة العلوية الشريفة، وهم يستحضرون تعظيم الخالق عز وجل لهذه البقاع المقدسة، قال الحق جل وعلا: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»¹، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى"²، وكيف لا يحظى المسجد الأقصى بهذا التعظيم الإلهي والتشريف النبوي لديهم، وقد كان مسرى نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومنه كان العروج به إلى السماوات العلى، وإليه كان التوجه بالصلاة في مكة بعد فرضها، وحين هجرته إلى المدينة على مدى ستة عشر شهراً، قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة المشرفة، فشكل المسجد الأقصى بذلك أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وبنفس الاهتمام المذكور آنفاً، حظيت هذه البقاع لدى عموم المغاربة، الذين كانوا تبعاً لملوكهم في تعلقهم بهذه البقاع الطاهرة، بما يجعل أفئدتهم تهوي إليها روحياً بعد تعذر معانقتها جسدياً للحصار المضروب عليها من لدن الاحتلال الإسرائيلي.

وقد ترسخ هذا الاهتمام وهذا التطلع والتعلق ببيت المقدس في نفوس المغاربة منذ القديم، ولا أدل على ذلك حرصهم بعد عودتهم من أدائهم لمناسك الحج والعمرة لزيارة المسجد الأقصى لاغتنام فضل الصلاة فيه، وتجديد الصلة بالمكان الطاهر الذي شكل مسرى خير الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

1 - سورة الإسراء، الآية: 1

2 - رواه البخاري من طريق أبي هريرة، في كتاب فضل الصلاة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم عنه أيضاً في كتاب الحج، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، بلفظ: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام ومسجد الأقصى".

وقد عَطَلت مع الأسف الشديد هذه الزيارة وشُدَّ الرحال إلى المسجد المبارك، فأصبحت خبراً بعد عين نتيجة للظروف المأساوية التي آلت إليها الأوضاع هناك.

لقد كان لملوك الدولة العلوية الشريفة منذ قيام دولتهم تعلق كبير واهتمام خاص بالمسجد الأقصى والقدس الشريف الذي شكل مهد الأنبياء ومبعث العديد من الرسل عليهم السلام، وازداد هذا الاهتمام في عهد ملوكها المعاصرين، لاسيما بعد أن انتهكت حرمت القدس الشريف، وبذلك شكلت القضية الفلسطينية قضية الأمة الإسلامية قاطبة، وغدت انشغالا يقض مضجع كل غيور على وحدة الأمة، فهذا جلاله المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وهو أب الأمة المغربية نرى له اهتماما بها لا يقل أهمية عن اهتمامه بقضية وطنه العزيز وهو المكافح والمنافح عنه، وقد أبلى البلاء الحسن في استرجاع استقلاله بعد نفيه ورجوعه معززا مكرما بتاج الحرية والاستقلال، يحكي الدكتور مصطفى الكثيري، المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير عن انشغال المغفور له محمد الخامس بالقضية الفلسطينية أثناء المنفى، يقول: "على الرغم من واقع الحصار الذي فرضته معاهدة الحماية على السلطان سيدي محمد بن يوسف في مجال العلاقات الخارجية، فإن القضية الفلسطينية ظلت قضية محورية في أجندة انشغالاته، ولم يَقُوت الفرصة أبدا ليوضح موقفه من هذه القضية. فبعد الإعلان عن قيام إسرائيل سنة 1948م، سارع الصدر الأعظم المغربي - وهو منصب يوازي رئيس الوزراء - محمد المقرري بإرسال برقية تضامن إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية باسم السلطان محمد بن يوسف، أعلن فيها تضامنه مع ملوك ورؤساء الدول العربية في حربهم ضد إسرائيل، مما أثار حفيظة المقيم العام الفرنسي الذي اعتبر تلك البرقية خرقاً لبنود معاهدة الحماية لاسيما فيما يتعلق باتصال سلطان المغرب بدول أجنبية من غير وساطة الإقامة العامة للحماية الفرنسية"³، ويبين المهدي بنونة رحمه الله، ازدياد انشغال بطل التحرير بالقضية ذاتها بعد زيارة جلالته للمشرق العربي، يقول: "انشغل محمد الخامس انشغالا شديدا بالقضية الفلسطينية، وزاد ذلك الانشغال بعد الزيارة التي قام بها للمشرق العربي في أواخر عام 1959م بعدما زار مدينة القدس، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين واجتمع بهم وتحدث إليهم حول القضية الفلسطينية وصلى

3 - موقع مغرس، <https://www.maghress.com/alittihad/1239904>

بالمسجد الأقصى وأقسم داخل الحرم في بيت المقدس أن يكافح هو وشعب المغرب في سبيل تحرير فلسطين⁴.

والمتمحصر للكثير من المواقع الإلكترونية اليوم يقف من دون شك على الصور التي توثق لحدث زيارة المغفور له محمد الخامس رفقة الراحل الحسين بن طلال عاهل الأردن للقدس الشريف، مع إطلالة عام 1960م وكانت لسنوات خلت قبل احتلال إسرائيل للمسجد الأقصى سنة 1967م في عدوانها الغاشم على ما حولها من البلاد العربية.

وفي فترة حكم المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، فكأن التاريخ يعيد نفسه، فنرى جلالته يتابع بذل مجهودات جلية - سيرا على نهج والده محمد الخامس تغمده الله بواسع رحمته - في صيانة حرمة مدينة القدس الشريف، وهي المدينة التي تتمتع بطابع ديني روحي وقد تقلد رئاسة لجنة القدس⁵.

لقد كانت له - قدس الله روحه - غيرة شديدة على الانتهاكات التي طالت المسجد الأقصى، حيث دعا إلى عقد قمة طارئة لاحتواء الموقف، ومن خلالها لجمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم، يقول عنه الأستاذ: محمد الشريف العيائي: "من مناقب هذا الرجل العظيم من رجال الغرب الإسلامي ألا وهي دعوته الحثيثة الصريحة إلى عقد قمة إسلامية يحضرها ملوك ورؤساء الدول الإسلامية. وذلك إثر إقدام جماعة من اليهود على إحراق⁶ أعز الأماكن المقدسة عند جميع المؤمنين بالديانات السماوية، ألا وهو بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين"⁷.

لقد أظهر جلالته طيب الله ثراه، إحساسا لطيفا وعظفا مَرَّهًا فيه نبرة الحنو الأبوي لما يتعرض له الشعب الفلسطيني بجوار القدس الشريف، جاء في خطابه السامي الذي ألقاه بمناسبة ترأسه

4 - محمد الخامس دراسات وشهادات ص: 105، د. عبد الحق الميريني / دار نشر المعرفة - الرباط، الطبعة الأولى: سنة 1411هـ / موافق 1990م.

5 - لجنة القدس هي مؤسسة عربية إسلامية انبثقت عن منظمة المؤتمر الإسلامي عام 1975م، وقد عهد برئاستها لملك المغرب آنذاك، جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وانتقلت رئاستها بعد وفاته سنة 1999م لوارث سره أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره، مقرها بالرباط وتضطلع بحماية القدس الشريف.

6 - محاولة إحراق المسجد الأقصى المبارك، جريمة جبانة، مأكرة في آن واحد تم تنفيذها من طرف مايكل دينس روهان وهو مواطن أسترالي، ولد في: 1 يوليوز 1941م.

7 - الندوة العلمية حول الشخصية العلمية للحسن الثاني من خلال شهادات المشاركين في الدروس الحسنية، ص: 229، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421هـ/2000م، مطبعة فضالة المحمدية (المغرب).

للجنة القدس بإفران: "لست بصدد عرض عواطفني وألمي شخصيا حينما أرى المشردين من الأطفال والنساء والشيوخ يذهبون ضحية العنف لا يرحمهم أحد"⁸.

لذلك ومن منطلق إحساسه طيب الله ثراه بمعاناة الشعب الفلسطيني في محنته داخل أرضه المحتلة، فقد كان يبادر إلى عقد قمة طارئة لتجاوز الأزمة، وحشد التأييد والدعم المادي والمعنوي للقضية الفلسطينية، بما يمكن من الدفع بها قدما في أفق التسوية.

وإن الذي يطلع على كتاب "ذاكرة ملك"، ليقف مشدوها حقيقة أمام هذا الفكر المبدع، الذي يتميز بحنكة سياسية، وخبرة عميقة، وبعد نظر، إنها مواصفات قلما تجتمع في قائد، لذلك فقد أكسبت -هذه المواصفات- جلالته جرأة واعية وشجاعة متبصرة للمآلات، جعلته كثيرا ما يتخذ الموقف المناسب في الوقت المناسب، ولا يضيره في ذلك أن يوافقه الآخر أو يخالفه الرأي، طالما أن العواقب والنتائج هي التي تكون لها كلمة الفصل في الموضوع، ووقتئذ يرجع الندم بمخالفه، ليتحسر بلسان الحال قبل المقال، وهو يصرح ويصيح: "يا ليتني احتكمت إلى رأيه!"، ولنتأمل موقفه وهو يسعى لحقن دماء الفلسطينيين والذود عنهم وحمايتهم، يقول طيب الله ثراه: "وتعود بي الذاكرة إلى القمة العربية التي انعقدت سنة 1965م بالدار البيضاء بحضور الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية، وجمال عبد الناصر... وبطبيعة الحال الملك حسين عاهل الأردن، فحينما رأيتهم مترددين طلبت الكلمة.. وقلت لهم: اسمعوا ليس هناك إلا واحد من حلين، فإما أن تتفاوض من أجل تعايش سلمي، ولا أخفي عليكم أنني أفضل هذا الخيار، وإما أن نستغل عدم وجود تفوق تكنولوجي كبير لفائدة إسرائيل ونهاجمها. فإذا نحن لم نرد التفاوض من أجل التعايش فلا داعي لأن نضيع وقتنا، فلنبادر إلى الهجوم بجيش قوامه 100 مليون فرد حتى ولو كان مسلحا بالعصي فقط"⁹.

إن ميل جلالته إلى الخيار الأول، لم يكن مجرد موقف فحسب، ولكنه كان وجهة نظر مؤسسة على مقاربة واعية للأمر نابعة من تفكير وتبصر عميقين، فقد كان ينظر إلى مدينة القدس على أنها ذات بعد ديني، روحي، فهي مكان لتعايش ثلاث ديانات سماوية، ولذلك فلقضية القدس عند جلالته وضعية خاصة؛ ذلك أن الأماكن المقدسة التي تحتضنها هذه المدينة تكتسي عند معتنقي

8 - مجلة دعوة الحق، العدد: 268، وقد أوردت النص الكامل للخطاب السامي الذي ألقاه رئيس لجنة القدس صاحب الجلالة الحسن الثاني في الاجتماع العاجل للجنة القدس بمنتجع يفرن، بتاريخ: 4 جمادى الأولى 1408هـ/ 5 يناير 1988م.

9 - ذاكرة ملك، الحسن الثاني، ص: 151، أجرى الحوارات: إريك لوران، الناشر: الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية 1993م.

الإسلام والمسيحية واليهودية أهمية كبرى؛ وهي المسجد الأقصى بالنسبة إلى المسلمين، وحائط المبكى بالنسبة إلى اليهود، وكنيسة المهد بالنسبة إلى المسيحيين؛ وهي المعالم الكبرى لكل ديانة في المدينة المقدسة، ولا سبيل للتعايش داخلها إلا عبر الحوار والسلام العادل والدائم والشامل.

وإذا لم يكن من خيار سوى الثاني، وهو المواجهة فلتكن بأسرع ما يمكن، لاسيما ودولة إسرائيل لم تكن قد تقوت بعد كما كان يرى جلالته، أما مجرد رفع الشعارات المهيجة للعواطف وغير المقدرة للعواقب، ومن دون تخطيط مسبق، والمزعجة للعدو فلا داعي لكل هذه الأمور، لأنها قد تحدث ردّة فعل خطيرة، وهو الشيء الذي حدث ولم يكن منتظرا، عندما بادرت إسرائيل إلى شن عدوانها سنة 1967م.

لقد كان جلالته يعي جيدا المنطلقات التي كانت تحرك البعض بخصوص تناوله للقضية الفلسطينية، وهذا ما عبر عنه بعد أن أصيب بخيبة أمل بعد أن علم بأن إسرائيل قد استولت على القدس، حين قال: "كان بعض القادة العرب في تلك الفترة يطمحون إلى زعامة العالم العربي متخذين من القضية الفلسطينية مطية لتحقيق ذلك، بضربهم على وترها الحساس، دون أن تكون لهم مع ذلك رغبة في التوصل إلى تسوية تلك القضية"¹⁰.

لقد تابع جلالته اهتمامه بالقضية الفلسطينية، ولم يدخر جهدا في بذل كل مساعيه بما أوتي من طاقة لحل المشكل وبأسرع مما يتطلبه الأمر، فكان لقاء إفران مع الوزير الأول الإسرائيلي "شمعون بيريز"، استجابة منه قدس الله روحه لاقتراح هذا الأخير للاجتماع معه، وهو في هذا يأمل أن يجد طريقا إلى تسوية القضية، أو أن تكون هناك بارقة أمل على الأقل، "علما أن جلالته لم يكن يعتبر نفسه مفاوضا في هذا اللقاء على حقوق الغير، بل كان يريد أن يحمل القادة العرب على المسارعة بالتلاقي على صعيد القمة التي استحال عقدها بسبب الصمت الرهيب الذي عرفته الساحة العربية، ومنه القضية الفلسطينية، ولذلك صرح جلالته في ندوة صحفية قائلا: "إن هذا اللقاء - يقصد لقاءه مع بيريز - لم يضعف الموقف العربي، بل من شأنه أن يقويه، إذ إنه يُخشى إن لم يقع تحريك مخطط فاس أن يصبح مجرد وثيقة يحتفظ بها في مستندات التاريخ"¹¹.

10 - ذاكرة ملك، ص: 154.

11 - نظرات في القضية العربية، ذ. عبد الهادي بوطالب، ص: 214 بتصرف، الطبعة الأولى 1408هـ / 1987م، دار الكتاب، الدار البيضاء.

وها هو وارث سره، أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره يواصل الجهود في خدمة القدس الشريف، والقضية الفلسطينية، ويضطلع بأدوار طلائعية لنصرة الشعب الفلسطيني والدفاع عن قضيته، خصوصا بعد المنحى الخطير الذي أخذته المشاريع الاستيطانية في ظل الغطرسة الصهيونية ومؤامراتها المبيتة الرامية إلى تهويد القدس الشريف وطمس معالمه، وإن جلالتة في مساعيه هذه يسير على نفس النهج الذي سار عليه والده بعد جده طيب الله ثراهما.

وهكذا تظل متابعة جلالتة للقضية الفلسطينية بشكل يومي، وقد سعى بأكثر مما يتطلبه الصبر لتقريب شقة الخلاف أولا، ليس فحسب بين الأطراف المتنازعة حول الأرض الفلسطينية، فيما عرف بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بل أيضا حتى بين الفصائل نفسها- التي تؤثت للبيت الفلسطيني- عند احتدام الصراع بينها، بما يضعف قوتها ويذهب هيبتها، جاء في خطاب جلالة الملك حفظه الله في القمة العربية التاسعة عشرة المنعقدة بالرياض يوم الخميس: 29 مارس 2007م، قوله: "وإننا لنبارك الخطوات الهادفة إلى تعزيز المصالحة الوطنية الفلسطينية. كما نجدد دعمنا للشعب الفلسطيني الشقيق، بقيادة أخيها فخامة الرئيس محمود عباس، من أجل إقامة دولته المستقلة، وعاصمتها القدس، في نطاق قرارات الشرعية الدولية، ومبادرة السلام العربية البناءة، التي يعود الفضل في بلورتها لخادم الحرمين الشريفين، مؤكدين حرصنا على الإسهام في التفعيل الأمثل لها"¹².

والحقيقة أن هذا الخلاف، وهذا الصراع بين فصائل المقاومة الفلسطينية، حين يشتد أوارُه لا شك سيكون سببا لتسلل العدو إليها من أجل تمزيق صفها وتشيت شملها، ومن هذا المنحى الخطير يحذر الشرع الحكيم، قال تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)¹³، وإلى هذه الحقيقة المرة، أشار الأستاذ: حسين جوزو عندما قال: "ولا شك أن الصهاينة في القرن العشرين على غرار الصليبيين في القرن الثاني عشر انتهزوا التمزق والتفرقة بين المسلمين فاحتلوا القدس من جديد وأسسوا دولتهم في فلسطين وجعلوا القدس عاصمتها الأبدية،(فاعتبروا يا أولي الألباب)!"¹⁴¹⁵.

12 - مقتطف من نص الخطاب الذي تلاه بالنيابة عن جلالتة شقيقه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، انبعاث أمة: ص: 234، الجزء الثاني والخمسون/ القسم الأول، المطبعة الملكية- الرباط، 1427-1428هـ/2007م.

13 - سورة الأنفال، الآية: 47.

14 - لعله اقتباس من قوله تعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار) سورة الحشر، الآية: 2.

15 - مجلة دعوة الحق، ص: 266، العدد: 5، السنة 22، شوال 1401هـ/ غشت 1981م، عدد خاص عن القدس، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المملكة المغربية، مطبعة فضالة - المحمدية (المغرب).

وقد حرص جلالته دوماً على التذكير بالمهمة الجسيمة التي تحملها، والمتمثلة في رئاسته للجنة القدس، جاء في الرسالة التي وجهها جلالته إلى فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي بصفته رئيساً لمجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية قوله: "لقد أخذنا على أنفسنا، منذ أن ولانا الله جلت قدرته، أمر هذا البلد الأمين، الذي يعرف الجميع روابطه التاريخية مع القدس، أن نعمل بصفتنا ملكاً للمغرب، ورئيساً للجنة القدس، المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، سيرا على النهج القويم لوالدنا المنعم، جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، كل ما في وسعنا من أجل الدفاع عن هذه القضية المصرية بالنسبة لأمتنا"¹⁶.

ولم يفت جلالة الملك محمد السادس - أيده الله - ومن باب المسؤولية التي ألقيت على عاتقه - وهو يقدرها حق التقدير وهو بها جدير - أن يكثف جهوده ومساعدته الحميدة من أجل وضع حد لما تقوم به دولة إسرائيل من توسيع مشاريعها الاستيطانية ومحاولة محوها للوجود الفلسطيني من أرضه، يقول جلالته: "وفي سياق هذا الالتزام الواضح والافتناع القوي، نواصل اليوم تحركاتنا واتصالاتنا ومساعدتنا لتطويق المشاريع الإسرائيلية، التي أصبحت ذات منحنى استتصالي يهدد عمق الوجود الفلسطيني العربي والإسلامي بهذه الأرض الطيبة"¹⁷.

إنها بكل يقين معاناة يومية يتجرع مرارتها الشعب الفلسطيني، الذي اغتصبت أرضه، وتعرض لصنوف الأذى والتكيل، وفي سبيلها استرخص كل ما يملك، فسالت بجهاذه الدماء الزكية للشهداء من أبنائه، الذين كتبوا بها عبر صفحات التاريخ أروع الملاحم والبطولات.

وفي هذا السياق، ورغبة في تحقيق الوقف الفوري لهذه الانتهاكات الإسرائيلية، بادر جلالته إلى دعوة قيادات وازنة في المنتظم الدولي لتكثيف جهودها لثني إسرائيل على التخلي عن كل ما لا يخدم السلام بالمنطقة، ومن ذلك تجاوزاتها التي تضرب في العمق الشرعية الدولية، التي هي جديرة بالاحترام، يقول جلالته: "ومن هنا بادرنا، بكل مسؤولية وأمانة، في مناسبات عديدة، إلى مخاطبة الأمين العام للأمم المتحدة، والأعضاء الدائمين بمجلس الأمن، والرئاسة الدورية للاتحاد

16 - مقتطف من نص الرسالة الملكية السامية، المؤرخة بتاريخ: 2009/09/25، التي جاءت رداً على رسالة سابقة: للدكتور يوسف القرضاوي، وجهها إلى جلالة الملك يدعوه فيها إلى التدخل العاجل أمام التطورات الخطيرة وغير المسبوقة تجاه المسجد الأقصى المبارك، وقد نشرت نصها كاملاً جريدة هسبريس، بتاريخ: 20 أكتوبر 2009.

17 - مقتطف من الرسالة الملكية السامية السابقة.

الأوروبي، وقداسة البابا، لحثهم على الوقف الفوري لهذه الإجراءات، التي لا تستند على أي أساس قانوني أو شرعي، مشددين على ضرورة المحافظة على القدس كفضاء للتعايش بين الأديان¹⁸.

وبكل تأكيد فإن المناسبات العديدة التي أشار إليها جلالتة في رسالته السامية، تجدها شواهد تاريخية، فهو منذ السنوات الأولى لتوليته مقاليد الحكم، بصفته رئيسا للجنة القدس، "وجه رسائل إلى قادة دول وحكومات الدول الأعضاء الدائمة في مجلس الأمن، وقداسة البابا بينديكت السادس عشر، ورئيسة مجلس الاتحاد الأوروبي، ورئيس اللجنة الأوربية، بخصوص النية التي عبرت عنها الحكومة الإسرائيلية لتحويل المقرات الحكومية والإدارية نحو مدينة القدس الشريف، وبناء آلاف المساكن بها"¹⁹.

ولم يفت جلالتة أن يجدد هذه الدعوات في كل وقت وحين، بما يجعلها تخرج الأطراف الفاعلة في عملية السلام من أجل الضغط على إسرائيل لتغيير مواقفها التعسفية التي تهدف إلى النيل من عزيمة وإرادة الشعب الفلسطيني، والابتعاد عن كل ما لا يخدم عملية السلام بالمنطقة، يقول جلالتة: "بالنظر إلى الدور الكبير الذي تضطلع به هذه البلدان على الساحة الدولية وعملها الأكيد لفائدة السلام في العالم، أعرب عن الأمل في أن تتمكنوا من مباشرة مساعيكم الحميدة لدى السلطات الإسرائيلية قصد حملها على التخلي عن كل إجراء لا يخدم قضية السلام في المنطقة وفي العالم"²⁰.

وأمام عظم الخطب وكثرة المحن، التي يتعرض لها إخواننا الفلسطينيون، استمر أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله في تقديم المساعدات الإنسانية للشعب الفلسطيني المكوم، بصفته رئيسا للجنة القدس ومن منطلق يقظته الإيمانية، وقد تشرب قول جده المصطفى ﷺ إذ قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا". ثم شبك بين أصابعه²¹. فأشرف شخصيا على انطلاق عملية إرسال المساعدات الإنسانية الموجهة للشعب الفلسطيني، وشملت إقامة مستشفى ميدانياً للقوات المسلحة المغربية في غزة فضلا عن مساعدات طبية وإنسانية أخرى.

18 - مقتطف آخر من الرسالة الملكية السابقة.

19 - انبعاث أمة، ص: 466.

20 - نفس المرجع السابق، ص: 467.

21 أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضا.

ومن المعلوم أن هذا المستشفى الميداني المذكور، المتعدد الاختصاصات سيقدم خدمات استشفائية جليلة للفلسطينيين من أجل التخفيف على الأقل من معاناتهم، جراء الانتهاكات الإسرائيلية التي ما فتئت تلحقهم.

وحرصا من جلالته على التخفيف من آلامهم وأحزانهم جراء الحصار الشبه الدائم عليهم، كانت المبادرة الملكية بإرسال مساعدات إنسانية أخرى على شكل أغذية وأفرشة ومواد غذائية أخرى.

وقد كبرت هذه الالتفاتة الكريمة المتتالية من جلالته في أعين المسؤولين الفلسطينيين، مما جعل الخارجية الفلسطينية تعرب عن عميق شكرها وتقديرها لجلالته وللشعب المغربي، الذي يكون سباقا دوما لتقديم الدعم لإخوانه الفلسطينيين العزل، وذكرت بأن المبادرات الإنسانية المغربية إزاء الشعب الفلسطيني في هذا المجال "كثيرة وعديدة"، مما يبرهن على أن القضية الفلسطينية حاضرة في وجدان المغاربة، الذين لا يتوانون في الإعراب عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني في نضاله وصموده ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وقد واصل جلالته بوصفه رئيسا للجنة القدس على تقديم الدعم المادي والمعنوي للمقدسين، في إطار عنايته واهتمامه المتواصلين بالقدس الشريف، فخصص منحة مالية كمساهمة من المملكة المغربية من أجل ترميم وتهيئة بعض الفضاءات داخل المسجد الأقصى المبارك وفي محيطه، وذلك في إطار المحافظة على رمزيتها التاريخية، وهذا ما يعبر على الرعاية الموصولة والجهود المبذولة التي ما فتئ جلالته يقدمها لمدينة القدس الشريف حفاظا على طابعها المعماري الأصيل المرتبط بهاضيها التليد ومحافظة على هويتها الحضارية ورمزيتها الدينية كفضاء مفتوح للتعايش والتسامح بين مختلف الديانات السماوية.

إن هذه الالتفاتة الملكية السامية من جلالته، تبرهن عن مدى المتابعة الدقيقة لجلالته لأحوال المقدسين بما يصون كرامتهم ويحفظ لمبانيهم تلكم الأصالة المعمارية التي تضرب في جذور التاريخ، وما سيزيد من جماليتها ويكسبها جاذبية أكثر أن عهد لأنامل الصانع المغربي أن تلامسها، تحت إشراف مهندسين معماريين أكفاء مما سيضيف عليها بهاء ورونقا من دون شك.

وإذا كان على علمائنا الأجلاء واجب التوجيه والإرشاد للأمة، فهذا هو فضيلة العلامة، الأستاذ: عبد الله كنون، يبين لنا حقيقة الانتماء إلى القدس، ومن هم أحق الناس بها؟ وما هو واجبهم

تجاهها؟ يقول رحمه الله: "إن مدينة القدس ليست للعرب وحدهم، فهي لجميع المسلمين. والعرب إنما هم حراس لها وسدنة لحرمتها، فإذا غلبوا لسبب من الأسباب فإن من الواجب أن تهب الأمة الإسلامية جمعاء للذود عن كيائها وحماية بيضتها وإلا حاق بها الذل والهوان في كل مكان، واعتبر استسلامها وتحاذلها وصمة عار في جبين كل مسلم وميسم خزي يلاحقه أينما حل وارتحل"²².

واعتبارا لكون قضية القدس قضية الجميع، دعا جلالة الملك كل المعنيين بها إلى تنسيق جهودهم وفتح المجال أمام المحسنين والجمعيات الأهلية والعامة، والصناديق الإسلامية، لتقديم الدعم المطلوب لها.

واعتبارا للدور الاقتصادي والاجتماعي الذي تلعبه وكالة بيت مال القدس الشريف²³ في النهوض بكل احتياجات المقدسيين، وتحفيزا للهمم فقد دعا جلالته أيضا إلى تنظيم حملات منظمة للتبرع على المستوى الشعبي، مناشدا إخوته من قادة الدول المنضوين تحت لواء منظمة المؤتمر الإسلامي، لتنظيم حملات مماثلة لجمع الموارد المالية الضرورية لدعم صمود الإخوة المقدسيين.²⁴

ومواصلة للجهود التي ما فتئ يقدمها جلالته خدمة لمدينة القدس الشريف بما يعيد لها عزتها ومنعتها، كانت الزيارة الأخيرة لقداسة البابا فرنسيس إلى المملكة المغربية، حيث وقع هو وجلالته على "نداء القدس" بقاعة العرش بالقصر الملكي بالرباط، هذا النداء الذي يعتبر مدينة القدس مدينة مقدسة ومدينة للسلام، وقد تلا هذا النداء باللغة العربية، السيد الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى، فضيلة العلامة الدكتور محمد يسف، جاء فيه: "إننا نؤكد أهمية المحافظة على مدينة القدس الشريف، باعتبارها تراثا مشتركا للإنسانية، وبوصفها، قبل كل شيء، أرضا للقاء، ورمزا للتعايش السلمي بالنسبة لأتباع الديانات التوحيدية الثلاث، ومركزا لقيم الاحترام المتبادل والحوار. ولهذا الغاية، ينبغي صيانة وتعزيز الطابع الخاص للقدس الشريف كمدينة متعددة الأديان، إضافة إلى بعدها الروحي وهويتها الفريدة. لذا، فإننا نأمل أن تكفل داخل المدينة المقدسة حرية الولوج إلى الأماكن المقدسة، لفائدة أتباع الديانات التوحيدية الثلاث، مع ضمان حقهم في أداء شعائرتهم الخاصة

22 - مجلة دعوة الحق، ص: 266.

23 - تأسست هذه الوكالة سنة 1998م كمؤسسة عربية إسلامية بمبادرة من جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه، رئيس لجنة القدس، ولا تتغى ربحا ماديا، بقدر ما تهدف إلى حماية حقوق المقدسيين والدفاع عنهم، كما تهتم بدعم مجموعة من المشاريع التمويلية التنموية ذات النفع العام، وفي مجالات متعددة بما يعود على المواطن بالنفع العميم والخير المستديم.

24 - الرسالة الملكية السالفة الذكر.

فيها، بما يجعل القدس الشريف تصدح بدعاء جميع المؤمنين إلى الله تعالى، خالق كل شيء، من أجل مستقبل يعم فيه السلام والأخوة كل أرجاء المعمور".

إن "نداء القدس"، الذي تم تسطيره من طرف جلالة الملك محمد السادس وقداسة البابا، يهدف في عمقه إلى إقرار السلام في تلك الأرض المباركة، ويذكر بأنها أرض الحوار والتعايش بين مختلف الديانات، بما من شأنه أن يوقف الصراع القائم، لا سيما والجميع يعلم بأن الشعب الفلسطيني لا يزال يعاني من شتى وسائل الاعتداء التي تستهدف قضيته، ولا تزال معاناته مستمرة، منذ الاحتلال البريطاني سنة 1917م، في ما عرف بوعد بلفور²⁵، وما رافق ذلك من تداعياته، ثم حدوث "النكبة" سنة 1948م، وبعدها جاءت "النكسة" سنة 1967م، وتوالى الجراحات واشتدت البلى، والمحتل الإسرائيلي يروج في كل مرة للمغالطات والأكاذيب التي تستهدف كسب عطف وتأييد العالم لعدوانه الظالم على الشعب الفلسطيني، مدعيا زورا وبهتانا، أحقيته في كل ما يقوم به من أجل تحقيق أطماعه التوسعية في إقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ومحاولا إيهام الجميع بأن ما يصدر منه من انتهاكات يأتي في سبيل حماية نفسه من الإرهاب الفلسطيني.

ولعمري، إنها لمغالطة كبيرة حقا هاته التي تسعى إلى التسوية بين حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال والدفاع عن مصيره والإرهاب الذي تمارسه إسرائيل علنا أمام مرأى ومسمع من الجميع، غير آبهة بالمظاهرات التي خرجت في شتى بقاع العالم منددة بغطرستها واعتدائها السافر الذي ما فتئت تقوم به في حق أبناء الشعب الفلسطيني.

إن الحديث عن جهود إمارة المؤمنين في خدمة القدس الشريف، كثيرة من أن تحصى، فما ذكرناه منها هو مجرد غيض من فيض وقليل من كثير، وتبقى الأيادي البيضاء والإفضالات الكريمة من أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله ونصره كثيرة ومتواصلة، إذ إن جلالته قد أوقف نفسه في سبيل خدمة القدس الشريف مدافعا منافحا عنها، باذلا كل مساعيه من أجل إقناع المنتظم الدولي بعدالة القضية الفلسطينية، والتي تتطلب بالمقابل تكاثف جهود كل الغيورين على قضية الأمة الإسلامية، القدس الشريف التي هي أمانة في أيدي المسلمين.

25 - ويسمى أيضا إعلان بلفور، وهو بيان علني أصدرته الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس "وطن قومي للشعب اليهودي" في فلسطين، بعدما كان موزعا في الشتات.

القرار الأمريكي بالاعتراف بسيادة المغرب على صحرائه تحول تاريخي في دينامية ترسيخ مغربية الصحراء

د. محمد الأندلسي - تطوان.

منذ اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده عرش أسلافه الميامين، وتحمله أمانة قيادة المغرب بما تقتضيه من أمر الدفاع عن حوزة ترابه ودرء كل الأخطار التي تهدد سلامته، لم يأل جهداً في جعل قضية الوحدة الترابية للمملكة، القضية الوطنية الأولى، ومُحددًا للسياسة الخارجية المغربية، خاصة أنها تحظى بإجماع وطني شامل، وإيمان شعبي قوي بعدالتها وأحقيتها.

فبعد وصول مسلسل المفاوضات بين المغرب والأطراف المعنية بنزاع الصحراء إلى الطريق المسدود، وتأكد للأمم المتحدة استحالة تطبيق مخطط التسوية الأممي، برزت ضرورة إيجاد حل سياسي متفاوض بشأنه، فبادر المغرب إلى تقديم مقترح الحكم الذاتي في إطار السيادة المغربية، وهي مبادرة كما وصفها صاحب الجلالة في خطابه: "تستجيب للمعايير العالمية، وتحترم الشرعية الدولية، وتراعي خصوصيات المنطقة الثقافية والاجتماعية"¹، فتلقاها المنتظم الدولي بترحاب كبير، مُعتبراً إيّاها تمثلاً حلاً سياسياً واقعياً وجدياً وذا مصداقية.

ورغم أن خصوم الوحدة الترابية المغربية لم يدّخروا جهداً في التشويش على هذا الدعم الدولي والإشادة الكبيرة التي حظيت بها المبادرة المغربية، فإن المغرب لم يلتفت إلى تلك المناورات الليائية، ومضى قدماً في تفعيل ورش الجهوية المتقدمة انطلاقاً من أقاليمه الجنوبية، بُغية جعلها قاطرة

1 - نص الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين للمسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 2007م.

للتنمية على المستوى الإقليمي والقاري، ثم بلورة نموذج تنموي جديد للأقاليم الجنوبية، والذي عُهِدَ بإعداده للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي².

وعلى المستوى الخارجي كثّف المغرب من تحركاته الدبلوماسية، خاصة بعد عودته إلى بيته الإفريقي، والتي أثمرت نتائج إيجابية عديدة؛ كسحب عدد من الدول الإفريقية ودول أمريكا اللاتينية اعترافها بالكيان الوهمي، وقرار عدد من الدول الشقيقة والصديقة فتح قُنصليات لها في مدينتي العيون والداخلة "في اعتراف واضح وصريح بمغربية الصحراء، وتعبير عن ثقتها في الأمن والاستقرار والرخاء الذي تنعم به أقاليمنا الجنوبية"³.

إن هذه الدينامية الشديدة التي طَبَعَت الدبلوماسية المغربية خلال السنوات الأخيرة، جعلت من المغرب فاعلا مؤثرا على الصعيدين الإقليمي والدولي، من خلال الإسهام في إيجاد حلول وتسويات لمجموعة من القضايا والمشاكل الدولية، والانخراط في جهود الأمم المتحدة من أجل الحفاظ على السلم والأمن والاستقرار في العالم، الذي يشهد عدة تحولات سياسية واقتصادية وأمنية مُتسارعة.

إن قرار الولايات المتحدة الأمريكية الذي أعلنَ عنه الرئيس السيد دونالد ترامب يوم 10 دجنبر 2020م، يُشكل تحولا تاريخيا هاما في مسار ترسيخ مغربية الصحراء، وحثّ الأطراف الأخرى المعنية بهذا النزاع المفتعل، على التفاعل الإيجابي مع مُقترح المغرب للحكم الذاتي، المتسم بالجدية والمصادقية والواقعية والقابلية للتطبيق، والقطع مع كل المقاربات والأطروحات العقيمة والمتجاوزة وغير الواقعية. وهذا ما كان المغرب يؤكد عليه دائما، أنه لا حَلَّ لقضية الصحراء خارج السيادة المغربية، حيث يقول جلالة الملك: "فإن المغرب ملكا وشعبا لن يقبل إلا بالحكم الذاتي، في نطاق دولته الواحدة والموحدة، ولن يتعامل مع أي طرح مدسوس أو اتجاه ينتقص من سيادة المملكة ووحدتها الوطنية والترابية غير القابلة للمساومة أو التجزئة"⁴.

2 - أنظر: نص الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى السابعة والثلاثين للمسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 2012م.

- النموذج التنموي الجديد للأقاليم الجنوبية، أكتوبر 2013م، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.

3 - نص الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة الخضراء، 7 نونبر 2020م.

4 - نص الخطاب الملكي بمناسبة ذكرى المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 2007م.

سنحاول من خلال هذه الورقة أن نُقدِّم قراءة في مضمون القرار الأمريكي بالاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء، نُسلِّطُ فيها الضوء على سياق تطور الموقف الأمريكي بشأن قضية الصحراء؛ من دعم مقترح الحكم الذاتي المغربي إلى الاعتراف بمغربية الصحراء، ثم تحليل القرار من حيث الشكل والمضمون، وإبراز أبعاده وتداعياته الإقليمية والدولية، ودوره في التسريع من وتيرة إيجاد حل سياسي دائم ومتوافق عليه للنزاع المفتعل حول الصحراء المغربية.

1 - تطور موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضية الصحراء المغربية: من دعم مقترح الحكم الذاتي إلى الاعتراف بالسيادة المغربية.

دأبت الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ إدارة الرئيس السيد بيل كلينتون- في تعاطيها مع ملف النزاع المفتعل حول الصحراء المغربية- على التأكيد بأن الإطار القانوني للتسوية النهائية لهذه القضية هو قرارات مجلس الأمن الدولي، وجهود الأمين العام للأمم المتحدة من خلال مبعوثيه الشخصيين إلى المنطقة، والتي تذهب في اتجاه دعم التوصل إلى حَلٍّ سياسي واقعي وعملي ودائم لمسألة الصحراء على أساس من التوافق، بالإضافة إلى دعم الجهود المغربية المتواصلة للتسوية النهائية لهذا الملف. ثم عرف هذا الموقف الأمريكي تطوراً مُتصاعداً في اتجاه دعم المغرب، والذي اتضح بجلاء بعد تقديم المغرب مقترح الحكم الذاتي الموسع في إطار السيادة المغربية إلى الأمم المتحدة بتاريخ 11 أبريل 2007م، والذي حظي بالترحيب من قبل مجلس الأمن الدولي الذي عبّر في قراره رقم (1754) عن إشادته "بالجهود المغربية المتسمة بالجدية والمصادقية والرامية إلى المضي قُدماً بالعملية صوب التسوية"⁵. فالإدارات الأمريكية منذ مرحلة ولايتي الرئيس السيد جورج والكر بوش، مُرورا بمرحلة ولايتي الرئيس السيد باراك أوباما، وصولاً إلى مرحلة ولاية الرئيس دونالد ترامب، حافظت على موقف ثابت لا يتغير في دعم المقترح المغربي للحكم الذاتي، ووصفه بالمقترح الجاد والواقعي وذو المصادقية، ففي الرسالة التي بعث بها الرئيس جورج والكر بوش إلى جلالة الملك محمد السادس يوم 20 يونيو 2008م، أكّدَ فيها على الموقف الوطني الواضح للولايات المتحدة الأمريكية الذي يعتبر أن حكماً ذاتياً موسعاً تحت السيادة المغربية يُعدُّ الحل الوحيد الممكن للنزاع المرتبط بالصحراء، وأن وُجُودَ دولة مستقلة بالصحراء ليس خياراً واقعياً، وأن الحكم الذاتي يشكل

5 - الأمم المتحدة، مجلس الأمن، القرار 1754 (2007م)، بتاريخ 30 أبريل 2007م. موقع: www.diplomatie.gouv.fr

حلا جديا وذو مصداقية⁶. الموقف نفسه تبنته إدارة الرئيس السيد باراك أوباما، حيث جاء في البيان المشترك الذي أعقب الزيارة الملكية إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2013م ما يلي: "تعهد الرئيس بمواصلة دعم الجهود الرامية إلى إيجاد حل سلمي ودائم ومقبول من لدن الأطراف لقضية الصحراء، وتماشيا مع السياسة الأمريكية الثابتة على مدى سنوات عديدة فإن الولايات المتحدة أكدت بشكل واضح على أن مخطط الحكم الذاتي الذي قدمه المغرب هو مقترح جدي وواقعي وذو مصداقية، ويمثل مقاربة ممكنة من شأنها تلبية تطلعات ساكنة الصحراء إلى تدبير شؤونها الخاصة في إطار السلم والكرامة"⁷.

وفي فترة ولاية الرئيس السيد دونالد ترامب (الجمهوري) استمرت الإدارة الأمريكية على موقفها الثابت المؤيد للمبادرة المغربية للحكم الذاتي، لتشهد الأنفاس الأخيرة من ولايته، الإعلان عن القرار التاريخي الذي يقضي باعتراف الولايات المتحدة - بشكل صريح وواضح لا لبس فيه ولا غموض - بسيادة المغرب الكاملة على مجموع تراب صحرائه، وكذا التأكيد على دعمها الواضح للمبادرة المغربية للحكم الذاتي. وقد اعتبرت الأوساط الدبلوماسية المغربية والأمريكية على حد سواء أن هذا القرار هو نتاج تطور طبيعي للموقف الأمريكي من قضية الصحراء امتد على مدى تعاقب مجموعة من الإدارات الأمريكية، حيث صرّح السفير الأمريكي الأسبق بالمغرب السيد ديفيد فيشر "بأن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالسيادة الكاملة للمغرب على صحرائه هو تطور طبيعي في المواقف الثابتة للإدارات الأمريكية منذ مطلع عام 2000"⁸. وفي السياق ذاته وصف وزير الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج السيد ناصر بوريطة القرار الأمريكي بالتطور المنطقي قائلا: "إن الولايات المتحدة على دراية تامة بأصل وتطورات الملف، وكذا ديناميته ورهاناته، والأكثر من هذا، فالتوجه الذي تُعدُّ مبادرة الحكم الذاتي ثمرة له، ما هو إلا نتيجة لمشاورات معمقة بين الملك محمد السادس وإدارة الرئيس بيل كلينتون (الديمقراطي)، والتي جرى تقديمها للتشاور مع إدارة الرئيس جورج بوش الابن (الجمهوري)، قبل أن يتم دعمها في وقت لاحق من طرف إدارة

6 - موقع الصحراء: www.assahara.ma تاريخ النشر: 24 يونيو 2008م، تاريخ الاطلاع: 13 يونيو 2021م.

7 - نص البيان المشترك بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المغربية في أعقاب لقاء القمة بين الرئيس الأمريكي السيد باراك أوباما وصاحب الجلالة الملك محمد السادس يوم 22 نونبر 2013م بالبيت الأبيض. وكالة المغرب العربي للأنباء www.mapnews.ma.

8 - جريدة الشرق الأوسط عدد 15393 بتاريخ 5 جمادى الآخرة 1442هـ/ 19 يناير 2021م.

الرئيس باراك أوباما (الديمقراطي). فهذه الإدارات المتعاقبة قدمت جميعها الدعم للحكم الذاتي باعتباره حلا لهذا النزاع الإقليمي، وبالتالي جاء الإعلان الرئاسي لإدارة الرئيس دونالد ترامب تتويجا منطقيا لهذا المسلسل، وإبرازا لموقف دائم وثابت على امتداد عشرين سنة، وهو التراكم الذي أفضى إلى الاعتراف بالسيادة الوطنية والوحدة الترابية"⁹.

2 - الإعلان (المرسوم) الرئاسي الأمريكي بالاعتراف بسيادة المغرب على صحرائه: المضمون والسياق والأبعاد.

استغل الرئيس الأمريكي الأسبق دونالد ترامب وسائل التواصل الاجتماعي، بما تتيحه من انتشار سريع وواسع للخبر، للإعلان عن الخبر المفاجأة الذي أحدث حسب وكالة الأخبار الألمانية "DW" زلزالا قد يغير التوازنات الاستراتيجية بشمال إفريقيا¹⁰، حيث جاء في تغريدة على حسابه الشخصي على موقع "تويتر" نشرها يوم 10 دجنبر 2020م، ما يلي: "لقد وقعت اليوم إعلانا يعترف بالسيادة المغربية على الصحراء. إن مقترح المغرب الجاد والواقعي للحكم الذاتي، هو الأساس الوحيد لحل عادل ودائم لتحقيق السلام الدائم والازدهار"¹¹. ثم أضاف في تغريدة ثانية قائلا: "لقد اعترف المغرب بالولايات المتحدة عام 1777م ولذلك فإنه من المناسب أن نعترف بسيادتهم على "الصحراء الغربية"¹². ليتم نشر الإعلان الرئاسي بعد ذلك بالموقع الرسمي للبيت الأبيض الأمريكي، والسجل الفيدرالي. ونقرأ من خلال هاتين التغريدتين؛ أن الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء إنما هو تطور طبيعي للموقف الأمريكي الداعم للمقترح المغربي للحكم الذاتي في الأقاليم الجنوبية، باعتباره الحل السياسي الوحيد لنزاع الصحراء، نظرا لاتصافه بالجدية والواقعية. كما أن ربط الرئيس الأمريكي بين اعتراف المغرب باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1777م واعتراف هذه الأخيرة بالسيادة المغربية الكاملة على الصحراء، هو استحضار للبعد التاريخي والذاكرة التاريخية المشتركة بين البلدين على امتداد حوالي قرنين ونصف.

9 - ناصر بوربيطة: القرار الأمريكي ومغربية الصحراء... المفاجأة والحل، جريدة الشرق الأوسط عدد 15408 بتاريخ 20 جمادى الآخرة 1442هـ/ 3 فبراير 2021م.

10 - حسن زينند: معلقون ألمان: اعتراف واشنطن بمغربية الصحراء إنجاز جيوسياسي للرباط، بتاريخ 17 دجنبر 2020م، www.dw.com.

11 - التغريدة أوردتها قناة الحرة التلفزيونية على موقعها الإلكتروني: www.alhorra.com.

12 - نفسه.

1-2 - مضمون القرار الأمريكي:

حمل القرار أو الإعلان الأمريكي الذي وقّعه الرئيس دونالد ترامب يوم 4 دجنبر 2020م، العنوان الآتي: "الاعتراف بسيادة المملكة المغربية على "الصحراء الغربية"¹³، وتضمن هذا الإعلان ست نقط رئيسة:

- التأكيد على دعم الإدارة الأمريكية الحالية، جريا على نهج الإدارات الأمريكية السابقة، لمقترح الحكم الذاتي المغربي باعتباره الأساس الوحيد لحل عادل ودائم للنزاع على أراضي "الصحراء الغربية".

- الاعتراف بالسيادة المغربية على كامل أراضي "الصحراء الغربية" ابتداء من اليوم، وإعادة التأكيد على دعم الولايات المتحدة الأمريكية للمقترح المغربي للحكم الذاتي، الجدي، والمعقول، والواقعي، كأساس وحيد لحل عادل ودائم للنزاع على أراضي "الصحراء الغربية".

- عدم إيمان الولايات المتحدة الأمريكية بأن خيار استقلال "الدولة الصحراوية الوهمية" واقعي لحل النزاع، واعتبارها الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية هو الحل الوحيد القابل للتطبيق.

- دعوة الطرفين إلى استئناف المحادثات على أساس المقترح المغربي كإطار وحيد للتفاوض على حل مقبول من الطرفين.

- تشجيع الولايات المتحدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية مع المغرب بما في ذلك أراضي "الصحراء المغربية".

- فتح قنصلية أمريكية في مدينة الداخلة بالصحراء المغربية لتعزيز الفرص الاقتصادية والأعمال في المنطقة.

ليختتم بإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بموجب السلطة المخولة له حسب دستور الولايات المتحدة الأمريكية وقوانينها، أن الولايات المتحدة تعترف بأن كامل أراضي "الصحراء الغربية" هي جزء من المملكة المغربية.

13 - « Recognition the sovereignty of the kingdom of Morocco over the Western Sahara ».

Presidential documents, proclamation 10126 of december 4, 2020: Federal Register, vol. 85, No. 241, Tuesday, December 15, 2020. www.federalregister.gov

2 - 2 - الأبعاد والدلالات:

ينطوي القرار الأمريكي بالاعتراف بالسيادة المغربية على كامل تراب الصحراء، على مجموعة من الأبعاد والإشارات القوية في اتجاه إيجاد تسوية نهائية وعادلة ودائمة لهذا النزاع المفتعل الذي عمر طويلا ووصل في بعض الفترات إلى الطريق المسدود وحالة الجمود، لولا الإرادة السياسية الشجاعة للمغرب بقيادة جلالة الملك محمد السادس نصره الله، والتي ترجمت في تقديم مقترح الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية، وهو المقترح الذي حظي بدعم المنتظم الدولي وتأييده، وثمنتها الأمم المتحدة وأشادت به.

وعموما يمكن تحليل هذا القرار الأمريكي وقراءته من زوايا وجوانب متعددة؛ فمن حيث الشكل، فإن القرار الأمريكي له قوة قانونية ثابتة، فهو عبارة عن مرسوم رئاسي صادر عن مؤسسة الرئاسة الأمريكية بموجب الصلاحيات الدستورية والقانونية التي تتمتع بها، وليس خطابا سياسيا أو تصريحاً إعلاميا.

ومن حيث الأسلوب والصياغة؛ فقد جاءت مختصرة ومركزة، تتصف بدقة العبارة ووضوح المعنى، مما يُغنيه عن أي تأويل أو شرح يفتح باب الخلاف وتعدد القراءات.

ويكتسي هذا القرار ثِقْلا سياسيا كبيرا، وأهميته نابعة من مكانة الدولة الموقعة عليه، باعتبار الولايات المتحدة الأمريكية قوة عظمى، وعضوا دائما في مجلس الأمن الدولي، وحليفا استراتيجيا للمملكة المغربية.¹⁴ كما تتجلى أهمية القرار في "الفرص التي يمنحها لإيجاد حل لهذا النزاع الذي طال أمده، وذلك من أجل تحقيق استقرار وأمن دائمين في منطقة استراتيجية لها انعكاسات تمتد من جنوب أوروبا إلى وسط إفريقيا"¹⁵، فالقرار يؤسس لمنعرج حاسم ولحظة قوية في مسار إيجاد حل سياسي وواقعي ودائم.

إن الإعلان الأمريكي أكد رفض أطروحة الانفصال جملة وتفصيلا، واعتبرها خيارا غير واقعي، وهو بذلك يسير في الاتجاه نفسه مع توصيات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، التي

14 - ناصر بوريطة: القرار الأمريكي ومغربية الصحراء... المفاجأة والحل، جريدة الشرق الأوسط عدد 15408 بتاريخ 20 جمادى الآخرة 1442هـ/3 فبراير 2021م.

15 - نفسه.

تدعو إلى "ضرورة التوصل إلى حل سياسي واقعي وعملي ودائم لمسألة الصحراء الغربية على أساس من التوافق"¹⁶.

ولتأكيد اعترافها بمغربية الصحراء، قررت الولايات المتحدة الأمريكية فتح قنصلية تمثيلية لها بمدينة الداخلة.

وبخصوص هذا الصدد، علق وزير الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج قائلاً: "كما أن القرار الأمريكي بالانضمام إلى ركب العشرين بلدا الذين دشّنوا قنصليات لهم بمدينتي الداخلة والعيون المغربيتين سيشجع بكل تأكيد بلدانا أخرى على الإقدام على هذه الخطوة في القريب العاجل"¹⁷.

وفي الشق الاقتصادي أكّد القرار الأمريكي على مواصلة الولايات المتحدة الأمريكية دعمها لجهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب بما في ذلك الأقاليم الجنوبية للمملكة، ويدخل هذا الدعم ضمن المبادرة الأمريكية "ازدهار إفريقيا" (Prosper Africa) التي تروم زيادة التجارة والاستثمار المتبادلين بين الولايات المتحدة الأمريكية وإفريقيا. وهو دعم لا يقتصر على الولايات المتحدة الأمريكية فحسب بل يشمل القوى الدولية الكبرى الأخرى، كما أشار إلى ذلك صاحب الجلالة الملك محمد السادس في بعض خطبه قائلاً: "وقد تعزز هذا التوجه باعتقاد القوى الدولية الكبرى لمواقف بناءة؛ ومنها إبرام شراكات استراتيجية واقتصادية تشمل دون تحفظ أو استثناء الأقاليم الجنوبية للمملكة كجزء لا يتجزأ من التراب المغربي"¹⁸.

وفور الإعلان عن القرار الأمريكي، أصدر الديوان الملكي بلاغا رسميا، تطرّق لحثيات صدور هذا القرار الذي يُعدُّ "ثمرة لمشاورات مكثفة حول الموضوع بين قائدي البلدين منذ سنوات عديدة"¹⁹، حيث استمر التشاور والتنسيق خاصة بعد الزيارة التي قام بها السيد جاريث كوشنر المستشار الخاص للرئيس دونالد ترامب إلى المغرب سنة 2018م والتي كانت حاسمة في مختلف

16 - قرار مجلس الأمن رقم 2548، بتاريخ 30 أكتوبر 2020م، الفقرة الثانية.

17 - ناصر بوريطة، القرار الأمريكي ومغربية الصحراء ... المفاجأة والحل.

18 - نص الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة الخضراء 7 نونبر 2020م.

19 - بلاغ الديوان الملكي بالرباط يوم 10 دجنبر 2020م، وكالة المغرب العربي للأنباء www.mapnews.ma

القضايا بما فيها هذا الموضوع، ومن خلال الاتصالات وتبادل الوفود وعدد من الزيارات غير المعلنة. كما يأتي هذا القرار حسب بلاغ الديوان الملكي أيضا "بعد التدخل الحاسم والناجح للقوات المسلحة الملكية بمنطقة الكركرات من أجل حفظ الأمن والاستقرار بهذا الجزء من التراب المغربي، ولضمان حرية تنقل الأشخاص والبضائع مع الدول الإفريقية الشقيقة"²⁰.

خلاصة:

لا شك أن جهود المغرب من أجل الدفاع عن وحدته الترابية التي ابتدأت منذ الحصول على الاستقلال سنة 1956م، وتعززت بعد استرجاع الأقاليم الجنوبية بفضل المسيرة الخضراء المظفرة يوم 6 نونبر 1975م التي أبدعها الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه، وما زالت تلك الجهود متواصلة بشكل دؤوب ومستمر بقيادة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، فبدأت تؤتي أكلها، من خلال تصاعد الدعم والتأييد لمغربية الصحراء وسيادة المغرب الكاملة عليها، وثقة المنتظم الدولي في جهود المغرب ومصداقيتها وجديتها في إيجاد حل سياسي واقعي ومتوافق عليه في إطار الوحدة الترابية والسيادة المغربية؛ فَعَدَّدُ الدول التي رفضت الاعتراف بأطروحة الانفصاليين وحليفهم في ازدياد مستمر، وهو ما عَبَّرَ عنه صاحب الجلالة في خطابه: "وبالموازاة مع ذلك ترفض الأغلبية الساحقة من المجتمع الدولي الانسحاق وراء نزوعات الأطراف الأخرى، فقد بلغ عدد الدول التي لا تعترف بالكيان الوهمي 163 دولة أي 85٪ من الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة"²¹. كما أن محاولات خصوم الوحدة الترابية التشويش على إنجازات المغرب الدبلوماسية والتنموية في الأقاليم الجنوبية بين الفينة والأخرى، يتم التصدي لها بشكل حازم عبر تدخلات ناجحة تحترم القانون الدولي ومبادئ الأمم المتحدة. فالمغرب يحقق النجاح تلو الآخر، مما يجعل الأطراف الأخرى تدخل في عزلة دولية بسبب مواقفها العدائية الواضحة، وتشبثها بخيارات أثبتت التجارب عدم واقعيتها أو قابليتها للتطبيق.

فمبادرة الحكم الذاتي في إطار السيادة المغربية، تظل هي الحل الوحيد المتصف بالجدية والواقعية والمصدقية حسب المنتظم الدولي، والكفيل بطي صفحة هذا النزاع المفتعل الذي طال أمده.

20 - نص بلاغ الديوان الملكي بالرباط بتاريخ 10 دجنبر 2020م.

21 - نص الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة الخضراء، 7 نونبر 2020م.

مفالات عامة

علم الأنساب في عهد الدولة العلوية الشريفة نسابو مدغرة أنموذجا

د. عبد العزيز بلبكري
المركز الجهوي لمهن التربية
والتكوين - القنيطرة.

نالت وما تزال مختلف العلوم اهتماما كبيرا من طرف سلاطين الدولة العلوية من لدن بدايتها حتى وقتنا الحالي، واشتهرت منها علوم شتى في بعض جهات البلاد لاعتبارات عديدة منها علم الأنساب الذي تجبل الخزانة العلمية المغربية العلوية بعدد مهم من مؤلفاته، ألفها نسابو الحواضر المغربية الكبرى خاصة فاس ومراكش، لكن بعض المراكز العلمية القروية بصمت بصمتها فيها، ومنها واحدة مدغرة تافيلالت، خلال التاريخ الحديث.

تعتبر كتب الأنساب صنفا من الكتابة التاريخية، فهي تستهدف التوثيق للتسلسل النسبي الطيني لبعض المكونات الاجتماعية لمجال جغرافي معين، لكنها تورد ضمينا معلومات تاريخية نادرة، غالبا ما لا تكون مقصودة بذاتها.

ولما كان الهدف هو التعريف بالتراث العلمي تحقيقا لغاية علمية ووطنية مستدامة متمثلة في توثيق ببلوغرافيا التراث العلمي بجهة درعة تافيلالت، فقد عملت على المشاركة بهذه التتفة الأولية من التراث العلمي المادي لمدغرة المتمثل في كتب الأنساب.

تنتمي هذه الكتب النماذج إلى القرون 12-13-14 هـ / 18-19-20 م كما ينتمي مؤلفوها إلى قصور مدغرية مختلفة، وهي قصور آيت مسعود وزاوية تاويريرت وسيدي أبي عبد الله على التوالي. أما أسماؤها وأصحابها فهي:

- 1- مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء لمحمد الزكي بن هاشم العلوي.
- 2- فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي لعلي بن المصطفى الحسني.

3- تقييد في سجلهامة¹ لأبي عبد الله مولاي هاشم بن الغالي العلوي.

ونختصر في هذا الجدول بعض معطياتها التعريفية قبل الخوض في تفاصيل مضامينها العامة:

معطيات عامة	مطالع الزهراء	فتح القدوس	تقييد في سجلهامة	ملاحظات
المؤلف	محمد الزكي بن هاشم	علي بن المصطفى الحسني	محمد الغالي بن هاشم العلوي	
المصدر	مخ م و ² D1768	مخ خ ح ³ رقم 12579	مخ خ ح رقم 11997	
تاريخ التأليف	1250 هـ/ 1834 م	1322 هـ/ 1905 م	1362 هـ/ 1943 م	تاريخ التأليف تقريبي
عدد الصفحات	340	110	48	
النسخ	متعددة	متعددة	وحيدة	في تقديرنا حتى الآن.

فما هي هذه المؤلفات النسبية المدغرية التي اخترناها للتمثيل للتراث العلمي بمدغرة، باعتبارها جزء من تافيلالت، ومن هم أصحابها؟

أولاً- مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء لمحمد الزكي بن هاشم العلوي

أ- المؤلف محمد الزكي بن هاشم:

يعتبر محمد الزكي بن هاشم بن الكبير بن الحسن العلوي المدغري واحدا من علماء ورجالات مدغرة؛ والغالب أنه ولد في قصر آيت مسعود حوالي عام 1181 هـ/ 1765 م، وبه تدرج على والده وفقهاء القصر والقصور المجاورة من مدغرة، ويبدو أن محمد الزكي كان أكثر إخوته سنا وعلمنا نتيجة الخطوة الكبرى عند والده وبفضل ما أبداه من اهتمام بالعلم والتحصيل.

1 - حافظنا على أسماء المؤلفين وكتبهم كما وردت في هذه المصنفات احتراما للأمانة العلمية، وإن كنا نتحفظ في بعضها وبالذات في (تقييد في سجلهامة) الذي لا ينسجم مضمونه كليا مع العنوان الذي وسمه به مؤلفه، وإن كنا نقترح له عنوانا آخر هو: تقييد في أنساب شرفاء مدغرة.

2 - مخ م و: مخطوط المكتبة الوطنية، بالرباط.

3 - مخ خ ح: مخطوط الخزانة الحسنية، بالرباط.

ولما تافت نفسه للاستزادة رحل إلى فاس لاستكمال تكوينه العلمي بالقرويين على الخصوص، وهناك درس على مجموعة من الشيوخ، منهم العلامة الفقيه أحمد بن قاسم القباب الفاسي الذي وصفه المترجم قائلاً: "شيخنا المفتي المدرس القاضي الخطيب السيد أحمد... بن قاسم القباب الفاسي"⁴، ونذكر منهم إلى جانبه العلامة أبا العلاء إدريس بن زيان العراقي المتوفى عام 1228هـ، وفيه قال: "وقد قرأنا عليه وحضرنا مجلسه والحمد لله"⁵، والمعروف أن العلامة المذكور كان من أهل المعرفة والشفوف العلمي الكبيرين وهو الذي وصفه العلامة النسابة الوليد العراقي (1285هـ/1748م) منوهاً به، حيث قال: "وأخذ عنه - إدريس العراقي - عامة شيوخ هذا العصر من شيوخ فاس وغيرها، فلا تجد عالماً بفاس ومراكش وسوس ورباط الفتح إلا وينتسب إليه بأي وجه أمكنه، ويفتخر بذلك"⁶، والأكد أن مؤلف (مطالع الزهراء) قد أئقن عليه ما كان العراقي يدرسه من أمهات وفروع كتب الحديث والفقه والعروض وكثير من العلوم الأخرى.

درس محمد الزكي العلوي بفاس -دائماً- على الشيخ العلامة محمد بن الطاهر العلوي القصبائي⁷. وتلقى على العلامة النسابة المؤرخ سليمان الحوات (ت 1231هـ/1816م)⁸. وممن تدرج عليهم مترجماً بفاس أيضاً، الشيخ العلامة حمدون بن الحاج السلمي (ت 1232هـ/1717م) الذي أجاز تلميذه العلوي⁹ المترجم.

لم يكن كتاب (مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء) الكتاب الوحيد الذي خلف محمد الزكي بل له غيره في مجال البيطرة والأدب والفقه. كما كان المؤلف تابعاً للطريقة التجانية بفاس ولعله هو الذي ركزها في مدغرة وخاصة بقصر أزموور حيث انتقل من قصره الأصلي قصر آيت مسعود بني زامت كما تذكر الرواية الشفوية، وقد توفي المترجم عام 1270هـ/1854م ودفن بمقبرة قصر أزموور الواقع أعلى مدغرة تاريخياً وضمن جماعة الخنك حالياً.

4 - مطالع الزهراء، محمد الزكي العلوي، م. س، ص: 41.

5 - نفسه.

6 - الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس، الوليد العراقي، ص: 50.

7 - مطالع الزهراء، م. س، ص: 30.

8 - الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، سليمان الحوات، دراسة وتحقيق عبد العزيز تيلاني، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب، ط 1/ 1994م، 350/2.

9 - الديوان العام، حمدون بن الحاج السلمي المرداسي، تقديم وتحقيق أحمد العراقي، مطبعة المعارف الجديدة الرباط المغرب، ط 1/ 1995م، 10/1.

ب- المضامين العامة للكتاب

يعتبر كتاب (مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء) أضخم مؤلفات الأنساب التي اهتمت بأشراف تافيلالت حيث خصص لهم حيزا مهما مما جعله غزير المعلومات عن علمائها وقضاتها وصلحائها، وعن تنقلاتهم في اتجاهات مختلفة وفي ظروف مختلفة، وضمن هذا الموضوع الرئيس كان المؤلف يستطرد قليلا في بعض الجوانب، مما جعل الكتاب موسوعة في الأنساب والتاريخ والفقه والأدب.

وبالرجوع إلى مصادر الكتاب نجد لها كثرة ومتنوعة، فقد جمعت بين كتب الأنساب والحديث والتفسير والفقه والتصوف... ذات تأليف مغربي وأخرى مشرقي، منها قريب تاريخ التأليف ومنها القديمة التي تدخل ضمن أمهات علمها.

يتناول كتاب (مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء) أنساب آل البيت بالمشرق والمغرب؛ فقد خصص حيزا مهما لذرية الحسن والحسين بالمشرق العربي خاصة، وتتبع الانتشار المجالي لهذه السلالة الشريفة.

وفي بلاد المغرب، تعرض الكتاب لانتقال العلويين السجلمايين إلى سجلماسة في عهد الحسن بن القاسم الشهير عند المغاربة بالحسن الداخل أو الحسن القادم، والسياق العام الذي رافق هذا الانتقال في ظل الحكم المريني.

وقد تتبع المؤلف في المغرب الأقصى أيضا، خريطة الانتشار الإدريسي العلوي جنوبا وشمالا، جوفاً وهامشاً، واندماج هذا العنصر الجديد في الأوساط المحلية السجلماسية والفيلاالية اندماجا أثمر وضعية اجتماعية وعلمية جديدة ستفرز تحولات مهمة على مستوى الخريطة البشرية والحركة الفكرية والأدبية في مختلف مقاطعات أحواض زيز واغريس وكير. وختم المدغري كتابه بالتعرض لفترة انتقال الحكم من السعديين إلى الدولة العلوية الصاعدة بتافيلالت.

والملاحظ أن المؤلف قد ركز على المشاهير من هذه البيوتات النسبية فتحدث عن علمائها وشيوخها ومتصوفها وقضاتها، ولم يخل كتابه من إشارات تاريخية مهمة بين الفينة والأخرى.

ثانيا: فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي

أ- مؤلف الكتاب

تحدث العلامة المهدي¹⁰ الناصري المتوفى عام 1929م الذي درس على أحد علماء قصر تاوريرت مدغرة ووصف هذا الوادي في (فهرسته)¹¹ عن ملامح الحركة الفكرية بمدغرة. وقد نشأ علي بن المصطفى في هذا الجو المشبع بالعلم وشيوخه، وهو سليل أسرة عالمة وبيت صلاح وعلم هو البيت العبدلاوي بمدغرة فهو: علي بن المصطفى بن محمد التهامي بن هاشم بن العربي بن علي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي.

لا نعرف حتى الآن بالضبط تاريخ ازدياده لكن نقدرها بين عامي 1865م و1875م لأنه كان أواخر القرن قد تولى إمامة بعض مساجد تافيلالت منها قصر معط الله بالرتب عام 1901م¹² مما يعني أنه وصل آنذاك مرحلة مهمة من التكوين العلمي فضلا عن الحفاظ أهله لتولي هذه الخطة الشرعية.

درس بمدغرة على مجموعة من الشيوخ منهم قريبه محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن العابد، وعلى الشيخ الدرقاوي محمد العربي المدغري، ثم انتقل إلى فاس لاستكمال دراسته فتلقى على علمائها بالقرويين آنذاك منهم محمد كنون وأحمد بن عبد الرحمان العلوي المدغري، كما كان على علاقة متينة بقريبه، وصهر السلطان الحسن الأول الذي زوجه كريمته فاطمة الزهراء بمراكش، وهو القاضي المصطفى بن عبد القادر الحسني، والذي حثه على تأليف هذا الكتاب، وعنه قال الحسني المترجم (أكرمنا مرارا متعددة في داره في درب اللمط بمدينة فاس زمان إقامتنا فيها للقراءة)¹³، وقد بقي المترجم إماما بالمسجد الأعظم بقصر سيدي أبي عبد الله مدة 14 سنة.

أما وفاته فلم نتوصل إليها بشكل قطعي حيث كانت سنة 1919م آخر إشارة عن حياته توصلنا إليها من خلال بعض النوازل الفقهية التي ورد ذكره فيها، وبذلك فقد كان حيا في هذا التاريخ.

10 - يرجع إلى: نعت الغطريس، الفسيس هيان بن بيان، الممتعي إلى السوس، المهدي الناصري، تقديم وتحقيق خالد ناصر الدين، دار الأمان الرباط المغرب، ط 2016/1م، ص: 14-18؛ المهدي الناصري، نيل الأمل فيما مضى للشرفاء من دول، تقديم وتحقيق حفيد المؤلف الدكتور خالد ناصر الدين الناصري، مطبعة أنفو برانت فاس المغرب، ط 2019/1م، ص: 49-54.

11 - فهرسة المهدي الناصري، ستصدر قريبا بتحقيق الدكتور خالد ناصر الدين، حفيد المؤلف.

12 - اعتمادا على نازلة فقهية بخزانتنا.

13 - فتح القدوس، م. س، ص: 60.

ب- كتاب (فتح القدوس القاهر)

ألف الحسن بن المدغري بعض المؤلفات منها شرح على رجز ابن عاشر ومجموعة نوازل فقهية، لكن كتاب (فتح القدوس) كان أهمها في تصورنا وهو ما عبر عنه العلامة محمد عبد الحي الكتاني الفاسي في المظاهر السامية¹⁴.

اهتم هذا الكتاب بالأنساب وخصصه للبيت العبدلوي، نسبة لأبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر، وقد وضع الخطة التي سيتبعها في تأليفه في بداية مقدمته مع المضمون العام لتأليفه، وفي ذلك قال: (وبعد، فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الغني به عن ما سواه، علي بن المصطفى بن محمد التهامي الحسني ثم المدغري، هذه تقييده¹⁵ ذكرت فيها نسب الولي الشهير، العالم العلامة النحرير الزاهد الورع المتقن البار، شريف العلماء وعالم الشرفاء، الحافظ أبي محمد سيدنا ومولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي دفين مدغرة، وذكرت فيها أحواله السنية وبعض شيوخه وتلامذته والعلوم التي كان يدرسها وتأليفه، وما وقع على يديه من الكرامات، وتاريخ ولادته ووفاته، وما قالت الناس في حقه رضي الله عنه وعنا به آمين. ثم بعد ذلك، نذكر أولاده وما خصهم الله به، وأحفاده وأولاد الأحفاد، ثم نختم الفائدة بالدعوة الناجحة المنسوبة لولده العالم العلامة سيدنا ومولانا عبد الهادي بن عبد الله، تبركا به وبكلامه).

لقد خصص علي بن المصطفى حيزا مهما من كتابه للتعريف بالجد الأعلى للأسرة ناهز نصف حجم الكتاب، فأشار إلى ولادته وصفاته الخلقية ودراسته وتدريسه وعلاقته بالمنصور السعدي بمراكش ثم الواجهة مع ابن أبي محلي السجلماسي المتطلع إلى الحكم، مما جعله ينتقل في ظروف معينة نحو مدغرة التي سيستقر بها حوالي 1613م تقريبا بقصر أولاد الحاج إلى غاية وفاته عام 1042هـ/ 1633م.

ونورد بعض الفقرات التي تعكس مضمون وطريقة الكتابة عند الحسني، وكذا نظرة عن مستواه العلمي، ومنها: (وأما مولاي محمد فتحا بن طاهر فقد استوطن نسله في بني موسى¹⁶

14 - المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية، عبد الحي الكتاني، مخطوط رقم 24، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء المغرب، ص: 227.

15 - تسجيل وزمام.

16 - قصر بني موسى في أسفل مدغرة بين كاوز شمالا وتازناقت جنوبا.

وأجرور جاز¹⁷ بمدغرة، وكان فيهم علماء وصلحاء كسيدي مولاي أحمد السلطان¹⁸، وسيدي مولاي هاشم بن عبد الله، قد ظهرت على يديهما كرامات، وكالعالم سيدي مولاي عبد الرحمن بن هاشم¹⁹ دفن في أجرور جاز، كان من أصحاب سيدنا ومولانا العربي²⁰ الدرقاوي المدفون في بني زروال رضي الله عنه²¹.

ومنها أيضا ما ذكره في التنبيه الخامس في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل، ويدل على ذلك عشرة وجوه:

الأول فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني نظمه العجيب وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.

الثالث عجز الخلق في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الإتيان بمثله.

الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ولا قرأه في كتب.

الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلية فوقعت على حسب ما قال. السادس ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله وذكر صفاته وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة والرد، على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه بل بوحى من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى الصراط المستقيم²².

17 - كروزكاز: من قصور منطقة مدغرة وادي زيز، يقع ضمن مزرعة البلد قريبا من قصر كاوز وغير بعيد عن ضريح محمد العربي الدرقاوي المدغري، وهو من القصور المدرسة.

18 - لقب أعطي لهذا الرجل، وبه اشتهر.

19 - ولعله مؤلف كتاب (نصرة الفقير الآوي إلى شريف كهف الشيخ البدوي) الذي توفي ودفن بالمدينة المنورة.

20 - مولاي العربي بن أحمد الزروالي، مؤسس الزاوية الدرقاوية بالمغرب، المتوفى عام 1239هـ/1824م.

21 - فتح القدوس، م. س، ص: 8.

22 - فتح القدوس القاهر، م. س، ص: 14.

ومنها نص ثالث: وهو (فصل في ذكر مولاي ابن علي بن هاشم بن العربي وأولاده).²³

ثالثا - تقييد في سجلهامة

أ- المؤلف محمد الهاشمي بن الغالي العلوي

يمثل محمد الهاشمي واحدا من علماء مدغرة خلال القرن 19م فقد ولد في قصر سيدي أبي عبد الله عام 1880م، وبها تلقى مبادئ العلم الأولية على عادة طلبة محيطه، وقد كان علي بن المصطفى، سابق الذكر، أحد أئمة مسجد هذا القصر المذكور، وعليه درس المترجم 14 سنة. ترجم محمد الهاشمي المدغري لنفسه في تقييده²⁴.

كان المترجم فقيها وعالما وأديبا؛ فقد تولى قضاء مدغرة مدة من الزمان، وكان يلقي الدروس والخطب في مسجد بلده سيدي أبي عبد الله ثم في مسجد قصر السوق، الرشيدية حاليا، وهو مسجد مولاي رشيد بقلب المدينة. وقد خلف، فضلا عن هذا الكتاب وبعض الفتاوى والأحكام الشرعية القضائية، بعض الشعر منه قصيدة في مدح شيخه عبد الحي الكتاني حينما انتهى من شرح صحيح البخاري بالقرويين، وقد كان الكتاني واحد ممن أجازوا المترجم، والكتاني بإيراده هذه القصيدة يكون قد حفظها من الضياع، لذلك نوردتها توثيقا لها وتطلعا لرواجها بين المهتمين والباحثين، بغية التعريف أكثر بصاحبها.

ب- مخطوط "تقييد في سجلهامة"²⁵

تقع هذه المخطوطة في 48 صفحة من الحجم الصغير، قياسها 17/11سم، مسطرتها بين 15 و31، كتبت بخط عادي بني اللون، بها بعض الهوامش القليلة، وتشطبيات (16-31-38-39-41-44)، وبها تعقبة مائلة، وهي نسخة مصححة حيث نجد كلمة: صح في بعض الهوامش (ص:2-44).

23 - فتح القدوس، م. س، ص: 70.

24 - تقييد في سجلهامة، محمد الهاشمي بن الغالي العلوي، مخطوط رقم 11997، الخزانة الحسنية بالرباط، ص: 40-41.

25 - ترجع قصة الكتاب إلى سنوات قبل وفاة العلامة النسابة عبد الرحمان بن زيدان العلوي (ت1946م) الذي طلب من القاضي مولاي المهدي بن هاشم (العلوي القاسمي) بالمراسلة، وقد ترجم له المؤلف هنا في الصفحة 21، تأليف كتاب في أنساب أهل مدغرة، فأجابه بأن هناك بمدغرة من هو أكثر ضبطا منه لهذا النوع من الكتابة، وأرشده إلى محمد الهاشمي بن الغالي الذي استجاب وانكب على التأليف وسماه (تقييد في سجلهامة)، ورسالة المؤرخ والنسابة ابن زيدان العلوي في مكتبة الأستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي: رواية شفوية من الدكتور المؤرخ مولاي هاشم العلوي القاسمي، ابن القاضي المذكور، بمنزله العامر بفاس يوم 2014/03/12م.

24-27-28-35-38)، بها بياضات قليلة (ص: 5-13-35)، أورد المؤلف أيضا مجموعة من الرسائل كما كانت طريقة نقله بالمعنى أو حرفيا أحيانا حيث ينهي نقله برمز: ا.ه: انتهى. مزج المؤلف بين المتن الثري الأساسي هدفا والنظم حيث أورد مجموعة من الأبيات والتنف في أمكنة مختلفة من الكتاب وفي سياقات متباينة ومنها قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للفقيه محمد بن الطيب المدغري²⁶، صدرت النسخة بتقديم كلمة تعريفية للمؤلف من طرف الشيخ سيدي أحمد بن المهدي العلوي²⁷، الموظف سابقا بالخزانة الحسنية بالرباط.

مصادر الكتاب متنوعة جمعت بين السماع والرواية الشفوية (اجتمعنا به: 2، أخبرني من اجتمع به: 2، حكى لنا الحاج محمد بن مليح الفاسي: 15، أخبرني سيدي محمد بن عبد الله بلدينا: 31، وقد سمعنا من عمدتنا وشيخنا الشريف سيدي مولاي أحمد بن المامون البلغيثي: 33، نعرفه رحمه الله بهذه الأوصاف بالمخالطة: 35، حكاية سمعناها: 37، حكى لنا فلان 38، أخبرني ولده: 40)، والمعانية، ثم المصادر المكتوبة وإن كانت غير كثيرة، مقارنة بكثير من كتب الأنساب، لكن بعضها متكرر وبالذات كتاب إدريس الفضيلي (الدرر البهية والجواهر النبوية) الذي يختصره فيقول (قال في الدرر) وهو عمدته في باقي ذرية بني طاهر بن الحسن بن يوسف بن علي الشريف بمدغرة من غير البيت العبدلاوي، ومنها أيضا كتاب (فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر) الذي يختصره باسم (فتح القدوس) وهو عمدته في ذرية أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر، و(دليل الحج والسياسة) لأحمد الهواري، و(فهرس الفهارس) لعبد الحي الكتاني، و(مطالع الزهراء) لمحمد الزكي بن هاشم، و(نشر المثاني) لمحمد بن الطيب القادري، و(الرحلة العياشية) لأبي سالم العياشي، و(صحيح البخاري) للإمام البخاري، وما كتبه الشيخ محمد رشيد المصري على كتاب (مدارج السالكين)، و(الفرقان) لابن تيمية، و(الأجوبة الناصرية) لمحمد الناصري، و(الحكم العطائية) لابن عطاء الله الإسكندري، و(شرح القاموس) للمرتضى الزبيدي المصري، وكتاب الزمخشري، و(الروض الينع)²⁸.

26 - يقول في مطلعها: صلوا على الهاشمي المجد***خير الوري مولاي محمد، وهي في 30 بيتا بما فيها اللازمة، يحفظها الرجال والنساء المسنون خاصة ممن هم من أقرباء محمد بن الطيب من قصر تاوريرت مدغرة.

27 - ينتمي إلى القصر البراني من مدغرة، تولى الإمامة في مجموعة من القصور بتافيلالت، أودى في فترة الوطنية بالتعذيب والسجن، وكان له دور في تأسيس مدرسة حرة بمدينة أزرو. ترددت على بيته بالرباط عدة مرات، وقد طعن في السن، وبقي على عهده في حب المعرفة والعلم، توفي سنة 2009م عن غير عقب.

28 - لم يذكر المؤلف صاحب الكتاب، ومعلوم أن هناك مجموعة من الكتب تحمل نفس التسمية في علوم مختلفة الحديث والفقه...

افتتح المؤلف كتابه بالحمدلة والتسبيح ثم ديباجة عن أهمية علم الأنساب قديما وحديثا، وتعرض لأنساب بعض أهل مدغرة وسياق انتقال كثير من بيوتاتها من محيط ضريح مولاي علي الشريف السجلماسي إلى مقاطعة مدغرة؛ فتحدث في البداية عن ذرية أبي محمد عبد الله بن علي ابن طاهر، وانتقل إلى الفرع الثاني من فروع سيدي الحسن بن يوسف وهو السيد عمرو بواو الفرق رحمه الله ثم ذكر من وقف عليهم من أبناء سيدي مولاي عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مولانا علي الشريف رحم الله الجميع (ص: 36 حتى 48).

لم يكن المؤلف نقالة جماعة بل صنف كتابه وفق ما ارتضاه هو، وحسب حجم المادة التي جمع، لكن الملاحظ أنه ركز على المشاهير فقط، وخاصة من العلماء وأهل الصلاح، وقد كان المؤلف على وعي كبير بصعوبة المهمة لذلك استدرك ووضح وعبر قائلا (وعليه فنذكر من شرفاء مدغرة حسبما تيسر ذكره وبالله الاستعانة وعليه الاعتماد)²⁹، كما كان تعامله مع مصادره تعاملنا نقديا وخاصة مع كتاب (الدرر البهية) إذ انتقد مؤلفه إدريس الفضيلي كثيرا لعدم ذكره بعض الأعلام التي كانت أهلا للتقديم من غيرها أحيانا.³⁰

ويبدو في تقديرنا أن مؤلف هذا الكتاب لم يكن فقيها ونسابة فقط، بل كان ذا حظ في مجال الأدب فيها هو يقدم ملاحظة نقدية في هذا الحقل عند إيراد لقصيدة مدح النبي عليه السلام التي أنشأها الشيخ محمد بن الطيب.³¹

ويبدو أن مؤلف (تقييد في سجلماسة) قد وقع أحيانا في سبق قلم، ومن ذلك تأريخه تاريخ حجة العلامة مولاي قاسم بن هاشم التاوريرتي المدغري، تلميذ الهلالي المتوفى سنة 1175هـ، كعام أربعة وثمانين ومائتين وألف (1284هـ)، وهو غير ذلك في كتاب (فتح القدوس)³² حيث صوابه هو عام 1184هـ.

ومن الإشارات التاريخية المهمة التي يوردها المؤلف، نذكر، على سبيل المثال، فيضان وادي زيز عام 1345هـ/1926م الذي دمر بعض أجزاء قصور عديدة بمدغرة منها قصر كاوز، فقام محمد التقي

29 - تقييد في سجلماسة، م. س، ص: 3.

30 - تقييد في سجلماسة، م. س، ص: 39.

31 - تقييد في سجلماسة، م. س، ص: 15.

32 - فتح القدوس القاهر، م. س، ص: 69.

بن محمد العربي الدرقاوي المدغري على نقل رفاة والده من داخل القصر إلى مكانه الحالي على بعد حوالي 300 متر شرقا. ومنها أيضا إirاده لرسالة شكوى من بنت مدغرية أرغمت على الزواج من ابن عمها، لأن عمها كان وصيا عليها، تشتكي فيها لقاضي مدغرة، وهو الوصي شرعا على المحاجر والأيتام.³³

خلاصة

حاولنا في هذا المقال التعريف ببعض كتب الأنساب بمدغرة، وهي كتب صارت تحظى باهتمام متزايد من طرف المؤرخين والباحثين في حقل التاريخ وعلم الاجتماع وغيرهما لما توفر من مادة تاريخية مهمة.

وتبرز أهمية هذه النماذج المختارة من كتب الأنساب بتأفيلالت عامة ومدغرة خاصة في إفادتنا بمجموعة من المعلومات التاريخية عن المجتمع المغربي الفيلالي المدغري منذ القرن 11هـ/17م بتغير الخريطة البشرية المحلية، وكذا في بعض المعطيات الطبيعية من قبيل فيضان واد زيز الذي كان يؤثر كثيرا على المعمار المحلي ويتلف الممتلكات الثابتة والمنقولة.

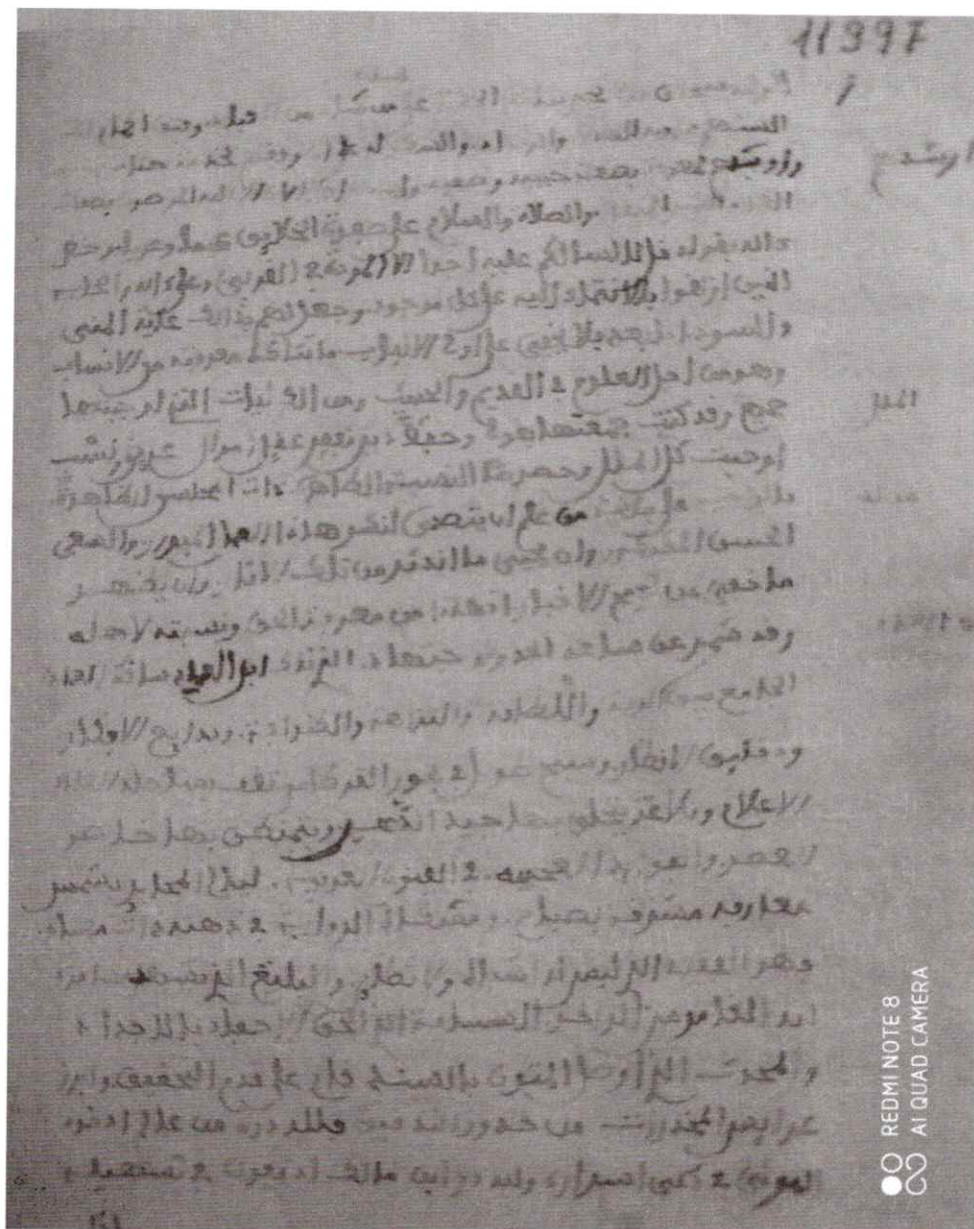
غير أن الحركة الفكرية كانت من الجوانب التي لمسناها كثيرا في هذه المصنفات، وهي التي أعطت لهذه المقاطعة المدغرية خصوصية ميزتها عن كثير من مثيلاتها.

33 - تقييد في سجل ماسة، م. س، ص: 38.

الصفحة الأولى من مخطوط: (فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر
الحسني السجلماسي).



الصفحة الأولى من مخطوط: (تقييد في سجلهاسة) لمحمد الهاشمي بن الغالي العلوي.



من مآثر مولانا أمير المؤمنين وسادس المحمدين في خدمة القراءان الكريم وقراءاته

محمد بن عبد الله البخاري

معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية.

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد:

شهد العهد المحمدي الزاهر نهضة قرآنية أثمرتها العديد من الإجراءات والقرارات التي
اتخذها مولانا أمير المؤمنين، ومن ذلك:

- فتح آفاق الدراسة الجامعية أمام حملة القرآن الكريم من خلال تنظيم التعليم العتيق
وترسيمه، وقد يسر ذلك سبل متابعة الدراسة الجامعية لحملة القرآن، وأضحى الكثير منهم بفضل
ذلك أساتذة في مختلف أسلاك التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، وفي كل التخصصات الشرعية
والقانونية والأدبية، ومنهم من عُيّن في سلك القضاء وفي كثير من إدارات الدولة، بعد أن كانت
أبواب الدراسة الجامعية وتحصيل الشهادات ونيل المناصب بعيدة عنهم.

- تنظيم الكتاتيب القرآنية، وتأهيل القائمين عليها بإقامة دورات تكوينية تستهدف تقوية
مؤهلاتهم التعليمية وتعميق معارفهم العلمية في رسم القراءان وضبطه، وإحداث جائزة محمد
السادس للكتاتيب القرآنية، وهي جائزة سنوية تتوزع على ثلاثة أصناف:

- جائزة محمد السادس على منهجية التلقين.

- جائزة محمد السادس على التسيير.

- جائزة محمد السادس على المردودية.

إحداث الجوائز القرآنية المحفزة على حفظ القرآن وترتيبه وتفسيره، وهي:

جائزة محمد السادس في حفظ القرآن وترتيبه وتجويده وتفسيره، وتشتمل على الصنفين:
الجائزة الوطنية والجائزة الدولية.

• فأما الجائزة الوطنية فتتفرع عنها ثلاثة فروع:

• جائزة محمد السادس الوطنية في حفظ القرآن الكريم وترتيبه.

• جائزة محمد السادس الوطنية في تجويد القرآن الكريم بالطريقة المغربية.

• جائزة محمد السادس الوطنية في تجويد القرآن الكريم بالطريقة الشرقية.

• وأما الجائزة الدولية فتتفرع إلى فرعين:

• جائزة محمد السادس في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتفسيره.

• جائزة محمد السادس في تجويد القرآن الكريم⁽¹⁾.

ومن تابع مجريات التسابق في الجائزة الدولية يقف على المستوى العلمي المتميز الذي تتفرد به
هذه الجائزة خصوصاً في تفسير القرآن الكريم وإعرابه.

جائزة محمد السادس لأهل القرآن، وهي جائزة تمنح سنوياً لكل شخص مشهود له بخدمة
كتاب الله العزيز سواء في تميزه في نشره أو أدائه أو تبرزاً في علم من علومه، كما نص على ذلك الظهير
الشريف المحدث لها.

ومن المسابقات القرآنية الدولية أيضاً:

مسابقة مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده،
وهي مسابقة خاصة بحفظة القرآن الذين ترشحهم فروع المؤسسة بالدول الإفريقية.

- إحداث إذاعة وقناة محمد السادس للقرآن الكريم، وقد تخصصت في إسماع القرآن الكريم
وتعليمه ونشر علومه، وتحفلان ببرامج عدة تختص بتعليم القرآن الكريم، وتستهدف حاجة طالبها

1- ولو أضيف إلى الجائزتين فروع أخرى، لكان ذلك أنفع وأحسن: فرع حفظ القراءات السبع أو العشر، وفرع رسم القرآن وضبطه،
ولا شك أن هذا الفرع الأخير لا يهتم به إلا أهل المغرب الذين يجعلون تصفية اللوح من تمام الحفظ وضبطه.

تعلم القرآن الكريم في جميع مستوياتهم، فمن البرامج ما اختص بتصحيح التلاوة وتعليم أحكام الأداء، ومنها ما اتجه إلى تقديم النماذج المتفوقة من مهرة الحفاظ والقراء، مع عرض سيرهم وحكاية تجربتهم في سبيل تعلم القرآن، وللإذاعة والقناة الريادة في المتابعة والاستماع، وتحظى برامجها بمتابعة من خارج المغرب، ومن أهم البرامج التي لقيت القبول في المغرب والخارج: برنامج الكراسي العلمية، وهي كراس متخصصة في تدريس العلوم الشرعية، تروم إحياء مجالس العلم على النمط التاريخي القديم، وقد كان من نصيب القرآن وعلومه فيها أربعة كراسي، وهي:

- الأول: كرسي الإمام ورش للقراءات، وتولى أستاذه الأستاذة نعيمة غنام.

- الثاني: كرسي الإمام نافع للقراءات، وتولى مشيخته الشيخ الحافظ المقرئ محمد بن الشريف السحابي.

- الثالث: كرسي الإمام الشاطبي للقراءات السبع، وتولى مشيخته الشيخ الدكتور المقرئ: عبد الرحيم نبولسي.

- الرابع: كرسي الإمام ابن عطية في التفسير، وتولى مشيخته الأستاذ العلامة مولاي المصطفى البحياوي.

وقد كان لإذاعة وقناة محمد السادس للقرآن الكريم دور بارز في إبراز التفوق المغربي في تجويد القرآن وترتيله من خلال التلاوات المختارة التي تبث بأصوات المقرئين المغاربة، أو المصاحف المرتلة التي تسجل ضمن المسيرة القرآنية، وهي مسيرة وثقت تلاوات أشهر القراء المغاربة، وتميزت على الخصوص في هذه السنة الأخيرة (رمضان 1442هـ) بالمصحف التعليمي المرتل لفضيحة شيخ الإقراء وكبير القراء فضيلة الأستاذ الدكتور: عبد الرحيم نبولسي، وهو مصحف أبهر وأمتع لما تميز به من إتقان وضبط في الأداء.

- إحداث مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، وهي مؤسسة جاءت لتنظيم طبع المصاحف ونشرها، وأسند لها الاختصاص الحصري في هذا الباب، وقد أسند لها الظهير الشريف المحدث لها المهام الآتية:

- القيام بأمر أمير المؤمنين بإعادة نسخ المصحف الشريف برواية ورش عن نافع وفق القواعد المعتمدة في علوم الرسم والوقف والضبط والقراءات؛

- الإشراف على طبع المصحف الشريف، والعمل على نشره وتوزيعه؛
 - الإشراف على تسجيل تلاوة المصحف الشريف ولا سيما برواية ورش عن نافع عن طريق استعمال مختلف أنواع الدعائم المتعددة الوسائط؛
 - الترخيص للأشخاص الذاتيين والاعتباريين الراغبين في طبع المصحف الشريف أو في توزيعه؛
 - القيام بأعمال المراقبة والتدقيق للنسخ المطبوعة أو المسجلة من المصحف الشريف؛
 - إقامة علاقات تعاون مع المؤسسات والهيئات العامة والخاصة على الصعيدين الوطني والدولي قصد مساعدة المؤسسة على تحقيق أهدافها.
- وقد كان باكورة أعمالها المصحف المحمدي الذي صحح وحرر على وفق الاختيارات المغربية في الرسم والضبط والوقف والعد، ووزعت الملايين من نسخه في حواضر المغرب وبواديها، وفي البلدان الإفريقية وغيرها، كتب الله لأمر المؤمنين ثواب كل حرف قرئ فيه إلى يوم الدين.
- ثم طبعت المؤسسة بعد ذلك المصحف الأثري بالألوان الذي جاء على وفق الاصطلاحات القديمة المعتمدة في الكتابة المصحفية، والمميزة لمرسوم الإمام بالسواد، وللضبط الملحق بالحمرة، والهمزات بالصفرة واللازورد، وهو تحفة فنية كان للمؤسسة شرف سبق لها، والفضل في ذلك للأستاذ الدكتور العلامة عبد الهادي حميتو، فهو صاحب الفكرة والمدافع عنها، وهو قطب رحي اللجنة العلمية المختصة بمراجعة المصحف، وما هي بأول منجزاته، فهو القائم على إعداد مصحف الألواح الذي أصدرته وزارة الأوقاف قبل سنوات ووثقت به مراحل التلقي والحفظ للقرآن في الكتاتيب على النمط العتيق.
- ومن مشاريع المؤسسة المتميزة التي يجري العمل عليها: تسجيل ختمة قرائية بالقراءات السبع على وفق اختيارات المغاربة في الأداء والجمع، بأصوات ثلة من طلبة معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، وهو توثيق صوتي لم يسبق إليه، والمشاريع التي يمكن أن تعمل عليها المؤسسة في هذا الباب كثيرة طويلة، ومن ذلك: إصدار المصاحف المكتوبة والمسموعة بمختلف القراءات والروايات، والعناية بترجمات القرآن بشتى اللغات، وتحقيق التراث المغربي المتعلق بعلم

المصاحف، وأكثره في حيز المخطوط، والمحقق منه ليس له من التحقيق نصيب، وإنجاز الدراسات العلمية المتعلقة بتطور الكتابة المصحفية المغربية، ودراسة عتق المصاحف المغربية وما تضمنته من قراءات واختيارات أدائية ورسمية ووقفية وعدية، إذ المصاحف المخطوطة مصادر لما كان عليه العمل في القراءة والرسم، وهو باب لم ينل حظه من البحث والدراسة، ولو أحدثت المؤسسة مركزاً بحثياً تابعاً لها ينتخب له مهرة الباحثين المتخصصين وفي مقدمتهم خريجو معهد محمد السادس للقراءات لكان أوفق وأهدى سبيلاً.

والناظر في هذه الإجراءات يجدها تتكامل لتحقيق المقصد الأعظم وهو تعليم كتاب الله ونشره لعامة الناس في الداخل والخارج، ويتكامل فيها الدرس التعليمي في الكتاتيب والمدارس العتيقة وفي رحاب المجالس العلمية مع الدرس القرآني الذي يبيث على إذاعة وقناة محمد السادس، بالإضافة إلى الجوائز المحفزة التي يكرم فيها المتفوقون من حملة القرآن.

- إحداث معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية:

بعد ظهور ثمرات هذه الإجراءات والقرارات واتساع مجالات العمل في خدمة كتاب الله برزت الحاجة إلى تكوين علماء متخصصين في قراءات القرآن وعلومه يرعون هذا المجال ويحفظون الاستمرارية والتجديد في خدمة كتاب الله ترتيلاً وتأويلاً وتنزيلاً، ولا يخفى على دارس تاريخ علم القراءات القرآنية أن للمغاربة الفضل الأكبر في العناية بعلم القراءات والحظ الأوفر في حفظه والمحافظة عليه، وقد أتت على هذا العلم عصور تراخت فيها بعض جوانبه، فضعف تحقيق الأداء وقلت العناية بتوثيق الأسانيد وضبط المشيخات، مع استمرار العناية بجوانب أخرى كإتقان حفظ الوجوه، وضبط المرسوم، وإحكام صنعة الجمع والإرداف.

وقد ارتأى النظر السديد لمولانا أمير المؤمنين - حامي همى الملة والدين - حماية هذا العلم وحفظه فأصدر - أعز الله أمره - ظهيراً ملكياً سامياً بتاريخ 21 من جمادى الآخرة 1434هـ (2 ماي 2013م) رقم 1.13.50 لإنشاء معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، وقد أناط به باعتباره مؤسسة وطنية للتعليم العالي والبحث العلمي القيام بالمهام التالية:

- التكوين الأساسي والمتخصص في مجال القراءات؛

- تأهيل المختصين في مجال علوم القرآن تأهيلاً يمكنهم من اكتساب المناهج والمعارف اللازمة لإنجاز الأبحاث والدراسات والمشاركة في الحركة العلمية؛
- العمل على نشر الأبحاث والدراسات التي تدرج ضمن اهتماماته؛
- تنظيم دورات للتكوين المستمر في مجال اختصاصه؛
- إقامة شراكات وربط علاقات تعاون مع المؤسسات والهيئات العلمية الوطنية والأجنبية ذات الاهتمام المشترك؛
- تقديم استشارات وإنجاز خبرات في مجال اختصاصه بناء على طلب.
- ثم تفضل أمير المؤمنين بعد ذلك بإدراج المعهد ضمن المؤسسات الجامعية التابعة لجامعة القرويين بعد إعادة تنظيمها.
- ويتنظم التكوين بالمعهد في سلكين: سلك الإجازة، وسلك الماستر، ويتم التكوين بالمعهد في أربع سنوات للحصول على الإجازة، تتبعها سنتان للحصول على الماستر.
- ويشترط في الطالب المترشح للالتحاق بالمعهد أن يكون حافظاً لكتاب الله حفظاً كاملاً، حاصلًا على شهادة البكالوريا، وألا يزيد عمره على ثلاثين سنة عند اجتياز المباراة.
- ومن أجل اجتياز المباراة الكتابية (التي تتكون من ثلاثة مواد: علوم القرآن والحديث، واللغة العربية، والثقافة العامة) لابد من إثبات الحفظ الكامل للقرآن الكريم، وذلك في اختبار شفوي قبل المباراة.
- ويقبل للمشاركة في مباراة ولوج سلك الماستر، المترشحون الحاصلون على شهادة الإجازة في القراءات والدراسات القرآنية، أو على شهادة معترف بمعادلتها لها.
- ويعتبر حضور جميع الدروس المبرمجة إلزامياً، ولا يجوز الغياب إلا لأسباب أو ظروف استثنائية، وتستغرق فترة الدراسة والتقييم خلال كل سنة دراسية 36 أسبوعاً.
- وتخصص حصة محددة من المقاعد للطلبة الأجانب، ويتقاضى الطلبة منحة شهرية قيمتها: 2000 درهم بالنسبة لسلك الإجازة، و2500 درهم بالنسبة لسلك الماستر، وتسير الدراسة بالمعهد في أجواء متميزة، لقلة الطلبة والمستوى العالي للتكوين المقرر.

وتتم الدراسة في المعهد في أحد التخصصين التاليين:

- تخصص القراءات القرآنية.

- تخصص الدراسات القرآنية.

أولاً: شعبة القراءات القرآنية:

ومقصدها الأول تكوين قراء حافظين للقراءات العشر من طريق الشاطبية والدررة، على وفق طريقة المغاربة في الجمع واختياراتهم في الأداء، وعلى وفق طريقة المشاركة في جمع القراءات وتحريرها، مع ضبط رسمها وضبطها، ووقفها وعد آيها وتوجيهها.

كما يتلقى الطالب معارف أساسية في علوم القرآن والتفسير، واللغة العربية والأدب، والحديث والسيرة، والفقه والأصول، والعقيدة والمنطق، والإعلاميات واللغات الأجنبية.

وأهم ما يمتاز به الدرس القرائي بمعهد محمد السادس للقراءات عن باقي المعاهد والجامعات المتخصصة في القراءات ما يلي:

- الجمع بين الطريقتين المغربية والمشرقية، والطالب يختم خمتين بالقراءات العشر: ختمة على وفق اختيارات المغاربة ومذاهبهم في الجمع والأداء، وختمة ثانية توازيها على وفق اختيارات المشاركة وتحريراتهم. ولا توجد جامعة ولا معهد ولا مدرسة في العالم تجمع في الإقراء بين الطريقتين غير معهد محمد السادس.

- الاعتماد في تدريس القراءات على العرض التام لكل القراءان، وهو منهج يقوم على قراءة كل طالب ختمة كاملة أمام أساتذة الإقراء، وهو منهج اختص به المعهد من بين المعاهد الجامعية المتخصصة في القراءات، لأن ختمة الإقراء فيها تقوم على الإدارة، فيقرأ كل طالب حيث انتهى صاحبه، وهي ختمة معتبرة لأن الطالب فيها بين عرض وسماع، لكن ختمة العرض التام أوثق وأقوى في الاعتبار.

- الانفراد بإقراء الطرق العشر النافعية، وهي روايات اختص المغاربة بحفظها والمحافظة عليها، وهي ثلاثة طرق عن الإمام ورش: طريق الأزرق، وطريق العتقي، وطريق الأصبهاني، وثلاثة عن الإمام قالون: طريق الحلواني، وطريق المروزي وطريق القاضي، وطريقين عن الإمام

المسيبي عن نافع: طريق ابنه محمد، وطريق ابن سعدان، وطريقان عن الإمام إسماعيل: طريق ابن فرح، وطريق أبي الزعراء، فتلك عشرة كاملة، ويتلقاها الطالب في مرحلة الماستر بعدما يتلقى القراءات العشر في مرحلة الإجازة.

- تصدر كبار شيوخ الإقراء بالمغرب لتدريس القراءات وعلومها بالمعهد، وهم شيوخ الفن وأقطابه الذين تشد إليهم الرحال لتلقي القراءة، وعلى دراساتهم ومصنفاتهم يعول الدارسون في علوم القراءات، وهم:

○ الأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو.

○ الأستاذ العلامة المقرئ مولاي المصطفى البحياوي.

○ الأستاذ المقرئ الشيخ محمد بن الشريف السحابي.

○ الأستاذ الدكتور المقرئ محمد جميل مبارك.

○ الأستاذ الدكتور المقرئ توفيق بن أحمد العبكري.

ويساعدهم في التكوين نخبة من الآخذين عنهم من المقرئين الشباب الحافظين المسندين للقراءات.

العناية بتراث المغاربة في القراءات ومناهجهم في الإقراء، ومن تجليات ذلك الاعتماد في الإقراء بالطريقة المغربية على دواوين الجمع والإرداف: الرمزيات، وفيها تتجلى العبقرية المغربية في إحكام صناعة الجمع والإرداف.

الاختصار في زمن التلقي، فقد جرت عادة المغاربة على التدرج في جمع القراءات، فبعد إتقان رواية ورش وختمها، يختم الطالب ختمة بقراءات حرمي، ثم ختمة بقراءات سما، ثم في بعض المناطق يختم ختمة بقراءات سما وابن عامر، ثم بعد ذلك يختم ختمة بالقراءات السبع، ثم ختمة بالعشر، ثم ختمة بالعشرين: العشر الصغرى مع العشر النافعية، وفي ذلك من التطويل ما فيه، لكن التلقي القرائي في المعهد يعتمد على التدرج في تدريب الطالب على الجمع حتى إذا أحكم صناعة الجمع انطلق مباشرة في جمع القراءات السبع، ومن بعدها العشر.

- الاعتماد على المتون العلمية المقررة في تلقي القراءات وعلومها، كالشاطبية والدررة، والدرر اللوامع وتفصيل العقد، والمورد وذيله. مع ختمها حفظاً وشرحاً.
- العناية بعلوم القراءة من رسم وضبط، ووقف ووصل، وأداء وتجويد، وتجزئة وعد، وتوجيه وتعليل، وتصدير وتشهير، وجمع وتحرير، مع تركيز على اللغة العربية وآدابها، وعناية بعلوم القرآن والتفسير.
- الانفتاح على العلوم الحديثة كعلم الصوتيات الذي يعين القارئ على تدقيق تحقيق الأداء الصوتي باستثمار التكنولوجيا الحديثة، وعلم الفيلوجيا الذي يعين على دراسة مخطوطات المصاحف العتيقة ورد شبه الطاعنين في صحة نقل القرآن وتلقيه.
- ويهدف التكوين في سلك ماستر: القراءات القرآنية المعمقة إلى تمكين المعرفة القرائية في جانب الدراية، من خلال عدة مواد دراسية تتقصد تعميق البحث في التراث القرائي، وهي:
 - مناهج الأداء والتلقي القرائي، وفيها يقف الطالب على أنماط تلقي القراءات وأدائها، وتطور مناهج التلقي والأداء عبر العصور.
 - الأصول التاريخية للقراءات، ويتعرف فيها الطالب على تاريخ القراءات في مراحلها الأولى قبل اجتماع الأمة على القراء السبعة.
 - تاريخ القراءات بالمغرب، وفيها يقف الطالب على تأريخ مسيرة الدرس القرائي في المغرب منذ الفتح إلى العصر الحاضر.
 - دراسات في تاريخ المصاحف، وفيها يبحث الطالب في تاريخ المصحف وتطور الضبط والخط وما تعلق بذلك.
 - دراسات في علمي الرسم والضبط، وفيها يعمق الطالب مدارسته للأصول الرسمية المعتمدة عند الرسام، ويقف على خلاف خلافيات رسم القراء.
 - التوجيه اللغوي للقراءات العشر، والتوجيه اللغوي للقراءات الشاذة، وفيه يستثمر الطالب عدته اللغوية في توجيه القراءات وتنزيهاها عن اللحن والغلط من جهة اللغة.
 - مناهج التصنيف القرائي، وفيها يتعرف الطالب على المكتبة القرائية ومناهج المصنفين في علوم القراءات.

- منهج تحقيق المتن القرائي، وفيها يتمرن الطالب على مناهج التحقيق عامة، وعلى خصوصية تحقيق المتن القرائي؛ لأن غالب التراث القرائي لا يزال في عداد المخطوط.
- وفي السنة الثانية من سلك الماستر يدرس الطالب مواد أخرى وهي:
- مناهج التحرير والتصدير، وفيها يتعرف الطالب على مدارس المحررين للقراءات وأصولهم وقواعدهم في التحرير، مع مدارس أهم المصنفات في التحريرات، ثم يتعرف على مناهج التصدير أو التقديم، وأسراره ومصادره وما جرى به العمل في ذلك.
- خصائص مدارس الخلاف الكبير، وهو خلاف المذاهب القرائية الكبرى الذي كان يقرأ به في المغرب إلى القرن العاشر: مذهب الداني، ومذهب مكّي، ومذهب ابن شريح، ويدرس الخلاف القرائي الكبير من خلال نشر ابن الجزري ونظم الطيبة وزياداتها على القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرّة.
- ما جرى به العمل في الأداء عند المغاربة، وفيها يعمق الطالب معرفته بما جرى به العمل عند المغاربة في مختلف العصور، ويقف على تغير العمل وعوامل ذلك.
- دراسات في المصاحف المخطوطة، وفيها ينجز الطالب دراسات وبحوث على مصاحف مخطوطة عتيقة تعود إلى القرون الأولى، ويبحث في قراءاتها التي ضبطت بها، وفي ظواهرها الرسمية، والوقفية والعدية، ومعلوم أن الدراسات الاستشرافية قد اتجهت في العقود الأخيرة إلى التركيز على المصاحف القديمة بحثاً عن أي اختلاف بينها، وسعياً بزعمهم إلى إعادة تحقيق النص القرآني، والمشاريع الألمانية والفرنسية معلومة في هذا الباب.
- دراسات في المصاحف المطبوعة، وفيها يقف الطالب على تاريخ طباعة المصحف، وعلى اختيارات وترجيحات لجان المصاحف في مختلف الأقطار الإسلامية، مع الوقوف عند بعض الأوهام والأخطاء الواقعة في بعضها.
- قضايا قرائية في ضوء الدرس اللساني، وفيها يدرس الطالب العلاقة بين القراءات واللهجات العربية، وتأثر اللهجات العامية بالأداء القرآني.
- دراسات صوتية في الأداء القرآني، وفيها يفتح الطالب على الدرس الصوتي الحديث وما يمكن أن يستفاد منه في تجويد الأداء القرآني.

- منهج النقد القرائي، وفيها يدرس الطالب حركة النقد القرائي عند القراء والمفسرين واللغويين والفقهاء وغيرهم، مع التمييز بين نقد مقبول ونقد مردود، وتنزيه القراءة عن المطاعن.
- مناهج البحث في التراث القرائي، وفيها يتعرف الطالب على خصائص البحث في التراث القرائي وآفاق البحث فيه واستثماره كتراث حضاري لامادي.

ولا نظير لهذا الماستر المتخصص في الدراسات العليا الجامعية، والمقصد أن يتخرج الطالب مقرئاً جامعاً للقراءات، عالماً بعلمها ووجوهها، مؤهلاً للبحث في علومها وما يتصل بها، خبيراً بالتراث القرائي المطبوع منه والمخطوط، قادراً على تحقيقه والعناية به، مستثمراً هذا العلم في الدراسات اللغوية واللهجية، إذ القراءات حافظة للهجات العرب وأصواتها.

ثانياً: شعبة الدراسات القرآنية:

وأما شعبة الدراسات القرآنية فتهدف إلى تكوين علماء متخصصين في الدراسات القرآنية قديمها وحديثها، محكمين لقواعد اللغة العربية ومناهج استنباط الأحكام، منفتحين على العلوم الإنسانية ومناهجها، عارفين باللغات القديمة وتاريخ الأديان، ناطقين باللغة الإنجليزية، مع عناية بالحديث والسيرة، وبالتاريخ قديمه وحديثه، وعلم الكلام ومقالات الفرق، والمنطق ومناهج البحث وتاريخ الأفكار.

ويهدف التكوين في الشعبة إلى تمكين التخصص العلمي في الدراسات القرآنية، من خلال تأهيل الطالب لتحصيل مهارات الفهم والنقد والتحليل المنهجي مع مراعاة تداخل العلوم وتكامل مناهجها.

ويتعمق التكوين في الدراسات القرآنية في مسلك ماستر: الدراسات القرآنية المعمقة، وهو مسلك مؤسس على مسلك الإجازة، وهذا التكوين يأتي استكمالاً للتكوين الذي تلقاه الطالب في سلك الإجازة، ولذلك جاء بناؤه مؤسساً على أمهات المواد المقررة فيه، من دراسات قرآنية تتعمق فيها المدارس لبعض علوم القرآن التي تدعو الحاجة إليها كأصول التفسير وقواعده، والانتصار للقرآن وتنزيهه عن المطاعن، ومن تاريخ قديم يمكن من فهم أعمق لتاريخ الأمم السابقة انطلاقاً من آيات القصص في كتاب الله مع الدراسة المقارنة للنصوص التاريخية والدينية القديمة، ومناهج

أصولية يعتصم بها لمعرفة أحكام الله في كتابه، وعلوم لغوية تحكم الفهم وتضبط الاستنباط، وعلوم إنسانية يستنار بها في فهم سياقات ورود النصوص وفي تنزيل الأحكام على الوقائع، ولغة إنجليزية يتوسل بها في تدارس ما استجد من دراسات قرآنية في المجامع العلمية الغربية.

ومن أهم مقاصد هذا التكوين:

- تعميق النظر والبحث في أصول التفسير ومناهجه.
- الاستفادة من الدراسات القرآنية الحديثة: الإسلامية والغربية.
- تمكين المعارف اللغوية اللازمة لفهم الخطاب الشرعي.
- استثمار المناهج الحديثة في فهم النص القرآني.
- الوقوف على أهم المطاعن الموجهة إلى القرآن ومناهج المؤلفين في الانتصار للقرآن.
- تمكين الطالب من منهج علمي متكامل يتأسس على الأصول الشرعية ويجمع بين التخصصات المختلفة قصد استيعاب المعارف القرآنية.
- استثمار مناهج النقد الحديثي في نقد المأثورات في الدراسات القرآنية.
- استثمار العلوم الإنسانية في تنزيل الخطاب الشرعي على الواقع.
- تمكين الملكة اللغوية الإنجليزية والتدرب على مهارات التواصل والإلقاء بها.
- تمرين الطالب على مهارة الترجمة وأنواعها.
- تقريب الطالب من الخصوصيات البحثية للدراسات القرآنية.

وهي أهداف تمكن الطالب من مفاتيح البحث في حقل الدراسات القرآنية، كي يتخرج - إن شاء الله - باحثاً مؤهلاً للضرب في شتى حقول البحث المتعلق بالدرس القرآني: تأريخاً، وتريلاً، وتدويناً، وتأويلاً، وتدليلاً، وعلى الله قصد السبيل، والحمد لله رب العالمين.

وعما قريب إن شاء الله يكتمل بناء المعهد بإحداث سلك الدكتوراه في تخصصه، وبه سيتعزز البحث العلمي في الدراسات القرآنية عموماً والقراءة خصوصاً ويطرئ ثمرات المعهد في الظهور من خلال خريجه وأطاريحهم التي نعمل على أن تكون متميزة جدة وجودة بعيداً عن التكرار والاجترار، يسر الله وسهّل.

وقد أضحى معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية اليوم مَجْمَع القراء، ومركز الإقراء، واجتمعت فيه أسانيد المقرئين من المغاربة والمشاركة، ويتولى مشيخة التدريس فيه صفوة حملة القرآن وحفظة قراءاته، كما اجتمع فيه نخبة من الأساتذة من شتى التخصصات في العلوم الشرعية والإنسانية واللغوية، وهدفهم خدمة كتاب الله وتحقيق التكامل المعرفي الذي يسهم في تجديد فهم كتاب الله وتنزيله، والإجابة عن الإشكالات التي تطرحها المناهج الحديثة على النصوص الشرعية، نسأل الله أن ينفع به ويوفق القائمين عليه أساتذة وإدارة ووزارة، وعلى رأسهم معالي الأستاذ الوزير: أحمد التوفيق وفقه الله ونفع به، فله اليد السابعة والإسهام الوفير في تنزيل أمر مولانا أمير المؤمنين بإحداث المعهد أولاً، وفي وضع فلسفة التدريس فيه وبناء مقرراته ثانياً.

كما نسأله تعالى أن يجعل كل ما يتلى في هذا المعهد ويدرس في سجلات حسنات منشئه وبانيه مولانا أمير المؤمنين محمد السادس أعزه الله وحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ونفعه ورفع بركة القرآن العظيم، آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الهادي الأمين.

عناية السلطان المولى سليمان العلوي بالحديث النبوي

د. سعيد المغناوي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد المصطفى الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الهادين المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد ولد السلطان أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل - رحمه الله - عام 1180 هـ الموافق لـ 1766-1767 م¹، ونشأ نشأة حسنة طيبة.² فقد كان أعلق بقلب أبيه السلطان سيدي محمد بن عبد الله من سائر إخوته - على ما قيل - لسعيه فيما يرضي الله ورسوله ويرضي والده، واشتغاله بالعلم والعكوف عليه بسجلهامة وغيرها.

ولم يلتفت قط إلى شيء مما كان يتعاطاه إخوته الكبار والصغار من أمور اللهو، كالصيد والسماع ومعاقرة الندماء وما يزري بالمروءة. ولم يأت فاحشة قط من صغره إلى كبره. وكان والده السلطان رحمه الله يرى له ذلك ويشبهه عليه، وينوّه بذكره في المحافل، ويبعث إليه بأعيان الفقهاء والأدباء إلى سجلهامة ليقرأ عليهم ويأخذ عنهم، ويدعو له في كل موقف على رؤوس الأشهاد، ويقول: إن ولدي سليمان رضي الله عنه لم يبلغني عنه قط ما يكدر باطني عليه، فأشهدكم أني عنه راض.³

1 - الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، عبد الرحمن ابن زيدان العلوي، (المطبعة الاقتصادية لصاحبها مصطفى بن عبد الله، الرباط، 1356 هـ/1937 م)، ص: 67.

2 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، القسم الثاني، تأليف أحمد بن خالد الناصري، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، (دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418 هـ/1997 م)، 86/8-87.

3 - الاستقصا، الناصري، 86/8.

ولما قتل أخوه السلطان يزيد بمراكش، بويع له بفاس بالضريح الإدريسي يوم الاثنين سابع عشر رجب عام 1206هـ الموافق لـ 11 فبراير سنة 1792م، لما كان عليه من العلم والدين والفضل وسائر الأوصاف الحميدة التي تفرد بها عن غيره.⁴

وتوفي رحمه الله في رابع عشر ربيع الأول عام 1238هـ الموافق لـ 29 نونبر سنة 1822م.⁵

عنايته بالعلم والعلماء

لقد كان رحمه الله موصوفاً بالعدل، معروفًا بالخير، مرفوع الذكر عند الخاصة والعامة. قد ألقى الله عليه منه المحبة، فأحبته القلوب، ولهجت به الألسنة، لحسن سيرته وطيب سريره.⁶

ومعلوم أن شخصية متّصفة بهذه الخصال الحميدة ومحبوبة لدى الناس، من المؤكد أن تكون لها عناية بالعلم والعلماء، وهذا ما أشار إليه أبو القاسم الزياني في (جمهرة التيجان)، فقال: "وأعزّ العلم وأهله، وبلغ في تحصيله ما لم يبلغه أحد من أهل بيته قبله".⁷

وقال في (الروضة السليمانية): "ويعظم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته، ويجري عليهم الأرزاق، ويعطيهم الدور المعتمدة والضيايع المستغلة، ويحسن إلى من دونهم في المرتبة من المدرسين وطلبة العلم، ويوثر المجتهد منهم وذا الفهم بمزيد البر، وتضعيف الجارية، حتى لقد تنافس الناس لهذا الوقت في اقتناء العلوم والانتحال لصناعتها، لا اعتزاز العلم وأهله وسعة أرزاقهم وصلته لهم".⁸

وقال ابن الحاج السلمي في (الإشراف): "فكان من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة، لا يجالس إلا الفقهاء، ولا يبرم أمراً من أمور مملكته إلا بعد مشاورتهم، ولا يقبل منهم إلا النص

4 - الاستقصا، الناصري، 8/87 و8/97؛ الدرر الفاخرة، ابن زيدان، ص: 67.

5 - الدرر الفاخرة، ابن زيدان، ص: 67.

6 - الاستقصا، الناصري، 8/112.

7 - جمهرة التيجان وفهرسة اليافوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، أبو القاسم الزياني، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/2003م)، ص: 123.

8 - الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية، أبو القاسم الزياني، (مخطوط مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء، متاح على شبكة الإنترنت، وتاريخ نسخته غير معروف)، ص: 281؛ الاستقصا، الناصري، 8/170.

الصريح. ويبالغ في الثناء عليهم، وتعظيمهم وتبجيلهم، وصلتهم ومودتهم، وتفقد أحوالهم، وأحوال كل من له أدنى تعلق بهم"⁹.

وقال عبد الرحمن ابن زيدان في (الدرر الفاخرة): "وكان يزور جامع القرويين كل آونة ويتردد على مجالس دروس الصدور من محققيه، ويحضر فيها ويبدي آراءه قبولاً ورداً، ويحل عويص المشكلات، ويزيل الستار عن غوامض المعضلات"¹⁰؛ "وكان يحض على العلم ويشجع على تعاطيه ونشره بالتدريس والتأليف في مختلف الفنون، وبالأخص علم القراءات والحديث، اقتداءً بأبيه وصالح سلفه"¹¹؛ "وكان يحضر اختتام العلماء في جملة الطلبة إجلالاً لقادة العلم وتعظيماً لحملة الشريعة. ففي رابع وعشري شعبان عام أحد عشر ومائتين وألف 1211هـ حضر ختم شيخه أبي المواهب الطيب بن عبد المجيد بن كيران تفسير القرآن الكريم بزاوية الشيخ قاسم بن رحمون الشهيرة بالحضرة الفاسية"¹².

عنايته بالحديث النبوي وتبحره فيه

ذكر أبو القاسم الزياتي رحمه الله في مقدمة (جمهرة التيجان)، ما كان عليه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وابنه السلطان المولى سليمان من عنايتهما بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ولولا أن أمير المؤمنين رحمه الله الذي اعتنى بتعاطي علم الحديث، وجلب غريبه من ساكن ومحرك، والبحث عن تأليف أئمة المشاهير لترك؛ ثم أكمل الله ثوابه، وضاعف أجره وأسبابه، باقتفاء أثره ولده أمير المؤمنين مولانا سليمان، واعتنائه بشأنه، والعكوف على بثه ونشره، وحضه للعلماء على قراءته ودرسه. وصرف همته في غريبه، إلى أن صار هو إمامه، وكل أعلام عصره في علمي التفسير والحديث جنوده وخدامه. وحيث حصل على المقصود، وقاد رؤساء العلم كما قاد رؤساء الجنود، أراد وصل سنده عن أشياخه بمن فوقهم من الأعلام والأئمة العظماء الكرام، إلى كل من صنف في سنته وأحكامه من الفحول، ثم إلى مولانا الرسول، لتكمل له المسرة غير ما مرة، كلّف هذا العبد

9 - الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، ابن الحاج السلمي المرداسي، تحقيق د. جعفر ابن الحاج السلمي، (الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م)، 23/2.

10 - الدرر الفاخرة، ابن زيدان، ص: 72.

11 - نفسه، ص: 74.

12 - نفسه، ص: 73.

الفقير، العاجز الحقير، المقيد بقيود العي والتقصير، بتقييد مَنْ أخذ عنهم من الأشياخ من فرازينهم والرخاخ، لعلمه أنّي بهم بصير، وبكل مَنْ أخذ عنه خير...¹³.

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب: "اعلم وفقنا الله وإياك، أن هذا السيد الجليل، نشأ نشأة حسنة من صغره إلى كبره... معتكفا على قراءة العلم الشريف... ملازما للصلاة في الأوقات... ومجالسة العلماء لسرد الحديث الشريف في الحضر والسفر، ويتأكد ذلك في شهر رمضان، يجمع أئمة الحديث لسرده والمذاكرة فيه... وتبحّر في علم الحديث والتفسير... وجال في ميدان البلاغة والإنشاء، والترسيل المطرز بالحجج من الحديث وآي التنزيل... وصار من يحضر مجلسه من الفقهاء لسرد كتب الحديث والتفسير، يكتسبون من وفرة، ويغترفون من بحره...¹⁴.

ووصفه في (الروضة السليمانية) فقال: "هو الذي ألفت إليه العلوم زمامها، وأصبح لأئمة الأنام حجتها وإمامها... أقامه الله بهذا الزمن الكثير الأشقياء والأغبياء، حاملا للواء الشريعة، ووارثا من ورثة الأنبياء. وإذا فوتش في الأخبار وُجد كجامع سفيان، وفي وقائع العرب والشعر كنبأغة ذبيان، وفي الفطنة والفراسة كالمهلب وابن قتيبة، وإذا خاض في الحديث والكتاب أبدى ملكة مالك وابن شهاب...¹⁵.

وقال ابن الحاج السلمي في (الإشراف): "وكان السلطان أبو الربيع، مولانا سليمان، أحد هؤلاء الملوك، من أئمة الأعلام، ومن أعظم مشايخ الإسلام، علامة درّاة، محققا مشاركا في جميع العلوم، ماهرا في التفسير والحديث والسير...¹⁶.

وقال عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس): "وكان له اشتغال بقراءة التفسير والحديث غريب، انقطع لذلك وعكف عليه...¹⁷.

13 - جبهة التيجان، الزباني، ص: 54.

14 - نفسه، ص: 167.

15 - الروضة السليمانية، الزباني، ص: 282؛ الاستقصا، الناصري، 172/8.

16 - الإشراف، ابن الحاج السلمي، 22/2.

17 - فهرس الفهارس، الكتاني، 983/2.

شيوخه في علم الحديث

ومن أخذ عنهم الحديث النبوي الشريف وما يلحق به من السير والمغازي وأجازوه فيه¹⁸:

1- والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله (ت1204هـ)، الذي قال عنه أبو القاسم الزياني في (جمهرة التيجان): "وهو ما هو من العلم والدين، وحفظ حديث سيد المرسلين... ناوله دلائل الخيرات وما فيه من الأحزاب والأوراد، بعد صلاة الجمعة بمسجد الأزهر من قصبة مكناسة بمحضر الفقهاء والأمراء والأعيان، عام ستة وتسعين ومائة وألف"¹⁹. وقال في موضع آخر: "وشرحنا ما كان عليه والده - رحمه الله - من الاعتناء بأهل العلم، وجلب كتب الحديث الغريبة من المشرق وبلاد الترك... وجمع الفقهاء لسرد كتب الحديث والتأليف منها. وكان لا يتعاطى غيرها إلى أن امتلأ من حفظ الحديث رحمه الله ورضي عنه"²⁰.

2- الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد بن البركة العظمي سيدي أحمد الحبيب اللمطي رحمه الله²¹ (ت1200هـ)، الذي أخذ عنه الأثر المسلسل بأخذ السبحة²².

3- الشيخ التاودي بن سودة المري الأندلسي الغرناطي²³ (ت1209هـ)، الذي أجازته في جهادى الآخرة عام أربع ومائتين وألف، بعد أن قرأ عليه صدر دلائل الخيرات، وأول الكتب الستة (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والموطأ)²⁴.

4- الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي العباس الشراذي²⁵ (ت1210هـ)، الذي أخذ عنه (دلائل الخيرات)²⁶. وقد توفي - رحمه الله - بزاويتهم قرب مدينة آسفي عام 2010هـ، حسب ما ذكره عبد السلام ابن سودة في (إتحاف المطالع)²⁷. لكن عبد الحي الكتاني قال في (فهرس الفهارس):

18 - جمهرة التيجان، الزياني، ص: 157-159.

19 - جمهرة التيجان، الزياني، ص: 126 و159.

20 - نفسه، ص: 122.

21 - نفسه، ص: 126-127.

22 - نفسه، ص: 60.

23 - نفسه، ص: 127.

24 - نفسه، ص: 159-160.

25 - نفسه، ص: 128.

26 - نفسه، ص: 106.

27 - إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام ابن سودة، تنسيق وتحقيق محمد حجي، (دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م)، ص: 82.

"رأيتُ في إجازته التي كتب للسلطان أبي الربيع سليمان بن محمد العلوي، وهي عامة بتاريخ 1212هـ، روايته لفهرس أبي سالم العياشي عن والده أبي العباس"²⁸.

5- الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي²⁹ (ت 1214هـ)، الذي أخذ عنه أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.³⁰

6- الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الفيلاي السجلماي الرباطي³¹ (ت 1214هـ)، الذي أجازته في "قراءة دلائل الخيرات، وفي كتب الحديث المتداولة النيرات"، وذلك في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة اثني عشر ومائتين وألف.³²

7- الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران³³ (ت 1227هـ)، الذي أجازته في محرم سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف، بعد أن شهد له حضور جملة وافرة من موطأ مالك، ومن مسند الإمام أحمد، وصحيح البخاري ومسلم، وطائفة من سرد شرحه على ألفية العراقي في السير.³⁴

8- الشيخ العربي بن المعطي بن صالح الشرقي البجعي (ت 1234هـ)، الذي أجازته عامة، كما قال عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس)³⁵. وقد عرّف به هناك، فقال: "هو العربي ابن ولي الله المعطي بن صالح... العالم الصالح المحدث الناسك المجذوب السالك... آية في الحفظ واستحضار الحديث والتفسير... كثير الاعتناء بعلم الحديث وبخصوص الصحيح"³⁶.

9 - الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ التاودي بن سودة المري³⁷ (ت 1235هـ)، الذي أخبر أبو القاسم الزياني في (جمهرة التيجان) بأخذه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بسنده، فقال:

28 - فهرس الفهارس، الكتاني، 834/2.

29 - نفسه، ص: 127.

30 - نفسه، ص: 61.

31 - نفسه، ص: 128.

32 - نفسه، ص: 161-162.

33 - جمهرة التيجان، الزياني، ص: 127.

34 - نفسه، ص: 162-166.

35 - فهرس الفهارس، الكتاني، 779/2.

36 - نفسه، 778/2-779.

37 - نفسه، ص: 127.

"أخذ الحديث عن القاضي السيد أحمد ابن سودة، عن والده الشيخ التاودي، عن جسوس، عن عمه سيدي عبد السلام عن سيدي عبد القادر الفاسي، بسندهم"³⁸.

10 - الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز الهلالي، الذي أخذ عنه: صحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه، ومسند الشافعي³⁹؛ ولهذا قال أبو القاسم الزباني في (جمهرة التيجان): "وأخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد، عن سيدي أحمد بن عبد العزيز، عن سيدي أحمد الحبيب، بسنده حسبما في الفهرسة، وهو عمدته رحمه الله"⁴⁰.

11 - الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي التمكروتي (ت1239هـ)، الذي أجاز له عامة مروياته، كما قال عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس)⁴¹. وقد عرّف به هناك، فقال: هو الإمام الفقيه المحدث المسند الرحلة الجماع، نادرة المغرب ومسنده، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام... أعلم علماء البيت الناصري بالفقه والحديث، وأوسعهم رواية، وأجسرهم قلماً، وأعلامهم إسناداً"⁴².

تلاميذه

من جملة من تتلمذوا على يدي السلطان المولى سليمان أو أجازهم:

1- العلامة المسند الأديب، كاتب الدولة السليمانية البار، أبو حامد العربي بن محمد الدمتمني الفاسي (ت1253هـ): قال عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس): "كان من عشاق الرواية والإسناد، وله فهرس نادر بالنسبة لأهل جيله ومصره، وذكر من شيوخه السلطان أبا الربيع سليمان بن محمد العلوي والرهوني وغيرهما"⁴³.

2 - أبو العباس أحمد بن التادي الحمدوني السريفي العلمي: أجازاه السلطان المولى سليمان عام 1233 هـ في جميع مروياته وأوراده عن أشياخه. وقد وقف عبد الحي الكتاني على نسخة منها مثبتة من خطه، ونصها بعد الحمدلة والصلاة: "هذا عقد أخوة وإذن لمحبتنا في الله الفقيه المشارك السيد أحمد

38 - نفسه، ص: 151.

39 - نفسه، ص: 156.

40 - نفسه، ص: 150.

41 - فهرس الفهارس، الكتاني، 847/2.

42 - نفسه، 843/2.

43 - فهرس الفهارس، الكتاني، 402/1.

بن السيد أحمد بن التادي الحمدوني الموسوي السريفي الحسني العلمي، في جميع مروياتي وأورادي عن أشياخي... وقد انخرط في سلك سلسلة هؤلاء الأشياخ، في جميع ما أرويه عنهم، من كتب حديث ودلائل الخيرات وورد ابن ناصر، وغير ذلك، كما هو في فهرستي. وقد ناولته إياها بما فيها... كتبه غرة شوال عام 1233هـ، عبد ربه سليمان بن محمد، لطف الله به، آمين⁴⁴.

أسانيده في الحديث النبوي الشريف

ذكر أبو القاسم الزباني رحمه الله في (جمهرة التيجان) أسانيد السلطان المولى سليمان عن أشياخه في جميع العلوم، ومنها الحديث النبوي الشريف، فقال: "إن أمير المؤمنين أعزه الله أخبر أنه أخذ دلائل الخيرات عن والده رحمه الله، عن مولاي عبد الله المنجرة، عن والده مولاي إدريس بسنده الذي في فهرسته⁴⁵."

كما وردت في ثنايا كتاب (جمهرة التيجان) جداول (هياكل) فيها بعض أسانيده الحديثية، وهي كما يلي:

- سند السلطان المولى سليمان في الأثر المسلسل بأخذ السبحة، عن شيخه سيدي عبد الرحمن ابن الحبيب، عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي بسنده إلى الحسن البصري رحمه الله⁴⁶.

- سنده في أخذ أسماء الله الحسنى وأسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم والأحزاب، عن شيخه محمد بن عبد السلام الفاسي بسنده إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم⁴⁷.

- سنده في علم السير والمغازي، عن شيخه ابن كيران بسنده إلى أبي الربيع سليمان الكلاعي رحمه الله⁴⁸.

44 - انظر: فهرس الفهارس، الكتاني، 983/2-984.

45 - جمهرة التيجان، الزباني، ص: 148.

46 - نفسه، ص: 60.

47 - نفسه، ص: 61.

48 - نفسه، ص: 65.

- سنده في حديث: (مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، مَاتَ وَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْمَوْتِ)، إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم⁴⁹.
- سنده في دلائل الخيرات، عن والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله وشيخه الشرادي، إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي رحمه الله⁵⁰.
- سنده في الأحاديث المسلسلة، أولهم حديث الرحمة المسلسل بالأولية، عن شيخه عبد الرحمن ابن الحبيب، إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولفظ الحديث: (الراحمون يرحمهم الرحمن...) ⁵¹.
- سنده في موطأ الإمام مالك، عن شيخه عبد الرحمن ابن الحبيب، إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله⁵².
- سنده في صحيح البخاري، عن شيخه ابن كيران، إلى محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله⁵³.
- سنده في صحيح البخاري، عن شيخه عبد الرحمن ابن الحبيب. وسنده في صحيح مسلم، عن شيخه عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز الهلالي. وسنده في كتاب الموطأ وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ومسند الشافعي، عن شيخه عبد الرحمن بن محمد⁵⁴.
- سنده في الحديث المسلسل بالمصافحة، عن شيخه الحافظ ابن عبد السلام الناصري، عن الحافظ أبي العلاء العراقي وعمه أبي يعقوب يوسف، كلاهما عن ابن عبد السلام بناني، عن الشيخ أبي العباس ابن ناصر بأسانيده⁵⁵.
- سنده في الحديث المسلسل بالفاخرة، عن شيخه ابن عبد السلام الفاسي بأسانيده⁵⁶.

49 - جبهة التيجان، الزباني، ص: 67.

50 - نفسه، ص: 73 و 106.

51 - نفسه، ص: 117.

52 - نفسه، ص: 124.

53 - نفسه، ص: 136.

54 - نفسه، ص: 156.

55 - فهرس الفهارس، الكتاني، 982/2.

56 - نفسه، 983/2.

مجالسه الحديثية

أخبرنا أبو القاسم الزياني في كتابه (الروضة السليمانية) عن بعض مجالس السلطان المولى سليمان التي كانت مخصصة لسرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفهمه والمذاكرة فيه، فقال: "ويجمع أعيان العلماء لسرد الحديث الشريف، وتفهمه والمذاكرة فيه، على ممر الأيام، ويتأكد ذلك في رمضان، ويشاركونهم بغزارة علمه وحسن ملكته، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره، فيصيب المفصل"⁵⁷.

وذكر العباس ابن إبراهيم السملالي المراكشي في (الإعلام بمن حلّ مراكش وأغامت من الأعلام) بأن الفقيه المعطي الزدغي المراكشي كان من علماء دولة السلطان المولى سليمان الذين كانوا يحضرون معه قراءة صحيح البخاري عام 1232هـ، وقال: "وجّه عليه لذلك من مراكش ومكناس، وأنزله عند قهرمانه الأمين الحاج الطاهر بادو، فأنزله بدار العريفة حول داره"⁵⁸.

ونفس الخبر أورده أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي في (الجيش العرمرم الخماسي)، فقال: "حضرت يوماً عند صاحبنا الفقيه الحاج المعطي الزدغي المراكشي، وكان قدم لحضرة السلطان العادل، لحضرة مكناس، بقصد سرد صحيح البخاري على العادة..."⁵⁹.

ومن لطائف مجالسه الحديثية، أنه كان بمجلس البخاري، فعطس والقارئ يتلو (يرحمك الله) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله على كل حال، وليقل له أخوه وصاحبه: (يرحمك الله)... الحديث"⁶⁰.

وفي بعض مجالسه الحديثية كانوا يتدارسون مسند الإمام أحمد، وقد أشار إلى ذلك حمدون ابن الحاج السلمي في إحدى رسائله، فقال: "وبينما نحن بقبة السويرة كواكب، نزاحم ذوات الأفلاك بالمناكب، نقرأ على الحضرة المولوية (مسند الإمام أحمد)... إذ طلع علينا العلامة... أبو عبد الله

57 - الروضة السليمانية، الزياني، ص: 281؛ الاستقصا، الناصري، 170/8.

58 - الإعلام بمن حلّ مراكش وأغامت من الأعلام، العباس ابن إبراهيم السملالي المراكشي، راجعه عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة، (المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م)، 257/7.

59 - الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، (المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش)، 184/2.

60 - فهرس الفهارس، الكتاني، 983/2؛ الإشراف، ابن الحاج السلمي، 25/2-26.

سيدي محمد بن القطب سيدي أبي العباس الشراذي... قال: لا بد من التلفظ بـ (قال) بين رجال الإسناد، وإن لم يلفظ بها القلم؛ وكان له استناد، لما هو غير مسلّم. فنازعناه بما تقتضيه القواعد العربية، وساعفناه لحرمة المجلس، والنفس آبية. ثم عاد المنصور بالله... إلى مكناسة الزيتون... وعاد لإقامة درسه، جانبا جنى غرسه. وحضر مجلسه الذي هو مقذف الفقهاء، وموقف النبهاء، الفقيه النبيه، المحدث السيد محمد بن المهدي، وكُلُّ في ذلك المجلس لما عنده من طرائف يهدي، فقال تلك المقالة السابقة للقارئ إذ ذاك، بحضرة مولانا المنصور، صاحبنا الدراكة النجيب، أبي عبد الله سيدي محمد بن منصور، فأبى ذلك ودافعه، وتجاذبا أطراف المنازعة⁶¹.

الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة

لقد تشرب رحمه الله السنة النبوية الشريفة وعلومها منذ صباه، ونشأ على حبها وتخلق بها إلى أن انتقل إلى رحمة الله، وكانت من أولوياته في الاستشهاد بها بعد كتاب الله سبحانه وتعالى في كتبه ومراسلاته ووصاياهم.

فعلى سبيل المثال، عندما قام عامة أهل فاس على عاملهم الحاج محمد الصفار وأرادوا عزله، وتعصبت له طائفة من أهل عدوته، وافترقت الكلمة حتى أدى ذلك إلى الحرب وسفك الدماء ونهب الدكاكين، وبلغ ذلك السلطان المولى سليمان وهو يومئذ بمكناسة، كتب إلى أهل فاس كتابا شحنه بالوعظ والعتب والاستدلال بما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر ابنه المولى عليا أن يقرأ عليهم، فجمعهم وقرأ عليهم حتى سمعوه وفهموه. ونص الكتاب المذكور: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، إلى أهل فاس، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته... وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. واعلموا أن العمال ثلاثة: عامل أكل السحت وأطعمه الغوغاء والسفلة، وعامل لم يأكل ولم يطعم غيره انتصف من الظالم، وعامل أكل وحده ولم يطعم غيره؛ فالأول تحبه العامة والسفلة ويبغضه الله والسلطان والصالحون، والثاني يحبه الله ويكفيه ما أهمه من أمر السلطان، والثالث كعمال اليوم يأكل وحده

61 - ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، جمع وتحقيق وتقديم د. أحمد العراقي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م)، ص: 55-57.

ويمنع رفته ولا ينصر المظلوم، فهذا يبغضه الله ورسوله والسلطان والناس أجمعون. وهذا معنى حديث (ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس...) إلخ، وحديث (العمال ثلاثة) إلخ...⁶².

ولما أراد رحمه الله أن يترك أمر الناس لابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام، ويتخلى هو لعبادة ربه إلى أن يأتيه اليقين، وتعددت في ذلك رسائله ومكاتيبه، كتب هذه الوصية التي استشهد فيها بعدد لا يستهان به من الأحاديث النبوية الشريفة، فقال: "الحمد لله، لما رأيتُ ما وقع من الإلحاد في الدين، واستيلاء الفسقة والجهلة على أمر المسلمين، وقد قال عمر: إن تابعناهم تابعناهم على ما لا نرضى، وإلا وقع الخلاف... وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر: (ياأبى الله، ويدفع المسلمون)، ورشحه بتقديمه للصلاة إذ هي عماد الدين... وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم العبد صهيب)، وقال: (أبو عبيدة أمين هذه الأمة)، وقال: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر)، وقال في أبي بكر وعمر أكثر من هذا، فصار المدح للتعريف واجبا، ولإظهار حال الرجل ليُنتفع به...⁶³.

وفي كتاب العهد الذي قرئ بفاس، قال مستشهدا بما يَسّر الله له استحضاره من القرآن وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام: الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. أخواننا الودايا ورماة فاس وأعيانها ورؤساؤها، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى ابن عمنا الفقيه القاضي مولاي أحمد والفقيهين ابن إبراهيم والأزمي، وبعد فقد وجدتُ من نفسي ما ليس بتارك أحدا في الدنيا، وهذه وصية أقدمها بين يدي أجلي... وأوصي الجميع بما أوصى الله به الأولين، (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا)⁶⁴، (وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله)⁶⁵، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، ولن تزال هذه الأمة بخير ما أخذوا بكتاب الله)، وقد عهدتُ لابن أخي مولاي عبد الرحمن بن هشام، ورجوتُ الله أن يكون لي في هذا

62 - الاستقصا، الناصري، 139/8-141؛ الروضة السليمانية، الزباني، ص 262-276؛ الجيش العرمم الخماسي، الكنسوسي، 308/1-309.

63 - الاستقصا، الناصري، 164/8-165.

64 - سورة النساء، الآية: 131.

65 - سورة الحشر، الآية: 07.

الأمر مثل ما لسليمان بن عبد الملك في عهده لعمر بن عبد العزيز، (إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم)⁶⁶، (من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)... وقد أديتُ لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليّ من النصيحة، وأرجو أن يثبني بهذه النية الصحيحة، وهو المطلع على ما في الضمائر، والعالم بالسرائر، والسلام. وفي رابع ربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف اهـ⁶⁷.

العناية بأهل الحديث وإكرامهم

خلّد لنا التاريخ مواقف نبيلة من عناية السلطان المولى سليمان بشيوخ العلم بصفة عامة، وشيوخ الحديث بصفة خاصة. فقد كان رحمه الله يزورهم بدورهم، ويلبّي من استدعاه منهم، ويعود مرضاهم، ويحضر جنازتهم. ومن الأمثلة على ذلك⁶⁸:

- أنه زار المحدث أبا زكرياء يحيى بن المهدي بن الطالب الشفشاوني إمام الضريح الإدريسي، المتوفى أواخر ذي الحجة عام 1229هـ.⁶⁹

- كما زار الشيخ التاودي بن سودة، شيخ شيوخ العلم بفاس⁷⁰.

- وعاد أبا محمد عبد القادر ابن شقرون في مرضه الذي توفي به، وحضر جنازته، وحشره بيده في قبره بالضريح الإدريسي، وما خرج حتى سوى التراب على قبره⁷¹.

- وعاد قاضي الجماعة بفاس، أبا العباس أحمد بن التاودي بن سودة المرّي⁷².

- واستدعاه العلامة الشيخ حمدون بن الحاج السلمي لداره، فأجاب دعوته ووصله بألف مثقال⁷³.

66 - سورة يس، الآية: 11.

67 - الاستقصا، الناصري، 165/8-166.

68 - الدرر الفاخرة، ابن زيدان، ص: 72.

69 - نفسه، ص: 72.

70 - نفسه، ص: 72.

71 - نفسه، ص: 72.

72 - نفسه، ص: 72-73.

73 - نفسه، ص: 73.

حرصه على اقتناء رواية نادرة من صحيح البخاري

قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي (ت1239هـ) في كتابه (المزايا)، عند حديثه عن روايات من صحيح البخاري: "ورواية أبي عمران موسى بن سعادة أولى وأوثق وأضبط، منها إجماع المغاربة في أمصار المغرب عليها. ولقد عثرتُ على أصل شيخه الحافظ الصدفي، الذي طاف به البلاد بخطه، بطرابلس في جزء واحد مدموج، لا نقط به أصلاً، على عادة الصدفي وبعض الكتّاب، إلا أن بالهامش منه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها، وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه. وفي أوله كتابة ابن جماعة الكناني والحافظ الدمياطي، وابن العطار، والسخاوي، قائلًا: هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني، وبنى عليه شرحه (الفتح)، واعتمد عليه؛ لأنه طيف به في مشارق الأرض ومغاربها والحرمين، ومصر والشام والعراق والمغرب، فكان الأولى بالاعتماد، لرواية تلميذه ابن سعادة. ولقد بذلتُ لمن اشتراه في عدة كتب - من أهل طرابلس المغرب - بإسطنبول بثمن تافه، صُرّة ذهب، فأبى من بيعه، وبقي ضائعاً في ذلك القطر... ثم حملتني الغيرة والمحبة على أن بلغتُ خبره لإمامنا المنصور، أبي الربيع سليمان بن محمد، أدام الله ملكه، وأنجح أمره، فوجه إليه - حسبما شافهني به - ألف مثقال أو ريال - الشك مني -، فأجابه مَنْ هو بيده، أنه يقدم به لحضرته، وما منعه إلا فتنة التُّرك فيما بين تونس والجزائر. ثم لما طال الأمر، أعاد الكتّب بذلك، وإلى الآن لم يُظفره الله به. ولقد داعبته ذات مرة قائلًا، على شأن سماع الصدفي المذكور: وماذا مبلغ هذه الخصلة؟ فوعدني - ووعد الملوك تحقيق - أنه إن ظفر به، جرّد منه فرعاً، وأعطاني أحدهما على اختياري"⁷⁴.

مؤلفاته في علم الحديث

من مؤلفات السلطان المولى سليمان الحديثية:

- 1- "جواز التجمير بالقُسط في رمضان": توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط، ضمن مجموع تحت رقم 5633؛ وأخرى بالخزانة الصبيحية بسلا، عدد 87.⁷⁵

74 - المزايا فيما أحدث من البدع في أم الزوايا (الزاوية الناصرية)، محمد بن عبد السلام الناصري، دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م)، ص: 90-91.

75 - من الملوك العلماء في دولة الأشراف العلويين: الملك العالم مولاي سليمان، بحث لعبد القادر الصحراوي، نشر بمجلة دعوة الحق المغربية، (العدد الرابع، السنة العاشرة، ذو القعدة 1386هـ/مارس 1967م)، ص: 61؛ رسالتان في الرد على اليهود: الرسالة ==

والْقُسْطُ بضم القاف، معناه: العود الذي يُتَبَخَّرُ به. قال ابن منظور في (لسان العرب):
"والْقُسْطُ بالضم: عود يُتَبَخَّرُ به، لغة في الْقُسْطِ، عقار من عقاقير البحر... وقال الليث: الْقُسْطُ عود
يُجاء به من الهند، يُجعل في البخور والدواء. قال أبو عمرو: يُقال لهذا البخور قُسْطٌ وكُسْطٌ وكُشْطٌ...
الْقُسْطُ: هو ضرب من الطيب، وقيل هو العود... والقُسْطُ: عقار معروف طيب الريح، تتبخَّر به
النفساء والأطفال"⁷⁶.

والتجمير بالقُسْطِ، معناه: التبَخَّر بالعود، أي التطيَّب. قال ابن منظور في (لسان العرب):
"واستجمر بالمجمر، إذا تبَخَّر بالعود"⁷⁷، وقال أيضا: "وتَبَخَّر بالطيب ونحوه، تَدَخَّن. والبَخور
بالفتح: ما يُتَبَخَّر به. ويُقال: بَخَّر علينا من بَخور العود، أي طيَّب"⁷⁸.

ومعلوم أن التبَخَّر بالعود في مجالس الحديث النبوي الشريف عادة قديمة، دأب عليها الإمام
مالك رحمه الله، واستمر العمل بها إلى يومنا هذا. قال الأستاذ عبد القادر الصحراوي رحمه الله: "وقد
جرت العادة إلى اليوم أن توضع في حلقة دروس الحديث التي تُلقى بحضرة الملك مجامير العود،
وهي عادة كان يدأب عليها الإمام مالك رحمه الله، كما روى ذلك القاضي عياض في الجزء الثاني من
كتابه (ترتيب المدارك). فقد قال ما معناه: إن الإمام مالكا كان إذا جلس للحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضع في المجلس مجامير فيها عود، فلا يزال يُبَخَّر إلى أن ينتهي الإمام مالك من
درس الحديث. والذي يظهر، أنه كانت تُعقد بعض المجالس للحديث في عهد المولى سليمان في شهر
رمضان نهارا، وأنه ربما وُضعت فيها مجامير عود، وأن بعض الناس ربما تكلموا في ذلك، فكتب المولى
سليمان هذه الرسالة: (جواز التجمير بالقُسْط في رمضان)"⁷⁹.

== الأولى الحسام الممدود في الرد على اليهود تأليف أبي محمد عبد الحق الإسلامي والرسالة الثانية الرد على من قال بأفضلية بني
إسرائيل على العرب تأليف السلطان العلوي الشريف أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله، دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي،
(دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م)، مقدمة المحقق، ص: 76-77.

76 - لسان العرب، ابن منظور، (دار صادر، بيروت)، مادة (قسط)، 379/7.

77 - لسان العرب، ابن منظور، مادة (جمر)، 144/4.

78 - لسان العرب، ابن منظور، مادة (بخر)، 42/4.

79 - خطبة السلطان المقدس مولانا سليمان العلوي رحمه الله في الانتصار للسنة ومحاربة بدع الطوائف الضالة، (مكتبة ومطبعة
الساحل، الرباط)؛ من الملوك العلماء في دولة الأشراف العلويين: الملك العالم مولاي سليمان، عبد القادر الصحراوي، ص: 61.

2 - "الخطبة الوعظية": التي كتبها من إنشائه وبلاغته لخطباء المساجد يخطبون بها في الجمع، وأرشد فيها إلى رعاية السنة من غير إخلال ولا ابتداء⁸⁰.

قال الأستاذ عبد القادر الصحراوي رحمه الله: "ولعل أهمية هذه الخطبة، تكمن في كونها تقدم لنا صورة قوية وناصعة عن سنية المولى سليمان"⁸¹.

3 - "رسالة في آداب زيارة الأولياء": حذر فيها من الخروج عن السنة، والتغالي في البدعة، وبيّن فيها بعض آداب زيارة الأولياء.⁸²

4 - "حاشية على موطأ الإمام مالك": قال أبو القاسم الزياتي: "فمن تأليفه: حاشيته التي قيدها على موطأ الإمام مالك رضي الله عنه، مشتملة على غوامض من أبحاث وأجوبة ووضوح مشكلات عجزت عن فهمها الفحول"⁸³. وأما عبد الحي الكتاني، فقال في (فهرس الفهارس): "له حواش وتعليق على الموطأ وشرحها للزرقاني والمواهب وغيرها"⁸⁴.

5 - "تقييد على حديث تمثيل أعمال الكتابيين والمسلمين بعمل الأجراء في ألفاظ النهار": توجد منه نسخة مخطوطة بالخرزانة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، عدد 2560 د خ⁸⁵.

6 - "تقييد على حديث القراريط": توجد منه نسخة مخطوطة بالخرزانة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط ضمن مجموع، عدد 153 ج؛ وأخرى بمؤسسة علال الفاسي بالرباط ضمن مجموع، عدد 389⁸⁶.

80 - الترجمة الكبرى، أبو القاسم الزياتي، ص: 466-470.

81 - من الملوك العلماء في دولة الأشراف العلويين: الملك العالم مولاي سليمان، عبد القادر الصحراوي، ص: 61.

82 - الاستقصا، الناصري، 123/8؛ رسالتان في الرد على اليهود، مقدمة المحقق، ص: 76-77.

83 - جبهة التيجان، الزياتي، ص: 170.

84 - فهرس الفهارس والأبحاث ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، باعثناء د. إحسان عباس، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ/1982م)، 981/2.

85 - رسالتان في الرد على اليهود، مقدمة المحقق، ص: 76-77.

86 - نفسه، مقدمة المحقق، ص: 76-77.

الكتب الحديثية التي أمر بتأليفها

1- شرح الأربعين النووية.

قال عبد الرحمن ابن زيدان في (الدرر الفاخرة): "وكان يحض على العلم ويشجع على تعاطيه ونشره بالتدريس والتأليف في مختلف الفنون، وبالأخص علم القراءات والحديث، اقتداءً بأبيه وصالح سلفه... ومن ذلك أمره لأربعة من صدور علماء دولته وهم: القاضي أبو العباس أحمد ابن شيخ الجماعة الشيخ التاودي بن سودة، والشيخ عبد القادر بن شقرون، والشيخ محمد بن أحمد بنيس، والشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران، بشرح الأربعين حديثاً النووية، كل واحد منهم يقوم بشرح ربع منها، فامتثلوا. وشروحهم متداولة بين سائر الطبقات، طبعت بفاس عام تسعة وثلاثمائة وألف⁸⁷.

وحسب ما ذكره محمد الضعيف الرباطي في (تاريخه)، فإن السلطان المولى سليمان قد حدد لإنجاز هذا العمل مدة عشرة أيام، وأن الطيب ابن كيران قد شرع في شرحها يوم الأربعاء سادس عشر رجب من عام 1210هـ.⁸⁸

وقد شرح العشرة الأولى من الأربعين حديثاً النووية أبو العباس أحمد بن التاودي بن سودة المري، والعشرة الثانية أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن شقرون، والعشرة الثالثة أبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس، والعشرة الرابعة أبو محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران.

قال سيدي أبو العباس أحمد بن التاودي بن سودة في مقدمة شرحه للعشرة الأولى من الأربعين النووية عن سبب تأليفها: "وكانت الأربعون النووية التي هي كما قيل: من جوامع الكلم النبوية... ومن جملة من تصدّى لشرحها، ووضع تقييداً عليها، الإمام الواعظ أبو العباس أحمد بن حجازي الفشني رحمه الله، جاء فيه بصنع بديع، وترتيب غريب رفيع، لم يسبق بمثاله، ولا نسج أحد على منواله. ونظر فيه مولانا الإمام، سلطان سلاطين الإسلام، وعالم العلماء الملوك الأعلام. نجل موالينا الخلفاء، ومن أنقذ الله به الدين بعد أن كان على شفا. الرفيع القدر والشان، أبو الربيع مولانا سليمان.

87 - الدرر الفاخرة، ابن زيدان، ص: 74-78.

88 - تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، محمد الضعيف الرباطي، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، (دار المآثورات، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م)، ص: 266.

أشاد الله به منازل الدين، وبارك في عمره للمسلمين، وأحاط ثاقب ذهنه وذكي فهمه بما سطر فيه. رأى أن يضاف إليه، ما يكون تكميلاً لديه، من أبحاث لطيفة، وفوائد منيفة شريفة. فأمر أيد الله نصره، وخلد في الصالحات ذكره، مَنْ عَيْنَهُ مِنْ خَدَمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ المذكورين إثره: كاتبه أحمد ابن سودة، والفقهاء الأجلّة، والبدور الأهلّة: أبا محمد السيد عبد القادر ابن شقرون، وأبا عبد الله السيد محمد بنيس، وأبا محمد السيد الطيب ابن كيران. فاقسموا الأربعين أرباعاً على الترتيب، مُبادرة لامثال الأمر، ومُسارعة لاغتنام الثواب والأجر، مُلتزمين ذكر خطبه، مُوفين إن شاء الله بمرغوبه ومطلبه⁸⁹.

وقال سيدي عبد القادر ابن شقرون في مقدمة شرحه للعشرة الثانية من الأربعين النووية: "فهذه المهمة السنّية في شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، جُهد المقلّ القاصر، الضعيف عبد القادر، وفقه الله وأنا له رضاه. أرشده إلى جمعها، وأمره بإبرازها إلى الوجود ووضعها، مولانا الإمام، وعلامة الجهابذة الأعلام، فخر الملوك وواسطة عقد السلاطين... مولانا أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان..."⁹⁰.

وقال سيدي محمد بنيس في مقدمة شرحه للعشرة الثالثة من الأربعين النووية: "أشار أيّده الله بتأييده المعين، إلى شرح العشرة الثالثة من تلك الأربعين. فلبّيتُ دعوته، وامتلأت طاعته... وسمّيته (منح النفعات المولوية في شرح العشرة الثالثة من النووية)..."⁹¹.

2 - تأليف رسائل في لفظة (قال) الواقعة بين رجال سند الحديث ذكراً وحذفاً.

لما كان السلطان المولى سليمان رحمه الله في أحد مجالسه بمراكش، أخذ قارئ المجلس يروي الأحاديث ولا يفصل في صيغ إسنادها بلفظة (قال)، فنّبّه شيخ الزاوية الشراعية سيدي محمد بن أحمد الشراعي - وكان من الحاضرين - إلى ضرورة التلفظ بها، فأيده بعض العلماء، وعارضه آخرون. ثم أثّرت هذه المسألة في مجلس السلطان بمكناس، واختلف رأي الحاضرين حولها: هل لابد من التلفظ بها، أو يُكتفى بتقديرها في الحديث؟ فلما رجع السلطان إلى فاس، أمر بعض علمائها بالبحث

89 - شرح العشرة الأولى من الأربعين النووية، أحمد بن التاودي بن سودة، (مطبعة العربي الأزرق، فاس، 1309هـ)، ص: 2-3.

90 - شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، عبد القادر ابن شقرون، (مطبعة العربي الأزرق، فاس، 1309هـ)، ص: 2-3.

91 - شرح العشرة الثالثة من الأربعين النووية، محمد بن أحمد بنيس، (مطبعة العربي الأزرق، فاس، 1309هـ)، ص: 2-3.

في ذلك، وتقييد ما يكون عليه المعول. فامثل أمره: سيدي محمد بن أحمد بنيس، والطيب بن عبد المجيد بن كيران، وحمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي المرداسي؛ وربما آخرون لا نعلمهم.⁹²

قال سيدي محمد بنيس في مقدمة رسالته التي ألفها في هذه المسألة: "هذا وقد جرت المذاكرة بين يدي مولانا المنصور المؤيد... مولانا أبي الربيع سليمان... في لفظة (قال) الواردة في أثناء إسناد الحديث، هل لابد من التلفظ بها، أو يُكتفى بتقديرها في الحديث؟ فجنح بعض من حضر إلى تعيين الأول، فأمر أيده الله بتقييد ما يكون عليه المعول...⁹³. وقال في خاتمتها: "قد كمل ما يجب أن يكون عليه الاعتماد، في لفظ (قال) الواقع في أثناء الإسناد، امتثالا لمن أوجب الله سبحانه طاعته على سائر العباد... ووافق الفراغ منه منتصف المحرم، فاتح ثلاث عشرة ومائتين وألف"⁹⁴.

وقال سيدي محمد الطيب ابن كيران في مقدمة رسالته التي ألفها في هذه المسألة: "قد ورد الأمر المطاع من الحضرة العلية بالله، حضرة من أشرقت الأرض بنور معدلته وهده... أمير المؤمنين أبي المكارم، مولانا سليمان... أن أجمع ما تيسر لي في الحال، مما يتعلق بكلمة (قال) الواقعة بين رجال سند الحديث ذكرا وحذفا، فبادرتُ إلى امتثال ما أمرني، وإن كانت رتبتي في هذا المضمار خلفا..."⁹⁵.

وقال سيدي حمدون ابن الحاج السلمي في مقدمة رسالته التي ألفها في هذه المسألة: "وبعد، لما أن طلع غرة الجبين، وفجر الهدى المستبين... أمير المؤمنين، مولانا سليمان... إلى البلدة الغراء، مراکش الحمراء... وبينما نحن بقبة السويرة... نقرأ على الحضرة المولوية (مسند الإمام أحمد)... إذ طلع علينا العلامة... أبو عبد الله سيدي محمد بن القطب سيدي أبي العباس الشراذي... قال: لابد من التلفظ بـ (قال) بين رجال الإسناد، وإن لم يلفظ بها القلم... فنازعناه بما تقتضيه القواعد العربية... ثم عاد المنصور بالله... إلى مكناسة الزيتون... وعاد لإقامة درسه... وحضر مجلسه... الفقيه النبيه، المحدث السيد محمد بن المهدي... فقال تلك المقالة السابقة للقارئ إذ ذاك، بحضرة مولانا المنصور... فأبى ذلك ودافعه، وتجاوزا أطراف المنازعة. ثم أتى - خلد الله ملكه، مزيلا به كل حلقة - مدينة فاس، الطيبة الأنفاس، فبعث لفقهاء رشحهم للجواب، وتمييز الخطأ من الصواب، بما

92 - ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 3-4.

93 - نفسه، ص: 12-13.

94 - نفسه، ص: 24.

95 - ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 33-34.

نصّه: هل يجوز للقارئ للحديث أن يذكر (قال) في كل (حدّثنا) المحذوفة للاختصار كتابة أم لا؟ أم في ذلك خلاف؟ ومن نصّ على الذّكر، ومن نصّ على عدمه؟ فزفّوا إليه عرائسهم، وأهدوا له نفائسهم؛ فأمرني - دام أمره السعيد، ورأيه الموفق السديد - أن أقتطف فوائدهم المنتشرة، وألتقط فرائدهم المنتشرة. فامتثلت لأمره المطاع، آتيا بالمقدور المستطاع...".⁹⁶

محدثو عصره

نبغ في عهد السلطان المولى سليمان - رحمه الله - مجموعة من العلماء المحدثين، منهم:

1) سيدي محمد التاودي بن الطالب بن سودة المرّي الفاسي، المتوفى سنة 1209هـ. له في علم

الحديث:

- تعليق على صحيح مسلم.⁹⁷

- تعليق على شمائل الترمذي.⁹⁸

- حاشية على سنن أبي داود.⁹⁹

- زاد المُجَدِّ السَّاري بشرح صحيح البخاري، طبع بفاس 1328هـ و1330هـ.¹⁰⁰

- شرح الأربعين النووية، طبع على الحجر بفاس 1309هـ.¹⁰¹

- شرح "الفتوحات الإلهية الصغرى" للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي.¹⁰²

- شرح "مشارك الأنوار" للصّغاني، وقد صنّفه برغبة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله،

واقصر على الثلث الأول، ثم شرح الثلث الثاني عبد القادر بوخريص، والثالث إدريس العراقي.¹⁰³

96 - نفسه، ص: 55-58.

97 - تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، محمد بن عبد الله التليدي، (دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م)، ص: 107.

98 - نفسه، ص: 108.

99 - نفسه، ص: 132.

100 - نفسه، ص: 161.

101 - نفسه، ص: 171.

102 - نفسه، ص: 188.

103 - نفسه، ص: 189.

- (2) سيدي محمد بن أحمد بنيس الفاسي، المتوفى سنة 1213هـ. له في علم الحديث:
- شرح العشرة الثالثة من الأربعين النووية، طبع على الحجر بفاس عام 1309هـ¹⁰⁴.
 - رسالة في مسألة ذكر أو حذف لفظة (قال) الواقعة بين رجال سند الحديث، طبع بدار الكتب العلمية في بيروت، عام 1433هـ/2012م¹⁰⁵.
- (3) سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي، المتوفى سنة 1214هـ. له في علم الحديث:
- تأليف في إثبات صحة شمهروس الجني¹⁰⁶.
- (4) سيدي عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي، المتوفى سنة 1219هـ. له في علم الحديث:
- شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، طبع على الحجر بفاس عام 1309هـ¹⁰⁷.
- (5) سيدي محمد عبد الله بن الطالب المحجوبي، المتوفى سنة 1220هـ. له في علم الحديث:
- شرح الأربعين النووية¹⁰⁸.
 - شرح "مختصر البخاري" لابن أبي حمزة¹⁰⁹.
- (6) سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الأنجري، المتوفى سنة 1224هـ. له في علم الحديث:
- الأربعون حديثاً في الأصول والفروع والرقائق¹¹⁰.
 - تأليف في الأذكار النبوية¹¹¹.
 - حاشية على الجامع الصغير للسيوطي¹¹².

104 - نفسه، ص: 171.

105 - ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 4.

106 - نفسه، ص: 88.

107 - نفسه، ص: 171.

108 - تراث المغاربة، التليدي، ص: 171.

109 - نفسه، ص: 188.

110 - نفسه، ص: 63.

111 - نفسه، ص: 88.

112 - نفسه، ص: 132.

- شرح الحصن الحصين لابن الجزري¹¹³.
- (7) سيدي محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران، المتوفى سنة 1227هـ. له في علم الحديث:
- رسالة في مكفّرات الذنوب¹¹⁴.
- رسالة في مسألة ذكر أو حذف لفظة (قال) الواقعة بين رجال سند الحديث، طبع بدار الكتب العلمية في بيروت، عام 1433هـ/2012م¹¹⁵.
- شرح العشرة الرابعة من الأربعين النووية، طبع على الحجر بفاس عام 1309هـ¹¹⁶.
- شرح حديث: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)¹¹⁷.
- شرح السيرة النبوية¹¹⁸.
- شرح حديث: (ولد الزنا)¹¹⁹.
- شرح ألفية عبد الرحيم العراقي (في مصطلح الحديث)¹²⁰.
- (8) سيدي العربي بن أحمد بن سودة المري الفاسي، المتوفى سنة 1229هـ. له في علم الحديث:
- شرح موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله¹²¹.
- (9) سيدي محمد بن عبد القادر بن قدور الصبحي، المتوفى سنة 1231هـ. له في علم الحديث:
- شرح "الفتوحات الإلهية الكبرى" للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي¹²².
- (10) سيدي حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج السُّلَمي المرداسي الفاسي، المتوفى سنة 1232هـ. له في علم الحديث:

113 - نفسه، ص: 181.

114 - نفسه، ص: 154.

115 - تراث المغاربة، التليدي، ص: 155؛ ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 4.

116 - نفسه، ص: 171-172.

117 - نفسه، ص: 178.

118 - الاستقصا، الناصري، 128/8.

119 - ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 28.

120 - نفسه، ص: 28.

121 - تراث المغاربة، التليدي، ص: 193-194.

122 - نفسه، ص: 188.

- تعليق على صحيح البخاري، بيّن فيه من وافق البخاري في إخراج الحديث، ومناسبة الترجمة لما قبلها وما بعدها، وشواهد كل حديث من القرآن¹²³.
- رسالة في مسألة ذكر أو حذف لفظة (قال) الواقعة بين رجال سند الحديث، طبع بدار الكتب العلمية في بيروت، عام 1433هـ/2012م¹²⁴.
- نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري (نظم وشرح لفصول من مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني)، طبع على الحجر بفاس 1329هـ¹²⁵.
- 11) سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي السجلهاسي، المتوفى سنة 1233هـ. له في علم الحديث:
- طلعة الأنوار (في مصطلح الحديث)، طبع بفاس 1329هـ¹²⁶.
- غرّة الصباح في اصطلاح البخاري (منظومة).¹²⁷
- هدى الأبرار على "طلعة الأنوار" (في مصطلح الحديث)، طبع على الحجر بفاس 1329هـ¹²⁸.
- 12) سيدي عبد الرحمن بن إدريس العراقي الفاسي، المتوفى سنة 1234هـ. له في علم الحديث:
- اختصار الإصابة، وصل فيه إلى حرف العين¹²⁹.
- اختصار لسان الميزان لابن حجر¹³⁰.
- مختصر في الصحابة والجرح والتعديل، جمع فيه بين "الاستيعاب" و"الإصابة" و"ميزان الاعتدال" و"لسان الميزان"¹³¹.
- 13) سيدي أحمد بن التاودي بن سودة المري الفاسي، المتوفى سنة 1235هـ. له في علم الحديث:

123 - تراث المغاربة، التليدي، ص: 107.

124 - تراث المغاربة، التليدي، ص: 155؛ ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 4.

125 - تراث المغاربة، التليدي، ص: 290؛ ثلاث رسائل في (قال) في سند الحديث، ص: 52.

126 - نفسه، ص: 206.

127 - نفسه، ص: 212-213.

128 - نفسه، ص: 296.

129 - نفسه، ص: 37.

130 - نفسه، ص: 39.

131 - نفسه، ص: 250-251.

- شرح العشرة الأولى من الأربعين النووية، طبع على الحجر بفاس عام 1309هـ¹³².
- شرح الأربعين النووية بأكملها، طبع على الحجر بفاس عام 1309هـ على هامش شرحه للعشرة الأولى منها.
- (14) سيدي محمد المدني بن محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، المتوفى سنة 1238هـ. له في علم الحديث:
- شرح "غرامي صحيح"¹³³.
- (15) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، المتوفى سنة 1239هـ. له في علم الحديث:
- شرح على أربعين حديثاً في ترك الظلم، من جمع شيخه الشمس محمد بن أحمد الجوهري¹³⁴.

132 - نفسه، ص: 171.

133 - نفسه، ص: 187.

134 - فهرس الفهارس، الكتاني، 845/2.

ديوان العبد

الْعَرْشُ رَمَزٌ لِاتِّحَادِ بِلَادِنَا

شعر: ذ. محمد البلغمي - فاس.

وَرَبِيعُ حُسْنِهِ بِالنِّسَائِمِ يَعْبَقُ
حُلَّالَ الْبَهَاءِ وَبِالسَّعَادَةِ تُشْرِقُ
بِالنَّصْرِ تَرْفُلُ عَالِيَاءُ، وَتُحَلِّقُ
وَقُلُوبُهُ بِالْحُبِّ نَشْوَى تَخْفِقُ
مَنْ زَانَهُ مُجْدٌ أَصِيلٌ أَغْرَقُ
وَبِعَظْفِهِ يَرَعَى الْجَمِيعَ وَيُشْفِقُ
وَبِعَرْشِهِ شَعْبُ الْحَمَى مُتَعَلِّقُ
وَأَنْلَتَ شَعْبَكَ مَا يُرِيدُ وَيَعِشَقُ
آيَاتُهَا بِجَمِيلِ عَهْدِكَ تَنْطِقُ
يَهْبُ الْهَنَاءُ لَشُعْبِنَا، وَيُحَقِّقُ
وَبِكُلِّ رُبْعٍ فِي بِلَادِي مَرْفِقُ
وَقَرَّتْ مِنْ مَضَلِّ لِدَائِهِ يَمَحَقُ
وَلَأَجَلِ نَهْضَتِهَا تَجُودُ وَتُنْفِقُ
أَوْ مَنْ بِهِ رَمَدٌ، وَسَمْعُهُ مُغْلَقُ
وَلِعَوْنِهَا دَوْمًا بِخَيْرِكَ تُغْدِقُ
حُلُوَ الشَّاءِ بِمَا يَلِيْقُ وَيَضْدُقُ
لِتَرُدَّ عَنْهَا مَنْ يَكِيدُ .. وَيُرْهِقُ
إِلَّا الْمَصَابُ بِجَهْلِهِ وَالْأَحْمَقُ

عِيدُ الْبَشَائِرِ بِالسَّنَا يَتَأَلَّقُ
وَرُبُوعُ مَغْرِبِنَا اكْتَسَتْ فِي يَوْمِهِ
وَعَلَى الذَّرَى قَدْرُ كَزَتْ أَعْلَامُنَا
وَالشَّعْبُ فِي فَرْحِ بَعَرْشِهِ يَخْتَفِي
وَيُشِيدُ بِالْمَلِكِ الْعَظِيمِ مُحَمَّدٍ
مَلِكُ يُبَادِلُ شَعْبَهُ صِرْفَ الْهُوَى
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَزْهَوِي بِهِ
أَسَدَيْتَ لِلْوَطَنِ الْجُودَ لِيَرْتَقِي
كَمْ ذَا أَقَمْتَ مِنَ الْمَآثِرِ فِي الْحَمَى
لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا تُشِيدُ كُلَّ مَا
فِي كُلِّ مَنَاطِقَةٍ مَعَالِمُ نَهْضَةٍ
وَوَقَيْتَنَا شَرَّ الْوَبَاءِ بِفَضْلِ مَا
وَالْقُدْسُ كَمْ نَاضَلْتَ عَنْ تَحْرِيرِهَا
لَا يُنْكِرُ الْعِرْفَانُ غَيْرُ مُكَابِرِ
أَمْوَ حَدَّ الْأَقْطَارِ فِي "إِفْرِيقِيَا"
إِنَّ الشُّعُوبَ بِأَرْضِهَا تُهْدِي لَكُمْ
مَوْلَايَ .. كَمْ دَافَعْتَ عَنْ صَحْرَائِنَا
مَا ارْتَابَ فِي تَوْحِيدِ صَحْرَاءِ لَنَا

أَوْ لَيْسَ فِي إِقْرَارِ " أَمْرِيكََا " بِهَا
لَسْنَا نَهَابُ مِنَ الْعَدُوِّ تَأْمُرًا
إِنْ يُنْكِرُوا نَصْرًا لَنَا .. فَلَيْسَ مَعُوا
وَأَشَدُّ مَا يُؤْذِي الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
مَهْمَا سَعَى بِالْكَيْدِ فِي تَفْرِيقِنَا
إِنَّ الَّذِي يَرْعَى حُقُوقَ جَوَارِنَا
لَسْنَا نُهَادِنُ غَاصِبًا لِرِثَابِنَا
فَلَقَدْ مَضَى زَمَنُ الْخُضُوعِ .. وَلَمْ يَعُدْ
مَهْمَا قَضَتْ فِي الْأَسْرِ أَجْزَاءُ الْحِمَى
قُلْ لِلْحُسُودِ عَلَى الْأَمَانِ بِأَرْضِنَا
الْعَرْشُ رَمَزُ لَاتِّحَادِ بِلَادِنَا
إِنَّا نُوَيِّدُ مَا يُرِيدُ مَلِكُنَا
يَا أَيُّهَا الْحَيْرَانُ فِي " تَنْدُوفَ " لَا
فَارْجِعْ إِلَى الْوُطَنِ الْعَفُورِ فَإِنَّهُ
مَوْلَايَ .. هَاكَ مِنَ الْفُؤَادِ تَهَانِيَا
فَاهْنَأْ بِعِيدِ الْعَرْشِ يَا تَاجَ الْحِمَى
وَأَسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَغْرِبِ
وَلْيَحْفَظِ الرَّحْمَانُ جَلَّ جَلَالُهُ

فَوَزُّ يُؤَكِّدُ حَقَّنَا، وَيُصَدِّقُ؟
كَلَّا.. وَلَا مَنْ فِي يَمِينِهِ يَبْدُقُ
فِي " الْكَرَكَرَاتِ " صَدَاهُ فَخْرًا يَنْطِقُ
جَارُ يُنَاصِبُنَا الْعَدَاءَ، وَيُقْلِقُ
سَيَبُوءُ بِالْفَشْلِ الذَّرِيعِ وَيُخْفِقُ
هُوَ الْجَدِيرُ بِوَدَّنَا وَالْأَخْلَقُ
إِلَّا غَدَاةُ يُزَاحُ عَنْهُ وَيَعْتَقُ
فِي الْعَصْرِ مَنْ يَغْزُو التُّرَابَ .. وَيَسْرِقُ
فَلَسَوْفَ بِالتَّخْرِيرِ يَوْمًا تُطْلَقُ
وَلِكُلِّ مَنْ بِسَخَافَةٍ يَتَشَدَّقُ
وَبِهِ رَوَابِطُ شَعْبِنَا تَتَوَثَّقُ
وَلَأَمْرِهِ لِفَدَى الْحِمَى تَتَشَوَّقُ
تَمَكُّثُ، وَشَمْلُكَ فِي الْحِيَامِ مُمَزَّقُ
أَجْدَى لِعَيْشِكَ فِي الْهَنَاءِ وَأَلْيَقُ
كَعْبِيرِ وَرْدٍ عِنْدَمَا يَتَفَتَّقُ
يَرْعَاكَ مَنْ يُزْجِي السَّحَابَ وَيَرْزُقُ
بِكَ يَرْتَقِي نَحْوَ الْعَلَاءِ وَيَسْمُقُ
وَلِيَا لِعَهْدِكَ لِلْعُلَى وَيُوفِّقُ

عيد العرش عيد المفاهر والمكرمات

شعر: ذ. مولاي أحمد هشامي - مكناس.

إنني سعيد سعد كل مكان
عمت ربوعي فيض فور كياني
بحلوله عم الهناء جناني
فالحب فور للحبيب الباني
أنعم بعاهلنا الغيور الحاني
لم تدخر، بل جدت، بالبرهان
كل التصور، راسخ الأركان
تاج الملوك، ودرة التيجان
أرسى قواعد ملكه بتهان
والعلم ساد بخيرة الأوطان
بشوامخ التعمير والبنيان
فرط انتشار الود والإحسان
قد سطر الأهداف بالإتقان
ومخططات راسخات مبان
وللازدهار يقوده بتفان
قد صار حقا غرة الأوطان
جوا وبراء والبحار دوان
وفسيفساء لوحتي بتهان
متجمع في مغرب الفرسان
خلب الطبيعة آخذ لكيان

إنني فخور فخر خير زمان
بحبوحة الأفراح طالت ساحتي
عيد لعرش الملك حل مشرفا
كلي انتشاء، للسعادة مرقصي
رمز لوحدتنا، وجامع شملنا
حققت كل كريمة وعظيمة
تنمية بشرية فاقت مدى
فمحمد البر النبيل أصالة
ومحمد السادس شهم فاضل
فالجهل صفر ما له من موطن
والفقر ولي، والرقى مواكب
مرض تقهقر فرط طب رائق
هذا مليكي، لطف ربي حفه
قد حقق المقصود فزنا بالمنى
لا شغل للربان إلا شعبه
ذا مغرب الأبرار رقي شأنه
بل درة في الكون تغري كلها
باقات أزهار تنوع لونها
ما قد تفرق في المناحي كلها
فالعنصر البشري خير كنوزه

فهرس العدد:

افتتاحية..... 5

ملف العدد

- عيد العرش: دينامية تتويج وشائج الملكية والشعب

ذ. سمير بوزويته (عميد كلية الآداب سايس - فاس)..... 7

- عيد العرش في مرآة الحركة الوطنية: فجيج أنموذجاً

ذ. محمد بوزيان بنعلي (رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم

فجيج)..... 15

- عيد العرش المجيد: ذكرى غالية بإنجازات زاهرة

ذ. منير روكي (برشيد)..... 23

- قضايا تاريخية من خلال خطب عيد العرش للسلطان سيدي محمد بن يوسف ما بين

(1944-1949م)

ذ. أحمد إيشرخان (الرباط)..... 33

- القول السديد في فكرة الاحتفال بعيد العرش السعيد

ذ. عبد العالي ملوك (مركز التوثيق والأنشطة الثقافية بمكناس)..... 47

- الدلالة الوظيفية لإمارة المؤمنين في سياق الزيارة البابوية للمملكة المغربية، قراءة حضارية في نداء القدس

ذ. عبد الوهاب الجايي (فاس) 57

- جهود إمارة المؤمنين في خدمة القدس الشريف

ذ. مولاي الحسن بلبكري (عضو المجلس العلمي المحلي

لإقليم تاونات) 67

- القرار الأمريكي بالاعتراف بسيادة المغرب على صحرائه؛ تحول تاريخي في دينامية ترسيخ مغربية الصحراء

ذ. محمد الأندلسي (تطوان) 79

مقالات الداعمة

- علم الأنساب في عهد الدولة العلوية الشريفة: نسابو مذغرة أنموذجا

ذ. عبد العزيز بلبكري (المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين -

القنيطرة) 91

- من مآثر مولانا أمير المؤمنين وسادس المحمدين في خدمة القراءان الكريم وقراءاته

محمد بن عبد الله البخاري 105

- عناية السلطان المولى سليمان العلوي بالحديث النبوي

ذ. سعيد المغناوي (جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس) 119

ديوان العدد

- العرش رمز لاتحاد بلادنا

شعر: ذ. محمد البلغمي (فاس) 145

- عيد العرش عيد المفاخر والمكرمات

شعر: ذ. مولاي أحمد هشامي (مكناس) 147

شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

■ أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.

■ أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.

■ ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم: A4.

■ في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.

■ في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.

■ تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.

■ ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.

■ البريد الإلكتروني هو : alamihamid49@gmail.com

■ ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

■ الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.

■ ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

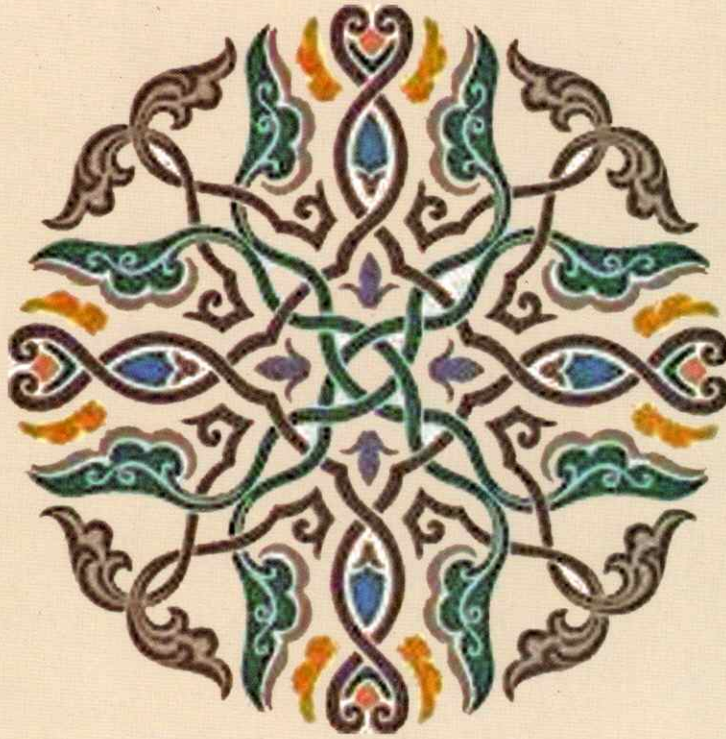
ملف العدد المقبل:

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد الموضوعين الآتيين:

1 - ثورة الملك والشعب.

2 - الشيمائل المحمدية في الكتابات المغربية.





دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والعمر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية